بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ
وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

(من الآية ١٦٢ من سورة الأنعام)

جميع حقوق الطبع والنسخ والنشر محفوظة

الطبعة السادسة

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

رقم الايداع
١٧٤٤ / ١٩٩٩
الترقيم الدولي I.S.B.N.
977-209-039-2

لا يجوز إعادة نسخ أو طبع أو نشر هذا الكتاب أو أى جزء منه بأى طريقة كانت ميكانيكة أو إلكترونية أو التصوير أو التسجيل أو البث عن طريق الشبكات الالكترونية أو غيرها الا بموافقة الناشر على ذلك كتابة ومقدماً

المكتب المصري الحديث
www.almaktabalmasry.com
almaktabalmasry@hotmail.com

القاهرة ٢ شارع شريف عمارة اللواء ت ٣٩٣٤١٢٧
الأسكندرية ٧ شارع نوبار المشية ت ٤٨٤٦٦٠٢

جاسم عبد الرحمن

في رياض الجنة

الجزء الأول

المكتب المصري الحديث
www.almaktabalmasry.com

إهداء

إلى المتطلعين إلى الجنة وهم يعيشون في هذه الدنيا

إلى الطامعين في أن يكون الإسلام واقعًا يعيشون به ويعيش بهم

إلى الذين ينسجون حقائق المستقبل

من كتاب ربهم وسيرة نبيهم،

ومن تراث سلفهم وأحلام يومهم

يهدي هذه السلسلة (في رياض الجنة)

هذه السلسلة

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَن لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[1]، يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾[3]

كلنا يشتاق إلى رياض الجنة، ففيها نعيم لا يخطر وصفه على البال، ورياض الجنة متعددة

روضة بعد النشور

هناك روضة يدخلها المؤمنون بعد البعث والنشور برحمة ربنا ﷻ جزاء لأعمالهم، فيفوزون فيها برؤية ربهم، فقد روى أبو هُرَيْرَةَ ﷺ أن رسول الله ﷺ أخبره « أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا نُزِلُوا فِيهَا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ ثُمَّ يُؤْذَنُ فِي مِقْدَارِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِن أَيَّامِ الدُّنْيَا فَيَزُورُونَ رَبَّهُمْ وَيُبْرِزُ لَهُمْ عَرْشَهُ وَيَتَبَدَّى لَهُمْ فِي رَوْضَةٍ مِن رِيَاضِ الْجَنَّةِ» [رواه الترمذي، من الحديث ٢٤٧٢]

وروضة قبل النشور:

للصالحين روضات أخرى يتمتعون بها قبل البعث والنشور، إنها من

---

١ - الآية ١٠٢ من سورة آل عمران

٢ - الآية ١ من سورة النساء

٣ - الآية ٧٠ من سورة الأحزاب

رياض الجنة لكنها في القبر، عَن أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِن حُفَرِ النَّارِ" [رواه الترمذي، من الحديث ٢٣٨٤]

وروصة تُشَدُّ إليها الرحال

وهناك روصة من رياض الجنة يدخلها الحي منا، مكانها محدد ومحدود، قد تكون بعيدة أو قريبة، وقد يتنافس الناس على المكث فيها، إنها الروصة التي بين قبر رسول الله ﷺ ومنبره في المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة، عَن عبد الله بن زَيْدٍ الْمَازِنِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الْجَنَّةِ" [رواه البخاري، الحديث ١١٢٠]

وروصة قريبة المنال

وكل إنسان مسلم في متناوله رياض قريبة، لقد جعل الله ﷻ كل حلقة يُذكر فيها ﷻ روصة من رياض الجنة، إنها الحلقات التي تتلو فيها الذكر -والذكر هو القرآن - قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]، وهي الحلقات التي تتدارس فيها تفسير القرآن، قال تعالى ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[2]، وهي الحلقات التي تطالع فيها الوحي المُنزل على نبينا محمد ﷺ في السنة الشريفة، عَنِ الْمِقْدَامِ بن مَعْدِي كَرِبَ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ" [رواه أبو داود، من الحديث ٣٩٨٨ وكل رواته ثقات]

حِلَق الذكر رياض قريبة المنال، فهي التي يُطرح فيها العلوم والمعارف

---

١ - الآية ٩ من سورة الحجر

٢ - من الآية ٧٩ من سورة آل عمران

المرتبطة بذكر الله ﷻ، فعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا[1]»، قالوا. وما رياض الجنة؟ قال. «حلق الذكر» [رواه الترمذي، الحديث ٣٤٣٢].

فاجلس بنا نؤمن ساعة:

وفي الروضة نجد إيمانا، قال معاذ بن جبل ﷺ لأحد إخوانه يذكره: اجلس بنا نؤمن ساعة[2]، فتلقفها ابن رواحة ﷺ وأهداها لأبي الدرداء ﷺ وهو آخذ بيده - تعال نؤمن ساعة، إن القلب أسرع تقلبا من القدر إذا استجمعت غليانا[3].

وتيسيرا للاستفادة من هذه الرياض كان كتابك هذا، نصدره بمشيئة الله في أجزاء، وفي كل جزء نجد بابا لرياض الجنة وأنت **مع النفس**، هو الباب الأول، ترتشف منه في بيتك أو مع أهلك وولدك، وبابا لرياض الجنة وأنت **مع الناس**، يصاحبك في تعاملاتك وتصرفاتك وحركاتك، وبابا لرياض الجنة وأنت **مع الله**، يعتني أساسا بنداء الروح

وقد اخترت من أساليب العرض أسلوبا أدعو الله ﷻ أن يجده القارئ متميزا ومفيدا، ذلك أنا نستعرض موضوعات الرياض من خلال ما ورد من صحيح السُّنة، ونحرص على إيراد نصوص الأحاديث كما وردت مع بيان معاني الكلمات، فنحن نريد إعادة توثيق الصلة بين المسلم المعاصر وبين الثروة التي خلّفها لنا سلفنا الصالح في كتب السُّنة، ونريد أن نزيل الاستغراب الذي يصيب المسلم المعاصر إذا ما طالع في ثروته هذه؛ خاصة مَن

---

١ - ارتعوا. أي أكثروا من الذكر فيها وتحصيل الثواب.

٢ - ورد في صحيح البخاري، باب قول النبي ﷺ ((بني الإسلام على خمس))

٣ - محمد أحمد الراشد، المطلق ، ص ٦ ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٦

تعوَّد قراءة الكتب المعاصرة المبسَّطة، فنحن لا نريد أن نَحرِمَ المسلم المعاصر من يُسر أساليب العرض الحديثة، وفي ذات الوقت لا نريد له أن يستعيض بكتبنا هذه عن ثروته العريقة، وأسلوب العرض المختار لا يجعل المسلم فقط يقرأ السيرة -التي طالما قرأها- دون أن يشعر أنه يعيد القراءة، ولا يحاطه فقط بما تعود عليه من مفردات معاصرة، لكنه أيضًا يعمل كحلقة وصل مع تروة التراث، وييسر له السقلة إلى المراجع الأصلية الأصيلة إذا أراد، ومن أجل ذلك كان الحرص على بيان معاني الكلمات، وكان الحرص على ذكر موضع الحديث الشريف بدقة، وقد اعتمدنا ترقيم العالمية في موسوعة الحديث الشريف التي أصدرتها شركة صخر لبرامج الحاسب

وفي النهاية يمكن للقارئ أن يحاسب نفسه لنفسه، فيعرف حصيلة عقله ورصيد قلبه وحساب جوارحه، من خلال الاختبار الوارد في نهاية الكتاب

وليس هذا الاختبار امتحانا، ولكنه ذو دور تعليمي و تربوي ، فأسئلته مهمة لبلورة الأفكار التي طالعها القارئ في كل فصل، وسيجد إجاباتها بعدها ليتأكد من صحة فهمه ،ويتمكن من قياس مستوى تحصيله العقلي والقلبي والعملي

والله نسأل أن يتقبل منا هذا العمل ويجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به المسلمين والمسلمات، وأن يغفر لنا كل تقصير

حاسم عبد الرحمن الخواتمي

الباب الأول

مع النفس

تمهيد

يحتوي الباب الأول **مع النفس**، على أربعة فصول فصل **في رحاب التفسير**، وفيه تفسير سورتي النبأ والنازعات، وفصل **من وحي السيرة** فيه عرض لسيرة النبي ﷺ من الميلاد وحتى الهجرة، ثم فصل **من جواهر العلم** وبه خلاصة معظم فقه الطهارة، وختم بفصل **من حصاد الفكر**، وفيه نعتي بتعريف عام بالإسلام، وبخصصه في هذا الجزء لمعنى الدين.

أما **في رحاب التفسير**، فعشت فيه أولاً مع تفسير سورة النبأ، ومنه نعرف أن اليقين باليوم الآخر أمر يتفق مع تفكير العقل السليم، وأن الجزاء بعد البعث يوم القيامة هو الذي يجعل للحياة الدنيا قيمة، وتُظهر السورة قدرة الله في خلق السماوات والأرض وما أودع فيهما من نعم؛ فتزدادَ شعورًا بفضل الله ﷻ وحُبًّا له، والسورة تقرر حتمية الحساب والجزاء؛ فتشتاق نفوس التقاة إلى نعيم لا كدر فيه فتعمل ما يؤدي إليه، أمَّا معرفة أن الطغاة مآلهم إلى جحيم ليس له كفاية فتشفي صدور المظلومين والمستضعفين، وتُحَوِّفنا من مثل هذا المآل لنعتزل موجباته، و يُبيِّنه عرض أهوال يوم القيامة قلوب العاقلين، ويُشْعِرُ مشهد خشوع الملائكة وصمتهم في حضرة الرب الجليل بعظَم الأمر، ومَن يدرس هذه السورة يتفكر كثيرًا في نعم الله عليه، ويحرص على تبشير التقاة والمظلومين بالنعيم الموعود وطمأنتهم هلاك الطغاة الظالمين.

ونعيش أيضًا مع سورة النازعات، فنعرف من دوام اشتغال ودقة وجدية الملائكة، حتمية وجدية البعث والمحاسبة، فالتفت إلى ما يتفعنا

حسائد، ونعلم كيف ستتداعى الأحداث المحيفة لقيام الساعة، فتستقص قلوبنا رهبة تمنع جوارحنا من ارتكاب ما يغضب الله، كما نطالع نمودجًا لسُنَّة الله في إمهاله الظالمين وعدم إهماله محاسبتهم، وذلك من خلال قصة فرعون المحادع لقومه المخدوع بهم، فتطمئن قلوبنا إلى تحقق عدل الله ، ولُنْتَ بذكرها مَن يتطر الإنصاف، والسورة تُنَبِّي للإنسان حقيقة حجمه الضئيل في هذا الكون الفسيح، وأن مصيره رهن عمله، بعد دنيا قصيرة تعقبها قيامة قريبة

وفصل **من وحي السيرة**: يُبيّن أن بعثة الرسول ﷺ كانت مُتَوقعة ومُنتظرة، وأن الدعاة المؤثرين يصطفيهم الله ﷻ من الشرفاء أصحاب المكانة والنجابة، مرفوعي الرأس بالاستقامة، إيجابيين نافعين لقومهم، متعففين عمَّا في أيدي الناس، يأكلون من عمل أيديهم، ويصونون قلوبهم وأرواحهم بخلوات يجاسبون فيها نفوسهم

وتتضح معالم منهج الله ﷻ في إعداد الدعاة بتحلية تريل خط الشيطان، وتزكية تحافظ على الفطرة وتسمى المشاعر، وتعظيم شأن الدعوة في قلب ونفس الدعاة، فيتألمون إذا عَنَّ لهم فتور، ويصبرون إذا لاقوا متاعًا

ومواقف السيدة خديجة -رضي الله عنها- وخالها ورقة، ثم قريش بعد ذلك توضح أن الأبرار لا يخزيهم الله ولا يخذلهم، وأن مقاومة دعاة الحق عادة بشرية، وأن الابتلاء سنة الدعوات، وهو يطُول قيادة الدعوة كما يطُول صفها، فهو فرز وتمحيص وتربية وإعداد

ونتعلم من قيادة رسول الله ﷺ للمؤمنين دروسًا في تثبيت الصف وبعث الأمل، ورفض الاستدراج إلى مواجهات لا جدوى منها، وفن الموازنة بين مصلحة الدعوة وتأمين أفراد صفها، بالسعي الدائب لزرع الدعوة في ميادين جديدة أو بديلة، والحرص على الابتعاد للدعوة عمن يُصيف إلى أسباب عزها

والباطل يعتمد دائمًا على السفهاء والحمقى، ورغم ما يتسبب فيه هؤلاء من جَحَن إلا أنها لا تخلو من مِنَح، نتعلم ذلك من قصة الطائف وإسلام الغلام عَدَّاس

والداعية الهادي لا يحقد على الناس ولا ينتقم منهم انتقامًا عشوائيًا، وإن دعا على الطغاة الذين آذوه بأشخاصهم، فإنه يستبقي نفسية سليمة صحيحة مُقبلة تجاه عموم العاصين، بل يرجو أن يُخرِج الله من أصلابهم مهتدين

أمَّا حادثة الإسراء والمعراج، ففيها تطبيق عملي للثقة التي تحلَّى بها أبو بكر الصديق ﷺ، وبها إشارة واضحة لأهمية الصلاة بين الشعائر، وعمود رائع لكرم الله ﷻ وفضله، كرمٌ جعل ثواب الصلوات الخمس خمسين، وفضلٌ جعل كل حسنة بعَشْر أمثالها، وبذلك يثقل ميزان الإنسان بالحسنات وإن كانت تلك الحسنات عُشر أعماله فقط.

ومن دروس الهجرة ومرحلة التأسيس نخص بالذكر أهمية الأخذ بالأسباب، واستصحاب معية الله ﷻ، ثم ندرك أهمية المسجد كمؤسسة جوهرية في بناء المجتمع المسلم.

والفصل الثالث **من جواهر العلم**، تركيزه في هذا الجزء على فقه

الطهارة، وقد تحرّيا ربط كل حكم بالحديث الصحيح الذي يؤيده، حتى يشعر القلب بمعية الوحي في كل تصرف عملي، ولتكون الآية الكريمة أو الحديث الشريف رادًا ومرتكزًا لكل من يبحث عن الثواب في تطبيع الحكم الشرعي لغيره

والفصل الرابع **من حصاد الفكر**، يعتني بالتعريف بدين الإسلام، وفي هذا الجزء يقتصر على معنى الدين كما بينه القرآن الكريم وشرحته السُّنَّة الشريفة، ليوقن أن كل دين منهج وكل منهج دين، وبذلك لا نقبل أن تستولي أفكار بشرية على مقدرات أحد مجالات عمل الإسلام فتقصي الإسلام عنها

ثم نحاول أن نقضي على السلبية والتواكل بترسيخ معنى أن دين الله ﷻ - وهو الأولى بالاتباع - لا يقوم إلا بمجهد البشر، مع توفيق وتأييد من الله ﷻ

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا علمًا نافعًا

*****

الفصل الأول

في رحاب التفسير

١- سـورة النبـأ

٢- سورة النازعـات

١- سورة النبأ

سُورة النبأ سُورة مَكّيّة[١]، والنبأ هو الخبر، فالسورة بها أخبار عن القيامة والبعث والنشور والحشر والسؤال والفصل والجزاء، وهي تعرض لمسائل في العقيدة طالما أنكرها المشركون، كما تقيم الدلائل والبراهين على قدرة رب العالمين، من خلال سرد آيات قدرته وخلقه في الكون

يقول الله ﷻ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ * كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ﴾

أمر مهول ووعيد مرعب:

تُفْتَتَح السُورة بسؤال فيه استنكار وتعجب، سؤال يشير إلى عِظَم وهَوْل الأمر الذي أهمَّ الناس وشغلهم، إنه أمر البعث بعد الموت، وهو أمر اختلفوا فيه، فمنهم من آمن به ومنهم من كفر، ولسوف يعلم المُنكِرون حقيقة هذا الأمر، سيعلمونها أولا حين يموتون، ثم سيعلمونها أخيرًا حين يرون يوم القيامة من العذاب ما لم يكونوا يحتسبون، وفي هذا ما فيه من الوعيد والتهديد والزجر

ويقول الله ﷻ

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾

قُدرة الله ﷻ تتجلى:

عرض القرآن الكريم الواقع الذي نعايشه قبل أن يُفصِّل الحديث عن

---

١ - السورة المكية هي التي نزلت قبل الهجرة مهما كان مكان نزولها

النبأ العظيم، فلفتت السورة النظر إلى آيات تدل على قدرة الله ﷻ، فهذه الأرض ممهدة بفضل الله صالحة لإيوائنا واستقرارنا، وتلك الجبال راسية ثابتة بأمر الله، تحمي الأرض من أن ترتج أو تميد، ومن حكمة الله ﷻ أن خلقنا على صنفين، ذكر وأنثى، ليكون هذا سببًا من أسباب عمران الكون ونمائه

ويقول الله ﷻ:

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا * وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا * وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا * وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا * لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾.

المفردات.

﴿سُبَاتًا﴾ راحة وسكونًا ﴿لِبَاسًا﴾ سترًا يغطيكم بظلامه

﴿الْمُعْصِرَاتِ﴾ السُّحُب ﴿ثَجَّاجًا﴾ مُصَبًّا كثيرًا

نعم الله ﷻ تغمرنا.

من نعم الله ﷻ علينا نعمة النوم الذي يقطع حركتنا لتحصيل بعض الراحة، ونعمة الليل الذي هو لنا كاللباس يغشانا، وظُلمته تُخفينا إن أردنا هدءًا، وعَتمته تغطينا إن أردنا سترًا، أما نعمة النهار فبها يتيسر معاشنا وسعينا الذي من خلاله نتمتع بعديد من النعم والمكاسب، ولقد رفع الله ﷻ فوقنا سقفًا محكمًا، إنها السماوات السبع، الشديدة في اتساعها وارتفاعها وتزيينها بالنجوم والكواكب، ولقد خلت تلك السماوات مزيدًا من النِّعَم، من شمس جمعت بين النور والحرارة، فهي مصيئة متوقدة،

وسُحُب تحمل ماء العيث الذي يسرل بكثرة فيخرج به كل نبات تفتات به الكائنات، ولنا منه زيادة على القوت بساتين متشابكة أغصانها، نحني منها ثمارًا نتفكه بها.

ويقول الله ﷻ:

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا * يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا * وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا * وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾.

المفردات:

﴿الصُّور﴾: بوق ينفخ فيه الملك إسرافيل يوم القيامة.

الحساب واقع لا محالة:

كانت الدنيا للعمل، وكانت النِّعَمُ متاعًا، ومن وراء كل ذلك حساب وجزاء، ويكون ذلك في يوم الفصل، اليوم الذي يُفْصَلُ فيه بين العباد، بين المحسن والمسيء، والظالم والمظلوم، إنه الموعد المحدد للقصاء والجزاء، يومها يَنفخ المَلَك إسرافيل نفخته الثانية في بُوقه فيقوم الموتى من قبورهم أحياء، سواء منهم مَن صُعِقَ عند نفخة إسرافيل الأولى ومَن مات قبل ذلك بكثير، كل أولئك تحشرهم الملائكة وتسوقهم إلى ربهم جماعات، يومها تتفتح السماء وتتشقق، فتكون أبواباً وطُرُقًا ومسالك للملائكة، وتُسَفُ الجبال فتصير كالسراب، ويظن الناظر إليها أنها شيء، وما هي بشيء.

ويقول الله ﷻ:

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَآبًا * لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا * جَزَاءً وِفَاقًا * إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا * وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا * فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾

المفردات

﴿أحقابًا﴾ دهورًا وأزمنة طويلة ﴿حَمِيمًا﴾ ماء حارًّا

﴿وغَسَّاقًا﴾ وصديدًا

جحيم الطغاة ليس له نهاية

يمضي السياق خطوة وراء الحشر، فيصور مصير الطغاة ومصير التقاة، أما الطغاة الذين كذَّبوا وجحدوا بآيات الله فجهنم مرصودة لهم ترقُب وصولهم اليها، فهي مأوى المتجاوزين لحدود الله ﷻ ومرجعهم الذي إليه يرجعون، ولهم - والعياذ بالله - في هذا المنزل مُقام طويل لأزمنة مديدة، ليس لهم فيها ما يُبرِّدُ جوفهم، ويروي عطشهم، فإن أرادوا شرابًا فليس لهم إلا الماء الحار الذي يشوي الوجوه، الذي يُذاب فيه خليط من صديدهم ودموعهم وعرقهم وإجراحاتهم، وكل ذلك ما هو إلا الجزاء الموافق لطغيانهم والمناسب لما ارتكبوه من فساد وإفساد في الحياة الدنيا، وقد كانوا في الدنيا يستبعدون ذلك ولا يتوقعون أنهم سيحاسبون، بل كانوا معاندين متعامين عن حجج الله ودلائله على خلقه، ومكذبين لآياته المنزلة على رسله، كل ذلك أحصته عليهم الملائكة وكتبته في

صحائفهم، فهم في جحيم مقيم لا رجاء لهم ولا أمل لهم في تخفيف عذابه

ويقول الله ﷻ

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا * جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾

المفردات

﴿وكَوَاعِب﴾ الكاعب هي المرأة التي برز ثدياها واستدارا

﴿أترابًا﴾ مماثلات في السن ﴿دهاقًا﴾ ممتلئة

نعيم التقاة لا كَدَر فيه.

المشهد المقابل لمشهد الطغاة في الجحيم، هو مشهد التقاة في النعيم، يصور المتقون بالجنة، ويتمتعون بساتينها وأشجارها، ويتروحون فيها بنسوة عذارى بالغات، مستويات الخلقة، في سنٍّ واحدة، يُعرَف جمالهن وصحتهن من استدارة أثدائهن وعدم تهدلها، وللمتقين في الجنات شراب طيب يملأ الكئوس، ولا يتسلل إلى مسامعهم الكذب ولا أي كلام غير مفيد، لقد جزاهم الله بفضله وإحسانه عطاءً كافيًا وافيًا كثيرًا

ويقول الله ﷻ

﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا * يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلآئِكَةُ

صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا * ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا﴾.

في حضرة الرب الجليل:

الرب هو الذي يصلح الشيء حتى يبلغ به التمام والكمال، والرحمن ﷻ هو المصلح لكل ما في الكون، كل ما في أعلاه وكل ما في أسفله، وكل ما بين أعلاه وأسفله، أحسنَ كل شيء خَلْقَه وأتقن كل شيء صَنْعَه، وخشعت لكبريائه رقاب الجبارين.

ويأتي المشهد الختامي بوقوف جبريل عليه السلام في حضرة الله ﷻ والملائكة صفًّا بين يدي الرحمن خاشعين لا يتكلمون إلا من أُذن له، فلا يبتدئ أحد بالكلام إلا بإذنه، ومن يتكلم يومها فلن يطق إلا بالحق، فذلك هو اليوم الحق الكائن لا محالة، فجدير بكل منا أن يسلك الطريق الذي يؤدي إلى رضا ربنا يوم نعود إليه، وإلا فليس أمامنا إلا الندم.

ويقول الله ﷻ:

﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾

قمة الندم وتمني العدم:

من لم يُرضِ ربه سوف يندم بين يدي الله يوم القيامة أشد الندم، حتى أنه سيتمنى العدم، سيتمنى أن يصير ترابًا مثل البهائم؛ لئلا يُعَذَّب،

ويوم القيامة قريب جدًّا، فمن مات انقطع عمله، وهو مثابة مَن قامت قيامته، ليس بينه وبينها سوى مضي زمن قصير، فَمَن أَخَلَّ مِنَّا الطاعة وهو ينوي أن يؤديها قبل أن يموت، فعليه أن يعرف متى يموت! فإن لم يعرف فليبادر بها قبل ألا يسعه سوى تمني العدم.

*****

٢- سورة النازعات

سُورة النازعات سُورة مكية يدور محورها حول الحديث عن بعض ما عهد الله ﷻ به إلى الملائكة، وعن القيامة وأحوالها، والساعة وأهوالها، وبدأ موسى عليه السلام مع فرعون، والتذكير بعظمة الخالق الذي أتقن كل شيء صنعًا، مع بيان مصير الطغاة المتكبرين ومآل الخائفين الراجين

يقول الله ﷻ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا * وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا * فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا * فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾

المفردات

﴿والنَّازِعَات﴾ الملائكة التي تقبض أرواح الكافرين

﴿غرقًا﴾ نزعًا شديدًا

﴿والنَّاشطات﴾ الملائكة التي تقبض أرواح المؤمنين

﴿والسَّابحات﴾ الملائكة التي تسبح في الكون

﴿والسَّابقات﴾ الملائكة التي تسارع لتنفيذ أوامر الله ﷻ

﴿والمدَبِّرَات﴾ الملائكة التي تُدَبِّر وتتولى ما يأمرهم به الله ﷻ

ملائكة في شغل عظيم

تبدأ السورة بمطلع عاصف، وهو يثير بعمومه شيئًا من الرهبة والتوجس، يسوقه الله - تقدست أسماؤه وتباركت آلاؤه - في إيقاع تكاد تنقطع به الأنفاس من الذعر، نحس هذه المشاعر ونحن نتابع ذكر

ملائكة تسرع أرواح الكفار سرعًا شديدًا، وملائكة تسرع أرواح المؤمنين في سهولة ويسر، وملائكة تسبح في العوالم العليا، وملائكة تسوق للإيمان والطاعة، وأخرى تُدبِّر الأمر من السماء إلى الأرض بأمر ربها

ويقول الله ﷻ

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ * يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ * أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾

المفردات

﴿الراجفة﴾ النفخة الأولى في الصور

﴿الرَّادِفة﴾ النفخة الثانية في الصور

﴿واجفة﴾ خائفة

﴿الحافرة﴾ القبر

﴿نَخِرَة﴾ بالية مُفَتَّتة

﴿كَرَّة﴾ رجعة وعودة

﴿زَجْرَة﴾ نفخة وصيحة

﴿بالسَّاهِرَة﴾ بأرض المحشر

صيحة صاعقة.

وتبدأ الأهوال، فتكون النفخة الأولى في بوق إسرافيل فترتعد لها الأرض والجبال والأحياء جميعًا فيُصعَقون إلا من شاء الله، وتنشق السماء الأرض في انقلابها، فتشقق وتتناثر كواكبها وتبقى على هذه الحال إلى أن يجيء أوان النفخة الثانية

بعث مذهل:

ثم يُبعث الموتى فيحرجون من قبورهم، هائلة تضطرب القلوب ويجتمع عليها الخوف والانكسار، فلقد أصاب أصحابها الذهول حين رأوا أنهم إلى الحياة يعودون، وتوهموا أنهم راجعون لحياتهم الأولى، وتعجبوا أن يكون ذلك بعد أن صاروا عظامًا هشة، فلما تيقنوا أنها الحياة الآخرة التي لم يحسبوا حسابها ولم يقدموا زادها، علموا أن ليس لهم فيها إلا الخسران المبين، فالنفخة الثانية تصدر صيحة يُحشر بها الناس جميعًا على الساهرة، التي هي أرض المحشر، وهي أرض بيضاء لامعة

ويقول الله تعالى:

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى * فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى * فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾

المفردات

﴿طُوًى﴾ اسم وادٍ في سيناء ﴿تَزَكَّى﴾ تتطهر من الخطايا

﴿الآية الكُبْرَى﴾ انقلاب العصا حية، والآية العلامة

﴿أَدْبَرَ﴾ أعرض وتولى ﴿نكال﴾ عقابًا وجزاءً

فرعون المخدوع

كانت علاقة فرعون بقومه خداعًا متبادلاً، خدعهم بكلمة قالها أولاً حين زعم أنه ما علم لهم من إله غيره، واتخذ هو بغفلتهم وانقيادهم وخوفهم ودلهم حتى بلغ به أن قال لهم إنه ربهم الأعلى، وبين الكلمة الأولى والآخرة تمضي سُنَّةُ الله ﷻ في أنه يمهل ولا يهمل، فقد كَلَّفَ الله ﷻ موسى عليه السلام يوم كلّمه بالوادي المسمَّى طُوى، أسفل جبل طور سيناء، كَلَّفَه بأن يذهب إلى فرعون الذي طغى وتجبر وجاوز الحد، وكان إرسال موسى عليه السلام إلى فرعون نموذجًا للإمهال، لأنه أُمِرَ بالتبليغ الجَدَّاب، أُمِرَ أن يساعده بأن يسأله هل لك رغبة في التطهر من الذنوب والآثام؟ ليسهل له التعرف على طريق طاعة الله وتقواه

فلما رفض فرعون وأبَى إلا الكفر بالله، قَلَبَ الله عصا موسى حية، آية من عنده، لكن فرعون جحد هذه الآية، لقد ولّى هاربًا من الحية، ثم اتهم موسى عليه السلام بأنه ساحر،، وجمع السحرة والجنود والأتباع وخطب في الناس بوقاحة مليئة بالغرور، فقال كلمته الآخرة، قالها الطاغية مخدوعًا بعملة جماهيره وإذعانها وانقيادها، فما يخدع الطغاة شيء بقدر ما تخدعهم عملة الجماهير ودُلها وطاعتها وانقيادها، وما الطاغية إلا فرد لا يملك -في الحقيقة- قوة ولا سلطانًا، إنما هي الجماهير الغافلة الذليلة، تُعطي له ظهرها فيركب! وتمد له أعناقها فيَحزّ! وتُحني له رءوسها فيستعلي! وتتنازل له عن حقها في العزة والكرامة فيطغَى! والجماهير تفعل هذا مخدوعة من جهة وخائفة من جهة أخرى، وهذا الخوف لا ينبعث إلا من الوهم، فالطاغية - وهو فرد - لا يمكن أن يكون أقوى من الألوف

والملايين لو أنها شعرت بإنسانيتها وكرامتها وعزتها وحريتها، وكل فرد هو كفء للطاغية من ناحية القوة، ولكن الطاغية يخدعهم فيوهمهم أنه يملك لهم شيئًا، ولا يمكن أن يطغى فرد في أمة كريمة أبدًا، ولا يمكن أن يطغى فرد في أمة رشيدة أبدًا، ولا يمكن أن يطغى فرد في أمة تعرف ربها، وتؤمن به، وتأبى أن تتعبد لواحد من خلقه لا يملك لها ضرًّا ولا رشدًا

يُمهِلُ ولا يُهْمِل

وعندما ادَّعى فرعون لنفسه الربوبية انتهى وقت الإمهال، وجاء وقت الكمال، وقت العقوبة، عقوبة الدنيا بإغراقه، وعقوبة الآخرة بإحراقه، وقال ابن عباس عاقبه الله جزاءً لكلمته الأولى التي حكاها القرآن على لسانه ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾[1]، وجزاء لكلمته الآخرة ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾.

وهذه القصة عبرة وعظة، فهي توضح أن الله عندما يُمْهِل الظالم ويرشده إلى طريق الرشاد فيزيغ عنه فإنه لا يُهْمِلُه، وإذا أخذه لم يُفْلِته، والذي يعرف ربه ويخشاه هو الذي يدرك ما في حادث فرعون من العبرة لسواه، وأما الذي لا يحتفي فيه وبين العبرة حاجز والعياذ بالله

ويقول الله ﷻ

﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا *

---

١ - من الآية ٣٨ من سورة القصص

وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾

المفردات:

﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ جعلها عالية مرتفعة ﴿وَأَغْطَشَ﴾ أظلم

﴿دَحَاهَا﴾ هيأها وأعدها ﴿أَرْسَاهَا﴾ أثبتها في أماكنها

على الإنسان أن يعرف حجمه:

يعود الحديث مخاطبًا المشركين المعتزين بقوتهم - بعد أن تبيوا مصارع الطغاة - باستفهام للتقريع والتوبيخ هل أنتم - يا معشر المشركين - أشق وأصعب خلقًا من خلق السماء العظيمة؟! تلك التي جعلها الله ﷻ عالية السماء مستوية الأرجاء، وجعل ليلها مظلمًا ونهارها مشرقًا، أم أشد من تلك الأرض التي بسطها ومهدها وهيأها لإنبات الزرع، وثبتها بالجبال ليتمتع بها الإنسان والأنعام؟!

ويقول الله ﷻ:

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى * فَأَمَّا مَن طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾

المفردات

﴿الطَّامَّة الكُبْرَى﴾ الداهية الهائلة، وهي القيامة ﴿بُرِّزَت﴾ أُظهِرَت
﴿أَثَرَ﴾ فَضَّل ﴿أَيَّان مُرسَاهَا﴾ متى قيامها؟.

مصير على حسب العمل

عندما تحل الداهية العظمى بحدوث القيامة، يقرأ كل إنسان ما في كتابه فيتذكر ما فعل من خير ومن شر، وعندئذ تظهر الجحيم لمن يستحقها، ويصير كل إنسان إلى مصيره على أساس ما قَدَّم من عمل، فمَن جاوز الحد بكُفر أو طغيان، وفضّل الدنيا على الآخرة، فإن مأواه ومرجعه إلى جهنم، وأما مَن خاف عظمة الله، واستعد للحظة الوقوف بين يديه، ومنع نفسه عن الشهوات والمعاصي، فإن مأواه ومرجعه إلى الجنة والنعيم.

علامة السعادة وعلامة الشقاء.

وبذلك كشفت الآيات الكريمة عن الميزان الدقيق الذي يعرف به الإنسان نفسه: هل هو من أهل الجنة السعداء، أم من أهل النار الأشقياء، ذلك أن مَن طغى وبغى وآثر شهوات الحياة على طاعة ربه فهو الشقي المُعَدُّ بالجحيم، ومن أطاع الله العظيم واتقاه وسارع إلى مرضاة مولاه، ونهى النفس عما تهواه ؛ فهو السعيد المُكَرَّم في دار النعيم، فليضع كل إنسان نفسه على هذا الميزان، قبل حلول الداهية العظمى

ويقول الله ﷻ

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا * إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا * إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا * كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾

دنيا قصيرة وقيامة قريبة

يسأل المشركون محمدًا ﷺ متى تقوم الساعة؟ لكنه ﷺ لا يعلم موعدها، فهو عيب استأثر الله ﷻ بعلمه، ومرجعها إليه وحده، وما على الرسول ﷺ سوى الإنذار بها، ويكفي بني آدم أن يدركوا أنّ هذه الدنيا قصيرة مهما طالت حياة الفرد فيها، أحداثها ستبدو أمام أحداث الآخرة كأنها ساعة من ليل أو ساعة من نهار، أفمن أجل عشية أو ضحاها يضحون بالآخرة ؟!

*****

الفصل الثاني

من رحيق السيرة

١- حياة النبي ﷺ قبل البعثة

٢- منذ البعثة وحتى الهجرة

٣- الهجرة ومرحلة التأسيس

تمهيد

كانت بعثة النبي ﷺ حدثًا جليلاً في تاريخ البشرية، وكانت لهذه البعثة انعكاسات أثرت تأثيرًا جذريًا في مسيرة هذا التاريخ، فقد استعادت البشرية برسول الله ﷺ عزها وكرامتها، بعد طول مذلة وهوان، إذ بعثه الله ﷻ على فترة من الرسل، ضل فيها الناس، وجحدوا عقولهم وقلوبهم، ونشروا في الأرض خرافات وأباطيل وأوهامًا، واستبد الأقوياء والأغنياء بفرص العيش، وسحقوا تحت أقدامهم الضعفاء والمساكين، وصار الناس كلهم - حُرُّهم وعبدهم - أسرى للمطامع والشهوات

في هذه الفترة الحالكة من تاريخ البشرية اختار الله ﷻ صفوة خلقه محمدًا ﷺ ليبلِّغ الناس جميعًا آخر كتبه ويهديهم آخر شرائعه، فيكون آخر مَنْ حمل رسالة السماء إلى الأرض، فهو ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبي بعده ﷺ ولا رسول، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُيُوتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ، قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ» [رواه البخاري، الحديث ٣٢٧١]

ونحن في عرضنا لسيرته ﷺ نريد أن نبين أن محمدًا ﷺ ليس قصة تُتلى، ولا مدائح تُؤلَّف ليترنم بها عاشقوه، فرباط المسلم برسوله الكريم ﷺ أقوى وأعمق من ذلك بكثير، رباط يدفعه إلى الاستمساك بسنته ﷺ والعودة إلى جوهر الدين الحنيف، رباط يجعله يهتم لتقويم نفسه وإصلاح شأنه وشأن أمته، حتى يكون قريبًا من هدي محمد ﷺ، في خلقه وسلمه، وعلمه وعمله، وعاداته وعباداته

إن المسلم الذي لا يعيش والرسول ﷺ في ضميره، ولا تتبعه بصيرته في عمله وتفكيره - لا يُعبأ عنه أبدًا أن يُحرِّك لسانه في اليوم والليلة بألف صلاة عليه ﷺ

*****

١- حياة النبي ﷺ قبل البعثة

قدوم مُتَطر ووصف مُستَطر

لم يكن مبعث النبي ﷺ مفاجأة للعالم، بل كان قدومه متطرًا، ذلك أن الرسالات والكتب السابقة عليه بشرت بمجيئه ﷺ، فقد جاء وصفه في التوراة، وتناقله أهل الكتاب، ومنهم عَلِمَ به بعض العرب، قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ. لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي التَّوْرَاةِ، قَالَ أَجَلْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي القُرْآنِ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[1] وَحِرْزًا[2] لِلأُمِّيِّينَ[3]، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلا غَلِيظٍ وَلا سَخَّابٍ[4] فِي الأَسْوَاقِ، وَلا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ؛ بِأَنْ يَقُولُوا: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا

[رواه البخاري، الحديث ١٩٨١]

نسبه ومولده ﷺ:

وُلِدَ ﷺ من أشرف بطون[5] قريش بني هاشم، فعن وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ

---

١ - الآية ٤٥ من سورة الأحزاب

٢ - الحرز الحفظ والصون

٣ - الأميين الامي هو من لا يقرأ ولا يكتب، والمقصود بهم هنا العرب

٤ - سخاب كذا في البخاري، وفي سنن الدارمي والكبرى للبيهقي والأدب المفرد للبخاري (صخاب) بالصاد، وهو الكثير الصخب، والصخب هو اختلاط الأصوات في الأسواق وارتفاعها

٥ - بطون المراد اشرف أسرها وعائلاتها

إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ" [رواه مسلم، الحديث ٤٢٢١]

وكان مولده ﷺ في عام الفيل بعد وفاة والده عبد الله، فعَنْ قَيْسِ بْنِ مَخْرَمَةَ قَالَ: وُلِدْتُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامَ الفِيلِ، فَنَحْنُ لِدَانٍ[1] وُلِدْنَا مَوْلِدًا وَاحِدًا [رواه أحمد، الحديث ١٧٢١٨]

وكان الميلاد يوم الاثنين، قال أبو قَتَادَةَ الأَنْصَارِيُّ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ الاثْنَيْنِ فَقَالَ "فِيهِ وُلِدْتُ وَفِيهِ أُنْزِلَ عَلَيَّ". [رواه مسلم، الحديث ١٩٧٨]

مكانة الداعية تؤهله للتأثير:

كان لهذا النسب الكريم ولرفعة المكانة الاجتماعية أثر في استمالة الناس إلى دعوته ﷺ، وهما عرف هرَقْلُ الروم صدق نبوته ﷺ، روى ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو سُفْيَانَ رضي الله عنه قَالَ: انْطَلَقْتُ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا بِالشَّامِ إِذْ جِيءَ بِكِتَابٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى هِرَقْلَ قَالَ وَكَانَ دَحْيَةُ الْكَلْبِيُّ جَاءَ بِهِ فَدَفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ عَظِيمُ بُصْرَى إِلَى هِرَقْلَ، قَالَ فَقَالَ هِرَقْلُ هَلْ هَا هُنَا أَحَدٌ مِنْ قَوْمِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَدُعِيتُ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَدَخَلْنَا عَلَى هِرَقْلَ فَأُجْلِسْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَقُلْتُ أَنَا، فَأُجْلِسُونِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَجْلَسُوا أَصْحَابِي خَلْفِي، ثُمَّ دَعَا بِتَرْجُمَانِهِ فَقَالَ قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: وَايْمُ[2] اللَّهِ لَوْلا أَنْ يُؤْثَرُوا عَلَيَّ الْكَذِبَ لَكَذَبْتُ،

---

١ – لِدان: مولودان

٢ – وايم الله: لفظ من ألفاظ القسم

ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: سَلْهُ كَيْفَ حَسَبُهُ[1] فِيكُمْ؟ قَالَ: قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو حَسَبٍ ... ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ حَسَبِهِ فِيكُمْ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو حَسَبٍ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَحْسَابِ قَوْمِهَا . [رواه البخاري، في الحديث ٤١٨٨]

رضاعة النبي ﷺ وحضانته:

رضع رسول الله ﷺ في بادئ مولده من امرأة تدعى ثُوَيْبَةَ[2]، وهي التي أرضعت أبا سلمة، قال رسول الله ﷺ « . أَرْضَعَتْنِي وَأَبَا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ. » [رواه البخاري، من الحديث ٤٧١١]، واستكمل رضاعته وحضانته ونشأته الأولى في ديار بني سعد بن بكر عند حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، وهناك أمضى الرسول ﷺ خمس سنوات، كانت سنوات خير، إذ دَرَّت الضُّروع[3] بعد جفاف ولان العيش وأخصب، مما زاد من تعلق حليمة وزوجها به ﷺ وإعزازهم له، وقيل عودته إلى أمه حصَّنه الله ﷻ بإزالة حظ الشيطان من قلبه ﷺ ليكون جهاده في متابعة الترقي لا في مقاومة التدني، وفي تطهير العامة من المنكر لا في التطهر منه.

إزالة حظ الشيطان

روى أنس بن مالك ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ[4] فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ فَاسْتَخْرَجَ القَلْبَ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً[5] فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ

---

١ – حسبه: سيرته وشرفه.

٢ – ثويبة: مولاة لأبي لهب، كان أبو لهب أعتقها.

٣ – درّت الضروع: حفلت باللبن، والضروع: أثداء الإبل والغنم.

٤ – صرعه: أنامه على ظهره.

٥ – العلقة: قطعة يسيرة من دم متجمد.

فِي طَسْتٍ[1] مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لأَمَهُ[2]، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظِئْرَهُ[3] - فَقَالُوا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ[4] اللَّوْنِ. [رواه مسلم، من الحديث ٢٣٦] وعُرِفت هذه الحادثة بحادثة شق الصدر الأولى

تركية الفطرة وإنماء المشاعر

كانت تنشئة النبي ﷺ في البادية، ومرحه في كنف الطبيعة التي خلقها الله ﷻ، واستمتاعه ﷺ بحوها الطلق وشعاعها المرسل من أسباب تركية الفطرة وإنماء الأعضاء والمشاعر، وإطلاق العواطف، ومن ثمار مثل هذه التنشئة اتساق الإنسان مع حقائق الكون الذي وجد فيه، وتوافقه الفطري مع ضوابطه وقوانينه

يُتْمٌ يُرَبِّي سبيل المشاعر:

واكتمل يتمه ﷺ بعد ذلك بوفاة والدته، فبعد أن مات أبوه وهو جنين، فقد أمه أيضًا وهو ابن ست سنوات، هذا اليتم جعله من أكثر الناس إحساسًا بالمعاني الإنسانية والعواطف النبيلة تجاه الضعفاء والفقراء والمحتاجين، وفي كل زمان يحتاج الدعاة أن يُكَوِّنوا في أنفسهم مثل هذا الرصيد الكبير من المشاعر تجاه المستضعفين

عادت أم أيمن رعايتها للنبي ﷺ بعد وفاة والدته، قَالَ ابن شِهَابٍ

---

١ - الطست الإناء

٢ - لأمه ضم بعضه إلى بعض

٣ - الظئر المرضعة، وتطلق أيضًا على زوجها

٤ - منتقع متغير

وَكَانَ مِنْ شَأْنِ أُمِّ أَيْمَنَ أُمِّ أُسَامَةَ بن زَيْد أَنَّهَا كَانَتْ وَصِيفَةً[1] لِعَبْد اللَّه بن عَبْد الْمُطَّلب، وَكَانَتْ مِنَ الْحَبَشَة، فَلَمَّا وَلَدَتْ آمِنَةُ رَسُولَ اللَّه ﷺ بَعْدَ مَا تُوُفِّيَ أَبُوهُ، فَكَانَتْ أُمُّ أَيْمَنَ تَحْضُنُهُ حَتَّى كَبِرَ رَسُولُ اللَّه ﷺ فَأَعْتَقَهَا، ثُمَّ أَنْكَحَهَا زَيْدَ بن حَارِثَةَ، ثُمَّ تُوُفِّيَتْ بَعْدَ مَا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّه ﷺ بِخَمْسَةِ أَشْهُرٍ [رواه مسلم، من الحديث ٣٣١٨]

النحابة تؤهل للصدارة.

لاحت أمارات النجابة والذكاء عليه ﷺ منذ صغره، الأمر الذي أهَّله أن يكون له الصدارة بحوار مجلس جده، وكان يَردُّه أعمامه فيُسافح عنه جَدُّه قائلاً دعوه ،فوالله إن له لشأنًا

وعلى هذا المنوال سار عمه أبو طالب، فقد كان يصحبه معه حتى في رحلات التجارة إلى الشام، فعن عبد الله بن قيس قَالَ. خَرَجَ أَبُو طَالِب إِلَى الشَّامِ وَخَرَجَ مَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَشْيَاخٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى الرَّاهِبِ هَبَطُوا فَحَلُّوا رِحَالَهُمْ فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الرَّاهِبُ - وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ بِهِ فَلا يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ وَلا يَلْتَفِتُ - قَالَ: فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمْ[2] الرَّاهِبُ حَتَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللَّه ﷺ قَالَ هَذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ، هَذَا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَبْعَثُهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ مَا عِلْمُكَ؟ فَقَالَ إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنَ الْعَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلا حَجَرٌ إِلا خَرَّ سَاجِدًا، وَلا يَسْجُدَانِ إِلا لِنَبِيٍّ، وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ أَسْفَلَ مِنْ غُضْرُوفِ كَتِفِهِ مِثْلَ التُّفَّاحَةِ، ثُمَّ رَجَعَ فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا، فَلَمَّا

---

١ - وصيفة مملوكة

٢ - يتخللهم يمر بينهم

أَتَاهُمْ بِهِ وَكَانَ هُوَ[1] فِي رِعْيَةِ الإِبِلِ قَالَ أَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأَقْبَلَ وَعَلَيْهِ عَمَامَةٌ تُظِلُّهُ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْقَوْمِ وَجَدَهُمْ قَدْ سَبَقُوهُ إِلَى فَيْءِ[2] الشَّجَرَةِ، فَلَمَّا جَلَسَ مَالَ فَيْءُ الشَّجَرَةِ عَلَيْهِ، فَقَالَ: انْظُرُوا إِلَى فَيْءِ الشَّجَرَةِ مَالَ عَلَيْهِ، قَالَ: فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِمٌ عَلَيْهِمْ وَهُوَ يُنَاشِدُهُمْ أَنْ لا يَذْهَبُوا بِهِ إِلَى الرُّومِ؛ فَإِنَّ الرُّومَ إِذَا رَأَوْهُ عَرَفُوهُ بِالصِّفَةِ فَيَقْتُلُونَهُ، فَالْتَفَتَ فَإِذَا بِسَبْعَةٍ قَدْ أَقْبَلُوا مِنَ الرُّومِ فَاسْتَقْبَلَهُمْ فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ قَالُوا. جِئْنَا، إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ خَارِجٌ فِي هَذَا الشَّهْرِ، فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلا بُعِثَ إِلَيْهِ بِأُنَاسٍ، وَإِنَّا قَدْ أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ بُعِثْنَا إِلَى طَرِيقِكَ هَذَا، فَقَالَ. هَلْ خَلْفَكُمْ أَحَدٌ هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ، قَالُوا: إِنَّمَا أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ بِطَرِيقِكَ هَذَا، قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ أَمْرًا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَهُ هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدَّهُ؟ قَالُوا لا ، قَالَ. فَبَايَعُوهُ[3]، وَأَقَامُوا مَعَهُ، قَالَ أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ أَيُّكُمْ وَلِيُّهُ؟ قَالُوا أَبُو طَالِبٍ، فَلَمْ يَزَلْ يُنَاشِدُهُ حَتَّى رَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ وَبَعَثَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ بِلالاً، وَزَوَّدَهُ الرَّاهِبُ مِنَ الْكَعْكِ وَالزَّيْتِ [رواه الترمذي ، الحديث ٣٥٥٣، وكل رواته ثقات].

إيجابية الدعاة من إيجابية نبيهم

شارك النبي ﷺ قومه في أمور الخير، فقد شهد معهم حلفًا على نصرة المظلوم، وإرجاع حقه إليه، فعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن عَوْفٍ قَالَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "شَهِدْتُ غُلامًا مَعَ عُمُومَتِي حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ وَأَنِّي أَنْكُثُهُ[4]". [رواه أحمد، الحديث ١٥٨٦].

---

١ - يعني محمدًا ﷺ

٢ - الفيء الظل

٣ - فبايعوه فوافقوه

٤ - أنكثه أنقضه وأحالفه

كما شارك قومه في بناء الكعبة عندما حددت قريش بناءها، فعن جَابِرَ ابن عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ الْحِجَارَةَ لِلْكَعْبَةِ [رواه البخاري، من الحديث ٣٥١]

ولعل ذلك هو الذي أدى إلى أن يدفع أئمة دعاة الحق أتباعهم إلى الإسهام في الخير العام واتخاذه غاية قريبة، وإنك لتسمع قائلهم يُعَرِّف هذه الغاية القريبة لأهل الحق بقوله "هي المساهمة في الخير العام، أيًّا كان لونه ونوعه، والخدمة الاجتماعية كلما سمحت بها الظروف "[1] ويقول: "تعمل على تعليم الأميين وتلقين الناس أحكام الدين، وتقوم بالوعظ والإرشاد والإصلاح بين المتخاصمين، والتصدق على المحتاجين، وإقامة المشتشات النافعة من مدارس ومعاهد ومستوصفات ومساجد "[2]

استقامة ترفع الرأس:

عصم الله تعالى نبيه ﷺ من لهو الجاهلية وعبثها من قبل البعثة، فنشأ ﷺ لم يعبد وثنًا ولم يأكل شيئًا ذبح لغير الله، ولم يشرب خمرًا، ولم يعرف فحش القول

إنَّ لسلوك الداعية الشخصي الناصع وشخصيته أثرًا فيمن يدعوهم، والداعية الحق يصون حياته من التلوث، حتى لا يكون هناك مثار للشك في صدقه بسبب ماضيه، وحتى لا يجد أحدٌ معبرًا في ماضي الداعي يأخذه عليه، فيظل مرفوع الرأس لا يطارده ماض مُلَوَّث.

---

١ - من رسالة المؤتمر السادس، مجموعة رسائل الإمام، ص ٥٢، ط. المؤسسة الإسلامية.

٢ - من رسالة المؤتمر السادس، مجموعة رسائل الإمام، ص ٥٢، ط. المؤسسة الإسلامية

ومهنة تعف اليد

وعمل ﷺ مد ريعان الشباب لكسب رزقه، فعمل أولاً برعي الأغنام لأهل مكة بأجر زهيد، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ "مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلا رَعَى الْغَنَمَ" فَقَالَ أَصْحَابُهُ وَأَنْتَ؟ فَقَالَ "نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ[1] لأَهْلِ مَكَّةَ" [رواه البخاري، الحديث ٢ ٢١]

ثم عمل ﷺ بعد ذلك في التجارة، فالداعية الحق يعتمد على جهده الشخصي في المعيشة بعيدًا عن السؤال والاستجداء، فبذلك فقط يستطيع الدعاة أن يقولوا وهم مرفوعو الرأس "فلسنا نسأل الناس شيئًا، ولا نقتضيهم مالاً، ولا نطالبهم بأجر، ولا نريد لهم وجاهة، ولا نريد منهم جزاءً ولا شكورًا"[2]

وفضلاً عن ذلك فإن العمل والخلطة والاحتكاك بالناس يُكسب الداعية الخبرة ويُعرِّفه بعادات الناس وأوضاعهم ومشكلاتهم، وأكثر الأعمال إفادة في هذا المضمار الأعمال الاقتصادية الحرة، مثل التجارة التي اهتدى رسول الله ﷺ إلى ممارستها، لهذا أوجب دعاة الإسلام ذلك على أنفسهم، يبدو ذلك في وصايا أحد أئمتهم لهم، يقول - في نطاق عرضه لواجبات الداعية - "أن تزاول عملاً اقتصاديًا مهما كنت غنيًا، وأن تُقدم على العمل الحُر مهما كان ضئيلاً، وأن تروح بنفسك فيه مهما كانت مواهبك العلمية وأن تحرص كل الحرص على أداء مهنتك من حيث الإجادة والإتقان وعدم العنت وضبط الموعد"[3]

---

١ - القيراط جزء من الدينار

٢ - من رسالة دعوتنا، مجموعة رسائل الإمام، ص ١٣، ط المؤسسة الإسلامية

٣- من رسالة التعاليم، مجموعة رسائل الإمام، ص٣٦٦، ط المؤسسة الإسلامية

وكانت تجارة الرسول ﷺ مودحًا في دلك كله، وعُرِفت سماحته وبراهته وعِفَّته، وأصبح محطَّ أنظار شرفاء قريش وشريفاتها، فدعته السيدة خديجة بنت خويلد الشريفة القرشية للتجارة في مالها، ثم عرضت عليه الزواج عن طريق صديقتها نفيسة بنت منية، فتزوجها ﷺ وهو ابن خمسة وعشرين عامًا

الخلوة تصقل القلب وتسمو بالروح:

ألهم الله ﷻ نبيه ﷺ الاعتلاء في عار حراء، قالت عَائِشَةُ - رضي الله عنها - كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إِلا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ[1] الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاءُ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ أُولاتِ الْعَدَدِ[2] قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدَ لِذَلِكَ[3]، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ[4] وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ [رواه مسلم، من الحديث ٢٣١]

في عار حراء كان محمد ﷺ يتعبد ويصقل قلبه ويقي رُوحَه ويقترب من الحق جُهْدَه، ويتعد عن الباطل ما وَسِعَه، والخُلوة فرصة للتقويم والمحاسبة والتفكر، وهي أمور لا تنفك عن حياة الدعاة، وسيا ﷺ لم يتلقَّ علمًا على راهب أو كاهن أو فيلسوف ممن طهروا على عهده، ولكن بالخُلوة وبعقله الحصب وفطرته الصافية طالع صحائف الحياة وشئون

---

١ - الفلق النور

٢ - المقصود الها ليال لا يُعلم عددها

٣ - أي يأخذ ما يكفيه من الطعام والشراب

٤ - تعني الوحي

الناس وأحوال الجماعات، فعاف ما ساءه من انحرافات، ثم خالط الناس على بصيرة من أمره وأمرهم، فما وجده حَسَنًا شارك فيه، وإلا عاد إلى خُلوته يتابع المطر

والدعاة والمصلحون في كل زمان ومكان هم بحاجة للتزود من زاد الخلوة، خاصة إذا ما كانت المجتمعات التي يعيشونها تعج بالفساد والضلال

*****

٢- منذ البعثة وحتى الهجرة

وجاء أوان البعثة، فما أن انقضت ستمائة سنة بعد بعثة عيسى ابن مريم عليه السلام حتى جاء أوان بعثة محمد ﷺ، قَالَ سَلْمَانُ فَتْرَةٌ بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ - سِتُّمِائَةِ سَنَةٍ [1] [رواه البخاري، الحديث ٣٦٥٤]

عندما نتابع قصة بدء الوحي في صحيح الحديث الشريف تخلق بنا مشاعر لا نجدها إلا في رحاب مثل هذه النصوص، وفي الأحاديث الطويلة التي رواها البخاري عن بدء الوحي نستطيع أن نمير بدء نبوته ﷺ، ونتعلم قاعدة من قول السيدة خديجة مفادها أنَّ الأبرار لا يُخذلون، وقانونًا من ورقة ابن نوفل يُبَيِّن أنَّ مقاومة الأنبياء والمرسلين سُنَّةٌ ماضية في الظالمين، ثم نعايش فتور الوحي وثمرته التربوية قبل بدء الرسالة بأعمالها

بدء نُبوَّته ﷺ

قالت عَائِشَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ - رضي الله عنها - : أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إِلا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ [2] إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدَ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ اقْرَأْ، قَالَ ﷺ «مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ

---

١ - ذلك على التقريب، فإن الرسول ﷺ وُلِد في عام ٥٧١م

٢ - ينزع يعود

فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي[1] حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي[2]، فَقَالَ اقْرَأْ، قُلتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ، فَقُلتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾[3]»، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فَقَالَ «زَمِّلُونِي[4] زَمِّلُونِي»، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ[5]

[رواه البخاري، من الحديث ٣]

الأبرار لا يُحدِّلون ولا يُحْزَون.

تُتابع أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - رواية الحديث فتقول فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ كَلا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ[6] اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ[7]، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ[8] وَتَقْرِي الضَّيْفَ[9] وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ[10] الحَقِّ [رواه البخاري، من الحديث ٣]

وهنا يتجلى دور الزوجة الصالحة، ممثلاً في موقف السيدة خديجة -رضي الله عنها - إذ وقعت مع زوجها ﷺ فلم تُسفِّه كلامه،

---

١ - غطّه ضمه ضمًّا شديدًا

٢ - ارسلني تركني

٣ - الآيات ١ ، ٢ ، ٣ من سورة العلق

٤ - زملوني غطوني

٥ - الروع الفزع

٦ - ما يخزيك لا يُذلك ولا يصيبك

٧ - الكَلّ العاجز

٨ - المعدوم الفقير

٩ - تقري الضيف تحسن وفادته وصلته

١٠ - النوائب المصائب

و لم تسحر مه، بل صدقته في كل ما قال، وطمأنته حين قلق، وأراحته حين جَهَد، وذكّرته مما فيه من فضائل، مؤكدة له أن الأسرار أمثاله لا يحزون أبدًا، فكانت -رضي الله عنها - نعم الروح ونعم الرفيق ونعم الناصر ونعم المعين، واستحقت موقفها هذا أن يحييها رب العالمين، فيرسل إليها السلام مع الروح الأمين[1]، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِه خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ[2] أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ[3] لا صَخَبَ[4] فِيهِ وَلا نَصَبَ[5] [رواه البخاري، الحديث ٣٥٣٦]

مقاومة دعاة الحق عادة بشرية

وتستكمل السيدة عائشة - رضي الله عنها - روايتها للحديث فتقول فَانْطَلَقَتْ به خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ به وَرَقَةَ بن نَوْفَلِ بن أَسَدِ بن عَبْد العُزَّى ابن عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ[6] فِي الجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ يَا ابن عَمِّ اسْمَعْ مِنِ ابن أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ يَا ابن أَخِي، مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ[7] الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي

---

١ - هو جبريل عليه السلام

٢ - الإدام ما يؤكل مع الخبز من الطعام

٣ - القصب الدُّر المرصع بالجواهر

٤ - الصخب الصوت المختلط المرتفع

٥ - النصب التعب

٦ - تنصر اعتنق النصرانية

٧ - الناموس المقصود به صاحب السر، يعني جبريل عليه السلام

فِيهَا جَذَعًا[1] لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟!» قَالَ نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِـهِ إِلا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا[2]، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ[3] وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ[4] الوَحْيُ. [رواه البخاري، من الحديث ٣]

فتورٌ يُشْعِرُ بالقيمة وحزنٌ يَشحَذُ العزيمة

فتر نزول الوحي على النبي ﷺ وانقطع نزوله لمدة معينة اختلف في تحديدها كُتّاب السير، وكانت فترة الانقطاع هذه فترة عصيبة على النبي ﷺ حَزِنَ فيها حزنًا شديدًا، فلقد ظنَّ أنَّ ربه ﷻ هجره، وتصور أنه قد حُرِمَ من هذه النِّعْمَة العظيمة، تقول السيدة عائشة - رضي الله عنها - « ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا بَلَغَنَا حُزْنًا عَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الجِبَالِ[5]، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ[6]، وَتَقِرُّ نَفْسُهُ، فَيَرْجِعُ، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الوَحْيِ عَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ [رواه البخاري، من الحديث ٦٤٦٧]

وامتزج حُزْنُ النبي ﷺ أثناء فتور الوحي باشتياقه ﷺ لوحي ربه ﷻ،

---

١ - الجذع الشاب الصحيح القوي

٢ - مؤزرًا قويًا عظيمًا

٣ - لم ينشب لم يلبث، أي لم يمكث إلا فترة قصيرة

٤ - فتر الوحي انقطع لمدة

٥ - لم ينشب لم يلبث إلا مدة قصيرة

٦ - أي يرمي نفسه من فوق الجبال العالية، حزنًا وحيقًا

٧ - قلبه

ومثل هذه المشاعر من شأنها أن تُحسِّد للإنسان عِظَمَ النعمة التي أنعم الله بها عليه، ومثل هذا الشوق من شأنه أن يهيئ النبي ﷺ لتَحَمّل مشاق ما هو مقبل عليه من تكاليف وأعباء الدعوة والرسالة، ولهذا أثره في تعاظم استمساكه ﷺ بما سيُوحَى إليه، وله أثره في زيادة ثباته على أمر ربه في مواجهة الصعاب الشديدة التي تواجه أصحاب الدعوات، إنها صعاب تجعل هذه الدعوة "لا يصلح لها إلا من حاطها من كل حوانبها، ووهب لها ما تُكلِّفه إياه من نفسه وماله ووقته وصحته، فهي دعوة لا تقبل الشركة، فمن استعد لذلك فقد عاش بها وعاشت به"[1]، وكل ذلك لا يتحقق إلا لِمَن أحب دعوته، واشتاق إليها وفي فيها

نهاية الفتور وبدء الرسالة.

وجاء اليوم الذي استَكْمَلت فيه التربية فتور الوحي أهدافَها، وآنَ للنبيِّ ﷺ أن يصبح رسولاً مُكلفًا هداية العالمين، فعن جَابِر بن عَبْد اللَّه الأَنْصَارِي قال: قال: قال رسول الله ﷺ: "...بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصَرِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ فَرُعِبْتُ مِنْهُ فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ﴾[2] إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[3]، فَحَمِيَ[4] الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ" [رواه البخاري، بقية الحديث ٣]

ولا أهمية كبيرة لتحقيق كم طالت مدة فتور الوحي، وهل كانت

---

١ – من رسالة دعوتنا، مجموعة رسائل الإمام، ص ١٤، ط دار الشهاب، (بتصرف)

٢ – من سورة المدثر الآيات ١، ٢

٣ – من سورة المدثر الآية ٥

٤ – اشتد

ستة أشهر أم كانت ثلاث سنوات، لكن الأهمية تكمن في فهم أثر تربية دعاة الحق على تقدير أهمية ارتباطهم بركب الدعوة، وهي تكمن في إدراك أن مَن يشتاق قلبه إلى حلاوة العمل في سبيل الله ﷻ هو الذي يُوفَّق إلى تحمل التبعات والثبات على المبادئ

وهكذا دعاة الحق في كل زمان ومكان، عندما يشعرون أن دعوة الحق إن لم تقم بهم قامت بغيرهم، فإنهم يسألون الله ﷻ أن يستعملهم فيها ولها، ويرددون حرصًا على أن يلحقوا بركبها، وعندما يحول حائل بين دعاة الحق وبين شرف العمل فيها، وحلاوة التقرب إلى الله ﷻ بالبذل من حلالها، فإنهم يرددون شوقًا إلى فَرَجٍ من الله ﷻ يستطيعون به خدمتها، وتراهم ثابتين على مبادئها، حافظين أصولها، مخلصين وهم يتحملون تبعاتها وما قد يصيبهم من مشاق بسببها

بناء القاعدة الصلبة

توارى رسول الله ﷺ في مكة وأخذ يدعو للإسلام مَن رجَحَ عقله في خفاء، وأخذ يُربِّي من يؤمن معه بالصلاة (الدعاء) فعَنِ ابن عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّه عَنْهمَا - قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُتَوَارِيًا بِمَكَّةَ، وَكَانَ يَرْفَعُ صَوْتَهُ فَإِذَا سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ سَبُّوا الْقُرْآنَ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ لِنَبِيِّهِ ﷺ ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾[1]. [رواه البخاري، الحديث ٦٩٩٢]

الجهر بالدعوة في الأقربين

وعندما أذِنَ الله ﷻ بالجهر بالدعوة، بادر الرسول ﷺ إلى تمهيد الأمر تمامًا كما جاء، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ

---

١ - من الآية ١١٠ من سورة الإسراء

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[1]، قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» [رواه البخاري، الحديث ٢٥٤٨]

ويحكي ابن عباس - رضي الله عنهما - موقفًا آخر للنبي ﷺ فيقول. صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي «يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولاً لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلا صِدْقًا، قَالَ «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ تَبًّا[2] لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾»[3] [رواه البخاري، الحديث ٤٣٩٧] ولقد حرص ﷺ في بادئ دعوته على طمأنة عشيرته، فأوضح لهم أنه ما يريد لهم إلا الخير، يروي زُهَيْرُ بْنُ عَمْرٍو أنه ﷺ نَادَى: «يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ إِنِّي نَذِيرٌ، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَى الْعَدُوَّ فَانْطَلَقَ يَرْتَأُ أَهْلَهُ[4] فَخَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ فَجَعَلَ يَهْتِفُ يَا صَبَاحَاهْ[5]» [رواه مسلم، من الحديث ٦ ٣]

---

١ - الآية ٢١٤ من سورة الشعراء

٢ - التب الهلاك والخسران

٣ - الآيتان ١ ، ٢ من سورة المسد

٤ - يرتأ أهله يتطلع لهم ليحفظهم

٥ - ياصاحاه كلمة استغاثة

وما زال رسول الله ﷺ بعشيرته حتى أوضح لهم بغير أدنى لبس أن نجاتهم في الإيمان معه، والتزام دعوة الحق، فعَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ "إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ. يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ[1] فَالنَّجَاءَ[2]، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا[3] فَانْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ" [رواه مسلم، الحديث ٤٢٣٣]

ومن ذلك يتعلم دعاة الحق في كل زمان ومكان أن يتفانوا في أداء الواجبات التي تفرضها الدعوة عليهم، يقدمونها فورًا وبدقة وكما تُطلب منهم تمامًا، ثم يحرصون على أن يدرك قومهم ومواطنوهم "أنهم أحب إليهم من نفوسهم، وأنه حبيب إلى هذه النفوس أن تذهب فداء لعرضهم إن كان فيها الفداء، وأن ترهق دمًا لمجدهم وكرامتهم ودينهم وآمالهم إن كان فيها العناء، وعندما يُوَجِّهون الدعوة للناس، فإنهم يصارحونهم بغايتهم، ويُجَلُّوا أمامهم مهاجهم في غير لبس ولا غموض"[4]

إعلان الدعوة في العالمين

وبعد سنوات ثلاث، بلغ عدد المسلمين في القاعدة الصلبة ثلاثين، وصدر أمر الله ﷻ بإعلان الدعوة في العالمين، فقال ﷻ. ﴿فَاصْدَعْ بِمَا

---

١ – النذير العريان: مثل قديم أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المحافظة سرع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيدًا عنهم ليحوهم بالأمر

٢ – النجاء: أي اطلبوا النجاة

٣ – أدلجوا: ساروا أول الليل

٤ – من رسالة دعوتنا، مجموعة رسائل الإمام، (بتصرف)

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[1]، وبدأ الحق يمضي دون اكتراث بسطوة المشركين، وبدأت القاعدة الصلبة تتسع بانضمام آخرين إلى مدرسة الأرقم بن أبي الأرقم، تلك الدار التي كان المصطفى ﷺ يجمع المؤمنين فيها، ويلتقي بهم سرًّا، ليُعَلِّمهم أمور دينهم ويزيد من إيمانهم

الابتلاء سُنَّةُ الدعوات

بإعلان الدعوة في العالمين، انفجر مشركو مكة بمشاعر الغضب، وطلوا عشرة أعوام يَعُدُّون المسلمين عُصاة خارجين، وصاحت هذه العداوة المشتعلة حرب من السخرية والتحقير قُصد بها إضعاف قوى المسلمين المعنوية، فرُمي النبي ﷺ وصحابته بُتُهم هازلة وشتائم سفيهة، قالوا عنه ﷺ إنه مجنون ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[2]، ووصموه بالسحر والكذب ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾[3]، ولم يكن حظ سائر المسلمين أفضل من ذلك، فهم في عُدُوِّهم ورواحهم محل التندر واللمز ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ * وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾[4]

وتطورت هذه الحرب المعنوية إلى تكبيل وسفك قدم المستضعفين من المؤمنين، فمن ليست له عُصْبَة تدفع عنه لا يعصمه من الهوان والقتل

---

١ – الآية ٩٤ من سورة الحجر

٢ – الآية ٦ من سورة الحجر

٣ – الآية ٤ من سورة ص

٤ – الآيات من ٢٩ ٣٣ من سورة المطففين

شيء، بل يُحْبَس على الآلام والتعذيب حتى يكفر أو يموت أو يسقط إعياءً.

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلامَهُ سَبْعَةٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعَمَّارٌ وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ وَصُهَيْبٌ وَبِلالٌ وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ وَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ. [رواه ابن ماجة، من الحديث ١٤٧]

مات ياسر من العذاب، وشددوا العذاب على عَمَّار، بالحر تارة، وبوضع الصخر على صدره أخرى، وبالتعريق أخرى، أما بلال فكان سيده أمية بن خلف - إذا حميت الشمس وقت الظهيرة - يُقَلِّبه على الرمال الملتهبة، ويأمر بالصخرة الحسيمة فتلقى على صدره، ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فما يريد بلال عن ترديد قول أحد أحد [١]

وبالت المرأة شرف تحمل الأذى في سبيل دينها ودعوتها، فلم يُفَرِّق الطغاة في تعذيبهم للمؤمنين بين رجل وامرأة، فكانت السيدة سُمية - أم عمَّار - مثلاً أعلى للنساء المسلمات في كل عصر، في عمق الإيمان والبذل والتضحية في سبيل الله، والصبر على الإيذاء حتى الرمق الأخير، ولقد لاقت من العذاب الكثير، وقيل إن أبا جهل - عليه لعنة الله - طعنها في قُبُلها بحربة كانت في يده فماتت

لقد فهم دعاة الحق من كل ذلك أن الابتلاء سنة من سنن الدعوات، بل إن منهم من حرص على التشبه إلى ذلك قبل حدوثه، فيقول

---

١ - محمد الغزالي، فقه السيرة، ط دار الدعوة، ص١٢٠ ١٢٣ (بتصرف)

أحد الأئمة "وسيتدرع العاصون بكل طريق لمناهضتكم وإطفاء نور دعوتكم، وسيثير الجميع حول دعوتكم عار الشبهات وظلم الاتهامات، وسيحاولون أن يلصقوا بكم كل نقيصة، وأن يظهروها للناس في أبشع صورة، معتمدين على قوتهم وسلطانهم، ومعتدِّين بأموالهم ونفوذهم، وستدخلون بذلك -ولا شك- في دور التجربة والامتحان، فتسجنون وتعتقلون، وتنفون وتشردون، وتصادر مصالحكم وتعطل أعمالكم وتفتش بيوتكم، وقد يطول بكم الامتحان "[1]، لقد عَدَّها بعض مَن سمعها سوءة، لكنها كانت تنم عن فهم عميق لسيرة النبي ﷺ

الإيذاء يطُول القيادة كما يطُول الصف.

ومع أن الله ﷻ قد عصم نبيه ﷺ من أن يقتله أحد من المشركين ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[2]، إلا أنه ﷺ لاقى من صنوف الإيذاء الأخرى ما لاقى أصحابه، فلم يكن معزولاً عنهم معمًا إذ هم مصطفدون، بل طاله الإيذاء كما طالهم

فعلاوة على اتهامه ﷺ بالكذب والسحر، وتعييره ﷺ بأنه أبتر لا ولد له، ووضع الشوك في طريقه وعلى بابه، فقد أوشك أحد المشركين أن يقتل رسول الله ﷺ حقًا، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَمْرِو بن العَاصِ بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي بِفِنَاءِ الكَعْبَةِ إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بن أَبِي مُعَيْطٍ، فَأَخَذَ بِمَنْكِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَوَى ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ

---

١ - من رسالة بين الأمس واليوم، مجموعة رسائل الإمام، ص ١٤٣، دار الشهاب

٢ - من الآية ٦٧ من سورة المائدة

أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾[1] [رواه البخاري، من الحديث ٤٤٤١]

ويحكي عَبْدُ اللَّه بن مسعود ﷺ مشهدًا من مشاهد إيذاء المشركين للنبي ﷺ فيقول: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ سَاجِدٌ وَحَوْلَهُ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ، جَاءَ عُقْبَةُ بن أَبِي مُعَيْطٍ بِسَلَى[2] جَزُورٍ فَقَذَفَهُ عَلَى ظَهْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ - عَلَيْهَا السَّلام - فَأَخَذَتْهُ مِنْ ظَهْرِهِ وَدَعَتْ عَلَى مَنْ صَنَعَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ المَلأَ مِنْ قُرَيْشٍ أَبَا جَهْلِ بن هِشَامٍ وَعُتْبَةَ بن رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بن رَبِيعَةَ وَأُمَيَّةَ بن خَلَفٍ أَوْ أُبَيَّ بن خَلَفٍ» -شُعْبَةُ[3] الشَّاكُّ - فَرَأَيْتُهُمْ قُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ، فَأُلْقُوا فِي بِئْرٍ غَيْرَ أُمَيَّةَ بن خَلَفٍ أَوْ أُبَيٍّ تَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُ فَلَمْ يُلْقَ فِي البِئْرِ [رواه البخاري، الحديث ٣٥٦٥]

كما أمر أبو لهب - عم النبي ﷺ - ابنيه عتبة وعتيبة بأن يطلّقا ابنتي النبي ﷺ رقية وأم كلثوم[4]، حتى يتقل كاهل النبي ﷺ بهما ويشق عليه، فطلقاهما

قيادة حيرة تُثبِّت الصف وتبعث الأمل:

عندما تزايد أذى المشركين استصغر بعض المؤمنين رسول الله ﷺ، لكنه ﷺ عَمِلَ على بث روح الثبات في قلوبهم، وحرص ﷺ على أن يدرك المسلمون أن وقوع الإيذاء سُنَّة في الدعوات، يقول خَبَّابُ أَتَيْتُ

---

١ - من الآية ٢٨ من سورة غافر

٢ - سلى الجزور: ما يخرج من الناقة بعد الولادة [المشيمة]

٣ - شعبة: أحد الرواة

٤ - كان زواج ابني أبي لهب بابنتي النبي ﷺ قبل البعثة

النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً[1] وَهُوَ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، وَقَدْ لَقِينَا مِنَ المُشْرِكِينَ شِدَّةً فَقُلتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلا تَدْعُو اللَّهَ؟ فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ، فَقَالَ "لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ المِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلا اللَّهَ - زَادَ بَيَانٌ- [2] وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ" [رواه البخاري، الحديث ٣٥٦٣]

إن التفاعل مع هذا الموقف من السيرة هو الذي يُفسِّر صحة نفسية دعاة الحق في كل زمان ومكان حين يرون كل ما حولهم يُبَشِّر بالأمل رغم تشاؤم المتشائمين، فيُعلنوها مدوية "أنا لست يائسين من أنفسنا، وأنا نأمل خيرًا كثيرًا، ونعتقد أنه لا يحول بيننا وبين النجاح إلا اليأس"[3]، ثم هم يقولون: "الأمل سلاح، فنحن لا نيأس ولا نتعجل ولا نسبق الحوادث ولا نُضعف من همتنا طول الجهاد"[4]، كما أنهم لا ينسون "أن حقائق اليوم هي أحلام الأمس، وأحلام اليوم حقائق الغد، وتلك نظرة يؤيدها الواقع ويقررها الدليل والبرهان"[5]

الابتلاء فرز وتمحيص

لم يشأ الله ﷻ أن يجعل سبيل الذين آمنوا في مكة إلى التمكين وإقامة المجتمع المسلم سهلاً بدون مشقات، فالطريق السهل يسلكه المخلص والمنافق، ولا يصبر على مشقة الطريق إلا من كان إيمانه صادقًا

---

١ - كساء مخطط يلتحف به

٢ - بيان اسم أحد الرواة

٣ - من رسالة دعوتنا، مجموعة رسائل الإمام، ص ٢٩، ط المؤسسة الإسلامية، (بتصرف)

٤ - مجموعة رسائل الإمام، ص ٢٦٩ ط المؤسسة الإسلامية

٥ - مجموعة رسائل الإمام، ص ٥١ ط دار الشهاب

قويًّا، وبذلك يُمَكِّن للإسلام على أكتاف من رالت عنهم عيوبهم، وبان صدق إيمانهم، فالفتنة والابتلاء يُظهران صدق الصادقين وكذب الكاذبين وادعاء المدَّعين، يقول ﷻ: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾[1]، وقال أيضًا ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[2]

أودي أصحاب رسول الله ﷺ، حتى مات منهم من مات تحت العذاب، وعمي من عمي، رغم عظيم فضلهم وجليل قدرهم عند الله ﷻ، وعلى المسلمين أن يستبشروا بالنصر كلما رأوا أنهم يتحملون مزيدًا من الضُّر والنكبات سعيًا إلى تحقيق أمر ربهم ﷻ، يقول ﷻ ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[3]

وقد أثَّرَ هذا المعنى في حَمَلَة دعوة الحق في كل زمان ومكان، لذلك لا نستغرب من كلامهم مثل قولهم: "ستحدون أمامكم كثيرًا من المشقات، وسيعترضكم كثير من العقبات وفي هذا الوقت وحده تكونون قد بدأتم تسلكون سبيل أصحاب الدعوات"[4]

تحقق الهداية لا يعادله انتصار:

ومع أن النبي ﷺ دعا على من آذوه من قومه، إلا أنه ﷺ لم يُعادِ

---

١ - الآية ٢ من سورة العنكبوت

٢ - الآية ١٤٢ من سورة آل عمران

٣ - الآية ٢١٤ من سورة البقرة

٤ - مجموعة رسائل الإمام، ص ١٤٣، ط دار الشهاب، (بتصرف)

عموم الناس من قومه، بل لم يدعُ على عامة القوم من المشركين، ولم يطلب لهم الهلاك، ولو طلب ذلك لاستجاب الله له، فتروي أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عن رسول الله ﷺ أن جبريل عليه السلام ناداه فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، «فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ[1]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» [رواه البخاري، في الحديث ٢٩٩٢]

هذه العاطفة التي استبدت بقلب رسول الله ﷺ وهذا الأمل الذي راوده ﷺ هما اللذان يوقفان دعاة الحق في كل زمان ومكان بنفس هذا الموقف من قومهم ومواطنيهم ، لذلك تراهم لا يتمنون الشر والهلاك للناس، بل دائمًا يقولون لهم نحن نعمل للناس في سبيل الله أكثر مما نعمل لأنفسنا، فنحن لكم لا لغيركم، ولن نكون عليكم يومًا من الأيام [2]

الإيذاء بالحصار:

ويتمنى الباطل دائمًا في حرب أهل الحق، لقد أعلنت قريش على المسلمين حربًا اقتصادية بمقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب؛ لا يبيعوهم ولا يتزوجون منهم، ولا يخالطونهم، ولا يُكلِّمونهم ولا يدخلون بيوتهم، حتى يُسلِّموا إليهم رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا ذلك في صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة

---

١ - الأخشبان جبلان بمكة

٢ -مجموعة رسائل الإمام، ط دار الشهاب، ص ١١ (بتصرف)

ولإحكام الحصار تحالفت قريش مع بني كنانة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْغَدِ يَوْمَ النَّحْرِ- وَهُوَ بِمِنًى - "نَحْنُ نَازِلُونَ غَدًا بِخَيْفِ[1] بَنِي كِنَانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ" وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا وَكِنَانَةَ تَحَالَفَتْ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَوْ بَنِي الْمُطَّلِبِ أَنْ لا يُنَاكِحُوهُمْ وَلا يُبَايِعُوهُمْ حَتَّى يُسْلِمُوا إِلَيْهِمُ النَّبِيَّ ﷺ [رواه البخاري، الحديث ١٤٨٧]

قافلة الدعوة لا تُستدرج

استمرت المقاطعة سنتين أو ثلاثًا، لاقى المسلمون خلالها عنتًا شديدًا، واضطروا إلى أكل أوراق الشجر والجلود، واستعجل بعض المسلمين الخروج من هذه المآزق، فطالبوا النبي ﷺ بالسماح لهم بقتال المشركين، بَيْدَ أن الوحي كان يرسل مطالبًا بكف اليد، والعفو والصبر وإقام الصلاة، فامتثل دعاة الحق لأوامر الحق ﷻ من فوق سبع سماوات، واقتنعوا بأن يتركوا للقيادة تحديد طبيعة كل مرحلة، وحجم كل مواجهة، وتوقيت كل تغيير، وعلى هذا يسير دعاة الحق دائمًا، لا يتجاوزون مرحلة بناء قوة العقيدة والإيمان ولا يختصرون وقتها، ولا يسمحون لفرد مهما بلغ إخلاصه وحماسه أن يستدرج قافلة الدعوة إلى مواجهة لم يحن أوانها، حتى لو كان هذا بالإلحاح على القيادة، كما ألح هؤلاء النفر من أوائل المسلمين على رسول الله ﷺ

لقد فهم المسلمون الأوائل السُّنَّةَ التي تلازم دعاة الحق دائمًا، عصروا، وهي نفسها السُّنَّةَ التي يُذَكِّرُ بها الدعاة أنفسهم على مر الزمان، فيقول قادتهم على الدوام "اسمعوها كلمة عالية مدوية، إن طريقكم هذا

---

١ - الخيف الوادي

مرسومة خطواته موضوعة حدوده، أحل قد تكون طريقًا طويلة ولكن ليس هناك غيرها، فمن أراد أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقتطف زهرة قبل أوانها فخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات، ومن صَبَر حتى تنمو البذرة وتنضج الثمرة ويجني القطاف فأجره في ذلك على الله، ألجموا نزوات العواطف بسطوات العقول، وأنيروا أشعة العقول للهب العواطف، وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع، واكتشفوا الحقائق في أضواء الخيال الزاهية البراقة، ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة، ولكن غالبوها واستخدموها وحوِّلوا تيارها واستغيثوا بعضها على بعض، وترقبوا ساعة النصر وما هي منكم ببعيد"[1]

مقاطعة انتهت ومساومة فشلت.

أخبر الله ﷻ نبيه ﷺ بأن الأَرَضة[2] قد أكلت جميع ما في صحيفة عهد المقاطعة من ظلم وقطيعة، ولم تترك إلا اسم الله، فأخبر النبي ﷺ عمه أبا طالب الذي أخبر القوم، فذهبوا ليطالعوها فإذا هي كما أخبر رسول الله ﷺ مُقصت الصحيفة وانتهت المقاطعة

فلما لم تُجْدِ وسائل العنف والقهر في صرف المسلمين عن دينهم، حاول المشركون مساومة المسلمين، فعرضوا على النبي ﷺ أن يعبد آلهتهم عامًا ويعبدوا ربه عامًا، فأنزل ﷻ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾[3] إلى آخر السورة

---

١ – من مجموعة رسائل الإمام، ص ١٢٧، ط المؤسسة الإسلامية (بتصرف)

٢ – الأرضة حشرة بيضاء مصفرة، تشبه النملة، تتغذى على الخشب والورق والجلد

٣ – الآيتان ١،٢ من سورة الكافرون

ثم بدءوا عُتبة بن ربيعة لمساومة أخرى، فأتى النبي ﷺ فعرض عليه المال والمُلك والسيادة، فلم يكن من رسول الله ﷺ إلا أن تلا عليه آيات من القرآن، من أول سورة فُصِّلت، فعاد عُتبة من حيث أتى

هجرتان إلى الحبشة

ولم تجد قريش مناصًا أمام الثلة المؤمنة التي ثبتت وأظهرت صدق إيمانها، وتجرعوا في سبيل ذلك مرارة العيش وقسوة الظروف وريادة الإيذاء، إلى أن أمر الرسول ﷺ المؤمنين بالهجرة إلى الحبشة، ليس فرارًا من الإيذاء، ولكن اغتنامًا لفرصة لاحت بأمل تستقر به دعوة الإسلام في نفوس أصحابها، وفي هذا مَثَّلَ رسول الله ﷺ القيادة الواعية التي توازن بين متطلبات مصلحة الدعوة ومتطلبات تأمين أفرادها، فهاجر اثنا عشر رجلاً وأربع نسوة، ثم عادوا بعد أن سمعوا إشاعة مفادها أن قريشًا قد أسلمت، لكنهم ما لبثوا أن عرفوا كذب هذه الإشاعة فهاجروا ثانيةً إلى الحبشة ومعهم آخرون من المؤمنين، وقد بلغ عددهم في الهجرة الثانية ثلاثة وثمانين رجلاً وإحدى عشرة امرأة

وغَرَّ على المشركين أن يجد المهاجرون مأمنًا، فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، وأرسلوا معهما الهدايا للنجاشي[1] وبطانته، وطلبوا من النجاشي أن يُسَلِّمَهم المهاجرين، ولكن النجاشي أرسل إلى المسلمين وحاورهم، وكان جعفر بن أبي طالب هو المتكلم عن المسلمين، فتحدث عما كانوا عليه قبل الإسلام من ضلال، وشرح دعوة الإسلام وما جاءت به من فضائل، وطلب من النجاشي الحِوَار[2]، ثم أسمعه آيات من سورة

---

١ - النجاشي لقب حاكم الحبشة

٢ - الحوار الحماية

مريم، فبكى النجاشي وأساقفته، ودخل الإيمان قلبه، وفرض أن يُسَلِّمَ المسلمين للرجلين، ولكن عَمْرًا عاد في اليوم التالي للنجاشي، وحاول الوقيعة بين المسلمين وبينه بأن قال له إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيمًا، فأرسل النجاشي إلى المسلمين يسألهم في ذلك، فصدقوا، ولم يداهنوا، فقال جعفر هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فوافقهم النجاشي على قولهم، وأعطاهم الأمان، ورد هدايا قريش على عمرو، فرجع عمرو كما أتى

ولما بلغ النبي ﷺ خبر وفاة النجاشي بعد ذلك، نعاه إلى المسلمين وصلى عليه صلاة الغائب، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ نَعَى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّجَاشِيَّ صَاحِبَ الْحَبَشَةِ يَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ»، وَعَنه أيضًا أنه قَالَ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَفَّ بِهِمْ بِالْمُصَلَّى فَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعًا. [رواه البخاري، الحديث ١٢٤٢]

ولم تكن الهجرة تضحية بالوطن، لكنها كانت إدراكًا أن الدين إذا فُقِدَ لم يُعْبَ من ورائه الوطن والمال والأرض، بل سرعان ما يذهب كل ذلك أيضًا من ورائه، أما إذا قَوِيَ شأن الدين، وقامت في المجتمع دعائمه، ورسخت في الأفئدة عقيدته، فإن كل ما كان قد ذهب في سبيله من مال وأرض ووطن يعود أقوى من ذي قبل، حيث يحرسه سياج من الحق والكرامة والقوة والبصيرة

عام الحزن:

وجاء العام العاشر، العام الذي فقد فيه رسول الله ﷺ كلا من

الدائد[1] القوي عمه أبي طالب والصدر الحنون روحه السيدة خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها- التي طالما سرّت عنه همومه وسُمي عام الحزن

وقد حزن الرسول ﷺ لوفاة عمه، لأنه مات دون أن يُسْلِم، روى ابن المُسَيَّب عَنْ أَبِيه أَنَّ أَبَا طَالِب لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْه النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ "أَيْ عَمِّ، قُل لا إِلَهَ إلا اللَّهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ[2] لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ"، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بن أَبِي أُمَيَّةَ يَا أَبَا طَالِب تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِب؟! فَلَمْ يَزَالا يُكَلِّمَانِه حَتَّى قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِه عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِب، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ "لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ" فَأَنْزَلَتْ ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[3] وَأَنْزَلَتْ ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[4] [رواه البخاري، الحديث ٣٥٩٥]

الدعوة تبحث عن ميدان جديد

لما اشتد الإيذاء على الرسول والمسلمين في مكة، ازداد التصميم الحازم في نفس الرسول ﷺ على الاستمرار في دعوته، وأراد أن يتحطى الحواجز باحثًا عن ميدان جديد للدعوة، فذهب إلى الطائف، وهي تبعد عن مكة نحو ستين ميلاً، قطعها النبي ﷺ ماشيًا على قدميه، حيثة ودهانًا، ومعه مولاه زيد بن حارثة، وكان كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام، فلم تستجب إليه واحدة منها

وأقام رسول الله ﷺ بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدَع أحدًا من

---

١ - المدافع عنه، والمانع عنه الأذى

٢ - احاج المحاجة هي المجادلة، والمقصود اشفع لك بما عند الله

٣ - الآية ١١٣ من سورة التوبة

٤ - من الآية ٥٦ من سورة القصص

أشرافهم ورؤسائهم إلا جاءه وكلّمه فرفضوا جميعًا دعوته، واستهزءوا به ﷺ

الباطل يعتمد على السفهاء:

لم يكتف أهل الطائف برفض دعوة النبي ﷺ وطرده من بلادهم، بل أغروا به سفهاءهم، فلما أراد الخروج تبعه السفهاء والعبيد يسبُّونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس فوقفوا له صفين، وجعلوا يرمونه بالحجارة، وبكلمات سفيهة، ورجموا قدميه الشريفتين بالحجارة، حتى اختضب نعلاه بالدماء، وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شجاجٌ[1] في رأسه

وهكذا نرى أن طبيعة أهل الباطل هي هي، تراهم في كل زمان ومكان يستعملون السفهاء والجهلة والأغبياء في إيذاء دعاة الحق، وعندما يختارون لأنفسهم من الجنود أدوات إيذاء، فإنما يختارون صفًا فرغت رءوسهم من عمل عقولهم، حتى لو كان عمل عقولهم هذا هو مجرد النظر في الحال أو التفكير في المآل، لذلك فهم يساقون كالبهائم ليؤدوا أهليهم بأنفسهم، وليتهكوا مقدساتهم بأيديهم، وهؤلاء عادة لا يُكلَّفون أسيادَهم سوى ثمن طعامهم.

قبس النور في ظلام الشدة.

مازال السفهاء يفعلون ذلك بالنبي ﷺ حتى وصل إلى بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة على بعد ثلاثة أميال من الطائف، فلما التجأ إليه رجعوا عنه، فجلس النبي ﷺ في ظل جدار ليستريح، وأخذ يناجي الله ﷻ قائلاً

---

١ - الشجاج: الجُرح والشق الكبير

"اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وقِلَّةَ حِيلَتِي، وهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ المُسْتَضْعَفِينَ، وأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي؟، إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي[1]، أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلا أُبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا والآخِرَةِ، أَنْ يَحِلَّ عَلَيَّ غَضَبُكَ، أَوْ أَنْ يَنْزِلَ بِي سَخَطُكَ، لَكَ العُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِكَ"

فلما رآه ابنا ربيعة أشفقا عليه، فدعوا غلامًا لهما نصرانيًا، يقال له عدَّاس، وقالا له: خذ قطفًا من العنب، واذهب به إلى هذا الرجل، فلما وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، مد يده إليه قائلاً "بِسْمِ اللهِ"، ثم أكل، فقال عداس: إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله ﷺ "مِنْ أَيِّ البِلادِ أَنْتَ؟ وَمَا دِينُكَ؟" قال: أنا نصراني من أهل نينوى، فقال رسول الله ﷺ "مِنْ قَرْيَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى؟" قال له: وما يدريك ما يونس بن متى؟ قال رسول الله ﷺ "ذَاكَ أَخِي، كَانَ نَبِيًّا وَأَنَا نَبِيٌّ"، فأكب عداس على رأس رسول الله ﷺ ويديه ورجليه يقبلها، وأسلم على يد النبي ﷺ[2]

وفي إسلام عداس ما فيه من معاني التثبيت والمواساة وبث الأمل، وهذه سُنَّة باقية في تاريخ الدعوات، ما من محنة إلا ومعها منحة، إن دعاة

---

[1] - أي يستقبلني بوجه كريه

[2] - يقول الشيخ الألباني في تعليقه على هذه القصة، بحواشي فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي، ص ١٤٧: أخرج هذه القصة ابن إسحاق بسند صحيح، عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً، أما الدعاء فقد ذكره بدون سند، ورواه ابن جرير من طريق ابن إسحاق، وروى القصة بالدعاء الطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن جعفر، وقال الهيثمي: وفيه ابن إسحاق، وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات، فالحديث ضعيف.

الحق الذين يدركون هذه السُّنَّة يفتشون دائمًا عن المنحة في كل محنة، وينتظرون دائمًا اليسر مع كل عُسر، فإن فعلوا ذلك حصَّلوا مكاسب من أحوالهم العصيبة، وعلى الجانب الآخر فإن أعداء الحق - دائمًا وأبدًا - خاسرون، وهم يتنسون في عكس ما يرعون، لكنهم لا يعلمون، فحين يُبرلون محنة بدعاة الحق، فإنهم يُبرلونها وهم غافلون عن أنَّ عملهم يُصقِل مَن في الصف، كما يرفع درجة جودة الصف وصلابته، إذ يجنب الضعفاء والمترددين والمعيبين، فلا يتقدم إلا الأقوياء المخلصون، فتزيد نسبة الذين يحملون الدعوة ويُعْلونها على نسبة الذين تحملهم الدعوة فيُثْقلونها، وهذا سر من أسرار طاهرة انطلاق دعوة الحق وتخليقها بعد كل محنة أو اضطهاد

وعند رجوع النبي ﷺ إلى مكة بعث إلى أناس من رؤسائها ليجيروه فأبوا إلا مُطْعِم بن عدي، فقد أجار النبي ﷺ، وأدخله مكة في حمايته رجاله، وقد خطب رسول الله ﷺ للمُطعم هذا الصنيع، فقَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ «لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْن عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلاءِ النَّتْنَى[1] لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ» [رواه البخاري، الحديث ٦ ٢٩]

نور العزة يسطع:

وتضرع الرسول ﷺ إلى ربه ﷻ أن يُعز الإسلام، فعَنِ ابن عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ، بِأَبِي جَهْلٍ أَوْ بِعُمَرَ بْن الْخَطَّابِ» قَالَ وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَيْهِ عُمَرُ [رواه الترمذي، الحديث ٣٦١٤، وقال حسنٌ صحيحٌ غريبٌ]

وأسلم حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهما

---

١ - النتن هو خبيث الرائحة

- وكان لإسلامهما أثر كبير في رفع معنويات المسلمين، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُذْ أَسْلَمَ عُمَرُ. [رواه البخاري، الحديث ٣٥٧٤].

وسمَّى النبي ﷺ عمر بالفاروق؛ دلك لأن المسلمين بعد إسلامه خرجوا في صفين حمزة على أحدهما وعمر على الآخر، فدخلوا المسجد الحرام تحت سمع وبصر قريش، وما كان المسلمون ليجرءوا على دلك قبل إسلامه، مما كان له أكبر الأثر في عزة المسلمين[1]

*****

١ - صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم

الرحلة الفريدة (الإسراء والمعراج)

وأراد الله ﷻ أن يسرِّي عن النبي ﷺ، ويمسح عنه أحزانه، فكانت رحلة الإسراء والمعراج، في السنة العاشرة من البعثة، تمت الرحلة في ليلة واحدة روحًا وجسدًا

التحلية بالشق الثاني للصدر

بدأت وقائع هذه الرحلة الفريدة بإعداد خاص، إذْ قام جبريل عليه السلام بشق صدر الرسول ﷺ للمرة الثانية، وبينما كان الشق الأول في ديار بني بكر لإزالة حظ الشيطان فهو تحلية، فإن الشق الثاني كما جاء في الحديث لزيادة الإيمان والحكمة فهو تحلية، قَالَ رَسُولَ اللَّه ﷺ «فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ [1] فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ» [رواه البخاري، من الحديث ٣٣٦].

الإسراء رحلة طَوَت الأرض

الإسراء هو رحلة الرسول ﷺ بالليل، وقد كان الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وبذلك لرتبط المسجد الحرام بمكة بالمسجد الأقصى بيت المقدس في فلسطين، وفي ذلك قال رسول الله ﷺ. «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ قَالَ فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ قَالَ فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ قَالَ ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ

---

١ – هكذا في البخاري ومسلم

جبريلُ ﷺ [1] اخْتَرْتَ الفِطْرَةَ ثُمَّ عَرَجَ بنَا إِلَى السَّمَاءِ " [رواه مسلم، من الحديث ٢٣٤]

المعراج صعود طَرَقَ السماوات

يقول المصطفى ﷺ . " ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ افْتَحْ، قَالَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ هَذَا جِبْرِيلُ، قَالَ هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ نَعَمْ مَعِي مُحَمَّدٌ ﷺ ، فَقَالَ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ نَعَمْ " [رواه البخاري، من الحديث ٣٣٦]

إمَّا الجنة وإمَّا النار

وفي السماء الدنيا قابل محمد ﷺ أبانا آدم عليه السلام وعرف أن مصير البشر إمَّا إلى الجنة وإمَّا إلى النار، قال رسول الله ﷺ " فَلَمَّا فَتَحَ عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَى يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ [2] وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ، إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَسَارِهِ بَكَى فَقَالَ. مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالابْنِ الصَّالِحِ، قُلْتُ لِجِبْرِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ هَذَا آدَمُ، وَهَذِهِ الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ [3] بَنِيهِ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى " [رواه البخاري، من الحديث ٣٣٦]

منازل الأنبياء والمرسلين .

والتقى المصطفى ﷺ بالأنبياء والمرسلين خلال معراجه في السماوات

---

١ – هكذا وردت في نص الحديث

٢ – الاسودة جماعة من الأشخاص من كل لون وجنس

٣ – النسمة الروح أو النفس

العلا، قال رسول الله ﷺ « فَرَحَّبَ[1] بي وَدَعَا لي بخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بنا إلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بابني الخَالَةِ عِيسَى ابن مَرْيَمَ وَيَحْيَى بن زَكَرِيَّا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لي بخَيْرٍ ثُمَّ عَرَجَ بي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ فَرَحَّبَ وَدَعَا لي بخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بنا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام قِيلَ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ، قَالَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لي بخَيْرٍ، قَالَ اللَّهُ ﷻ ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، ثُمَّ عَرَجَ بنا إِلَى السَّمَاءِ الخَامِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ قِيلَ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ فَرَحَّبَ وَدَعَا لي بخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بنا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام قِيلَ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ، قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ﷺ ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لي بخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ جِبْرِيلُ، قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ ، قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لا يَعُودُونَ إِلَيْهِ » [رواه مسلم، في الحديث ٢٣٤]

---

١ - يعني آدم عليه السلام

وأطلع الله ﷻ نبيه ﷺ في هذه الرحلة على كثير من المشاهدات، فرأى الجنة وما فيها، ورأى النار ومَن فيها من آكلة أموال اليتامى، وآكلة الربا، والزناة، وعن أنس بن مالك قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي ﷻ مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ مَنْ هَؤُلاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ" [رواه أحمد، الحديث ١٢٨٦١]

وغيرها الكثير من المشاهدات التي لا يتسع المقام لذكرها

الوصول إلى سدرة المنتهى.

وبعد ذلك ارتفع المصطفى ﷺ إلى مكان يُسْمَعُ فيه صريف الأقلام[1]، وهو وصف يوحي بالسكون التام الذي يتيح فقط لصوت الأقلام التي تثبت ما كان وما يكون أن يُسْمَعَ، قال ﷺ "... ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلامِ ..." [رواه البخاري، من الحديث ٣٣٦]

ثم كان الوصول، قال رسول الله ﷺ "... ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لا أَدْرِي مَا هِيَ ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ[2] اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ ..." [رواه البخاري، من الحديث ٣٣٦]

ويحاول المصطفى ﷺ أن يصف لأمته ما رأى عند سدرة المنتهى فيقول ﷺ "... وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلالِ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى ..." [رواه مسلم، من الحديث ٢٣٤]

---

١ - الصريف صوت كتابة الأقلام

٢ - حبايل عقود وقلائد

هدية من الرحمن ﷻ عند سدرة المنتهى:

وهنا - عند سدرة المنتهى - تلقى المصطفى ﷺ من ربنا ﷻ هديته ﷻ إلى أمته، وهي هدية تتيح لنا أن نتخلص من الشوائب والذنوب والمعاصي في كل يوم خمس مرات، هدية يريحنا الله ﷻ بها فيتنزل حالنا بأدائنا لها إلى أحسن حال، هدية تطهرنا أولاً بأول، وتيسر لنا العيش في مراقبة الله ﷻ ومعيته ﷻ كما تباعد بيننا وبين الشيطان، إنها الصلاة، قال رسول الله ﷺ « فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ..»

[رواه مسلم، من الحديث ٢٣٤]

تخفيف وكرم:

وأراد الله ﷻ أن يكرم أمتنا ويخفف عنها، وشاء ﷻ أن يعلمنا في نفس الوقت أنه ﷻ لا يُبَدِّل القول لديه، فقدَّر ﷺ أن ينصح موسى عليه السلام نبينا محمدًا ﷺ بالرجوع إلى ربه ﷻ عسى أن يخفف عن أمتنا، يقول الرسول ﷺ « فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى عليه السلام فَقَالَ مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ خَمْسِينَ صَلاةً، قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ، قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، قَالَ فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَبَيْنَ مُوسَى عليه السلام حَتَّى قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاةً...» [رواه مسلم، من الحديث ٢٣٤]

عشرة أضعاف فصل فوق الكَرَم

وكان هناك فضل فوق هذا الكرم، فصل يمحو به المسلم وإن كانت حسناته فقط عُشْر أعماله، فميزان حسناته يرجح بما همَّ به من عمل صالح وإن لم يعمله، لقد أضاف رسول الله ﷺ فيما رواه عن ربه ﷻ أنه ﷻ أعطانا فوق ثواب الخمسين صلاة عشرة أضعاف ثواب كل حسنة نعملها فقال « وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً » [رواه مسلم، من الحديث ٢٣٤]

استحيا محمد ﷺ من هذا الكرم، واستوعب ﷺ معنى أن الله ﷻ لا يُبَدِّل القولُ لديه من بقاء ثواب الخمسين صلاة وإن أُدِّيَت خمسًا، قال ﷺ يروي عن ربه ﷻ: « فَقَالَ هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ لا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ رَاجِعْ رَبَّكَ فَقُلْتُ اسْتَحْيَيْت مِنْ رَبِّي » [رواه البخاري، من الحديث ٣٣٦]

تكذيب المكذبين وتصديق الصدِّيقين

لما أصبح رسول الله ﷺ أخبر قومه بالخبر فاشتد تكذيبهم له وسألوه – إن كان صادقًا – أن يصف لهم بيت المقدس، فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «لَمَّا كَذَّبَنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الحِجْرِ، فَجَلَا اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ[1] أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ[2] وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ» [رواه البخاري، الحديث ٣٥٩٧]

---

١ – أي شرعت

٢ – علاماته

وذهب بعضهم إلى أبي بكر الصديق ﷺ يخبره بالخبر، طمعًا في أن يُكذّب صاحبه، فقال لهم ﷺ إن كان قال ذلك فقد صدق، إني أصدقه في أبعد من ذلك، لذا سُمِّي ﷺ بالصدِّيق

*****

الدعوة في طور جديد

عالجت رحلة الإسراء والمعراج الفريدة آثار عام الحزن، وانطلق الرسول ﷺ يحمل دعوة الإسلام في طور جديد، تميز هذا الطور بتحقيق المنعة[1] لدعوة الإسلام، وتفعيل نظام الدعوة التربوي، وتوقيف أصحاب الدعوة على أدوارهم الفردية والجماعية

البحث عن المنعة

بدأ الرسول ﷺ يعرض نفسه على القبائل والحجاج في موسم الحج، وكان ﷺ واضحًا صريحًا في طلب المنعة، ليتمكن من تبليغ الدعوة، فعَنْ جَابِرٍ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ بِالْمَوْقِفِ[2]، فَقَالَ «أَلا رَجُلٌ يَحْمِلنِي إِلَى قَوْمِهِ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلامَ رَبِّي» [رواه الترمذي، الحديث ٢٨٤٩ وقال هذا حديثٌ غريبٌ صحيحٌ]

ويصيف جابر رضي الله عنه فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ هَمْدَانَ، فَقَالَ «مِمَّنْ أَنْتَ؟» فَقَالَ الرَّجُلُ مِنْ هَمْدَانَ، قَالَ «فَهَلْ عِنْدَ قَوْمِكَ مِنْ مَنَعَةٍ؟» قَالَ نَعَمْ، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَشِيَ أَنْ يَحْقِرَهُ قَوْمُهُ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ آتِيهِمْ فَأُخْبِرُهُمْ ثُمَّ آتِيكَ مِنْ عَامٍ قَابِلٍ، قَالَ «نَعَمْ»، فَانْطَلَقَ وَجَاءَ وَفْدُ الأَنْصَارِ فِي رَجَبٍ [رواه احمد، من الحديث ١٤٦٥٩]

رواد ستة

قابل ﷺ وفد الأنصار، قيل إنهم كانوا سبعة من الأوس والخزرج[3]،

---

١ – المنعة حالة تستعصي بها الدعوة على كيد أعدائها فتبقى وتنتشر

٢ – الموقف الموسم الذي كان الناس يحجون فيه إلى الحرم المكي

٣ – الأوس والخزرج أكبر قبيلتين في المدينة

وقيل إنهم كانوا ستة، أمَّا الستة فهم[1] أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك - ويقال له عامر بن الأزرق - وعقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله، وقطبة بن عامر، دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام فأسلموا، وعادوا إلى المدينة يذكرون ما وجدوا من أمر محمد ﷺ ، وهذا التحرك ظهروا بعدد مماثل قبل حلول الموسم التالي، وهكذا دائمًا هي الدعوة الفردية، إنها تستطيع أن تضاعف عدد أنصار الحق في زمن وجيز

بيعة[2] العقبة الأولى [الصغرى] - بيعة التزام شخصي:

وفي موسم الحج من السنة الثانية عشرة بعد البعثة، اجتمع ﷺ مع اثني عشر رجلاً نقيبًا[3] من الأنصار فيهم عبادة بن الصامت ﷺ فبايعوه ﷺ وأرسل معهم مصعب بن عمير ﷺ ليعلمهم الدين وأحكام الإسلام.

كانت هذه البيعة بيعة على أمور محددة تتعلق بالمسئولية التنحصية، والالتزام الفردي، قَالَ عُبَادَةُ بن الصَّامت ﷺ-وَهُوَ أَحَدُ النُّقَبَاءِ لَيْلَةَ العَقَبَة- إِنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ[4] مِنْ أَصْحَابِه "تَبَايِعُونِي عَلَى أَنْ لا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلا تَسْرِقُوا وَلا تَزْنُوا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ وَلا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ[5] بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ وَلا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ، فَهُوَ إِلَى اللَّهِ

---

١ - راجع من فقه الهجرة، الشيخ محمد عبد الله الخطيب، دار المنار الحديثة ص ٦٢

٢ - البيعة العهد على السمع والطاعة

٣ - النقيب كبير القوم المعني بشئونهم

٤ - العصابة الجماعة من الناس

٥ - البهتان أبطع الكذب، والمفتريه الكذب

إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ" فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ [رواه البخاري، الحديث ١١]

ومع بيعة العقبة الأولى، صارت سُنَّةُ دعوة الإسلام أن تَعْبُرَ إلى المتممين إليها من خلال القدوة التي تتمثل في هؤلاء الذين يعبرون بقسط من التربية الأساسية بحواسها الإيمانية والاجتماعية والأخلاقية والتشريعية.

بيعة العقبة الثانية [الكبرى] – بيعة الترام جماعي:

وفي العام التالي – الثالث عشر من البعثة – نضجت ثمرة عمل النقباء وعنايتهم بقومهم، فقد حضر سبعون رجلاً وامرأتان، فكأن كل نقيب اعتنى بخمسة ثم جاء بهم، حضروا جميعًا مستخفين فبايعوه ﷺ على النصرة والمنعة قبل أن يعودوا إلى المدينة، فعَنْ عَامِرٍ قَالَ: انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ العَبَّاسُ عَمُّهُ إِلَى السَّبْعِينَ مِنَ الأَنْصَارِ عِنْدَ العَقَبَةِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَقَالَ لِيَتَكَلَّمْ مُتَكَلِّمُكُمْ وَلا يُطِيلُ الخُطْبَةَ فَإِنَّ عَلَيْكُمْ مِنَ المُشْرِكِينَ عَيْنًا وَإِنْ يَعْلَمُوا بِكُمْ يَفْضَحُوكُمْ فَقَالَ قَائِلُهُمْ وَهُوَ أَبُو أُمَامَةَ سَلْ يَا مُحَمَّدُ لِرَبِّكَ مَا شِئْتَ، ثُمَّ سَلْ لِنَفْسِكَ وَلأَصْحَابِكَ مَا شِئْتَ، ثُمَّ أَخْبِرْنَا مَا لَنَا مِنَ الثَّوَابِ عَلَى اللَّهِ ﷻ وَعَلَيْكُمْ إِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ؟ قَالَ فَقَالَ "أَسْأَلُكُمْ لِرَبِّي ﷻ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَسْأَلُكُمْ لِنَفْسِي وَلأَصْحَابِي أَنْ تُؤْوُونَا وَتَنْصُرُونَا وَتَمْنَعُونَا مِمَّا مَنَعْتُمْ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ" قَالُوا فَمَا لَنَا إِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ؟ قَالَ "لَكُمُ الجَنَّةُ"، قَالُوا فَلَكَ ذَلِكَ [رواه أحمد، من الحديث ١٦٤٦١]

وبيعة العقبة الكبرى، انتقل الأنصار من المسئولية الشخصية إلى المسئولية الجماعية، وارتقى حالهم من رُتْبَةِ الدين تحملهم الدعوة إلى رُتْبَةِ الدين يحملون الدعوة، ويبذلون في سبيل نصرتها وحمايتها، وتحولت سواد

الدعوة إلى نواة دولة

وسياق الرسول ﷺ أن الجنة هي الجزاء الوحيد على ذلك والعائد الوحيد لهذا البذل، تعلّمَ دعاة الحق في كل زمان ومكان أن الدعوة يجب أن تبقى بريئة سريية، تتسامى في سراهتها حتى تتحاور المطامع الشخصية، وتُخلّف وراءها الأهواء والأعراض[1]

لذلك يقول دعاة الحق لكل نفعي[2] ليس عندنا من جزاء إلا ثواب الله إن أخلصت، والجنة إن علم الله جلّ جلاله فيك خيرًا، أما نحن فمعمورون جاهًا، فقراء مالاً، نتأسا التضحية بما معنا وبذل ما في أيدينا، ورجاؤنا رضوان الله وهو نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير[3]

*****

---

١ – مجموعة رسائل الإمام، ط دار الشهاب، ص ١١ (بتصرف)

٢ – النفعي الذي لا يبذل إلا مقابل فائدة أو مغنم

٣ – مجموعة رسائل الإمام، ط دار الشهاب، ص ١٣ (بتصرف)

٣- الهجرة ومرحلة التأسيس

من المعالم الأساسية في تاريخ دعوة الإسلام الهجرة، ومنها يتعلم الدعاة دروسًا عظيمة في كيفية سير الدعوة وتطورها

قيادة تحدد الخطوات وتأحد القرارات:

تقدم أن رسول الله ﷺ استقى أصحابه ﷺ في مكة مهد الدعوة حيًا، بالرغم مما لاقوه من اضطهاد وأذى، ثم أذن ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة لَمَّا تزايدت ضغوط أعداء الدعوة على أفراد صفها، فمن الصحابة ﷺ من هاجر خُفْيَة إلى الحبشة أو إلى اليمن أو إلى المدينة، ومنهم من أبى أن يهاجر إلا جَهْرَة مثل عمر بن الخطاب ﷺ .

وهكذا دائمًا تكون القيادة، حريصة على سلامة الدعوة، حريصة على تأمين الدعاة، لكنها توازن بين المصلحتين، وهي التي تحدد ماذا يتم ومتى يكون، فطريق هذه الدعوة "مرسومة خطواته موضوعة حدوده، أجل قد تكون طريقًا طويلة، ولكن ليس هناك غيرها، فمن أراد أن يستعجل ثمرة قبل نضجها، أو يقتطف زهرة قبل أوانها، فحير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات، ومن صبر حتى تنمو البذرة وتنبت الشجرة وتصلح الثمرة ويجين القطاف، فأجره في ذلك على الله، ولن يفوته أجر المحسنين إما النصر والسيادة، وإما الشهادة والسعادة"[١]

---

١ - مجموعة رسائل الإمام، (بتصرف)

انتظار الإذن بالهجرة

وبالرغم من أن رسول الله ﷺ أُذِنَ لأصحابه بالهجرة إلا أنه لم يكن لِيُقْدِمَ هو نفسه على الهجرة قبل أن يأذن له الله ﷻ بذلك، فمع أن رسول الله ﷺ كان يمثل القيادة العامة للدعوة، إلا أنه ﷺ كان يعلم أن لدعوة الإسلام ربًّا عَلِيًّا فوق سبع سماوات، هو الذي يوحي بما يُسمح به للصف، وبما تُكَلَّف به القيادات، وهكذا تكون دعوة الإسلام في كل عصر ومكان، يقيض الله ﷻ لها قيادة واعية راشدة، ترتسم خُطا الوحي، وتهتدي بنور السُّنة

كان ﷺ يشعر أنه سيُؤْذَنُ له، ورأى في منامه ما يشير إلى ذلك، قَالَ ﷺ: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي[1] إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ.» [رواه البخاري في الحديث ٣٣٥٢]

ولَمَّا اشتد الابتلاء بالمؤمنين تحفَّز أبو بكر الصديق ﷺ للهجرة إلى المدينة، إلا أن رسول الله ﷺ استبقاه، تروي أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فتقول: وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ الْمَدِينَةِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «عَلَى رِسْلِكَ[2] فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَبِي أَنْتَ، قَالَ: «نَعَمْ»، فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ. [رواه البخاري، في الحديث ٣٦١٦].

---

١ - وهلي وهمي

٢ - على رسلك تأنَّ وتمهل

وحاء الإذن بالهجرة:

وتصف عَائشَةُ - رضى الله عنها - مجيء الإذن بالهجرة فتقول لَقَلَّ يَوْمٌ كَانَ يَأْتِي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إلا يَأْتِي فيه بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفَيِ النَّهَارِ، فَلَمَّا أُذِنَ لَهُ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ لَمْ يَرُعْنَا إلا وَقَدْ أَتَانَا ظُهْرًا، فَحُسَّ به أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ. مَا جَاءَنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إلا لأَمْرٍ حَدَثَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لأَبِي بَكْرٍ "أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ"، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا هُما ابْنَتَايَ - يَعْنِي عَائِشَةَ وَأَسْمَاء - قَالَ "**أَشَعَرْتَ أَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ**" [رواه البخاري، ١٩٩٤]

ولعل في قول الرسول ﷺ استئمان المرأتين على سره ﷺ إشارة إلى ما على المرأة عمومًا من واجبات في هذه الدعوة

الجندي يبذل والقيادة تعف.

وعلى الفور يظهر استعداد الجندي ورباطه الدائم وبذله، تروي أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - ما حدث بعد ذلك فتقول قَالَ أَبُو بَكْرٍ. الصُّحْبَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ "**الصُّحْبَةَ**"، قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عِنْدِي نَاقَتَيْنِ أَعْدَدْتُهُمَا لِلْخُرُوجِ، فَخُذْ إِحْدَاهُمَا، قَالَ "**قَدْ أَخَذْتُهَا بِالثَّمَنِ**" [رواه البخاري، في الحديث ١٩٩٤]

المرأة تحفظ سر الدعوة.

قَالَتْ عَائِشَةُ فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الْجِهَازِ[1] وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً[2] فِي جِرَابٍ فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا[3] فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ

---

١ - أحث الجهاز المراد انهما أسرعنا في تجهيزهما

٢ - السفرة طعام المسافر

٣ - النطاق ما تشد به المرأة على وسطها

الحِرَابِ فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ [رواه البخاري، من الحديث ٣٦١٦]

وفي موقف عائشة وأسماء ما يُثبت استفادة الدعوة من النساء، فهن الأكثر عاطفة، والأرق قلوبًا، ولأن المرأة هي مشئة الأجيال، وحب عليها العناية بها وتشريبها دعوة الإسلام، ولذا نجد دعاة الحق يقولون "ونحن نعني بالمرأة عنايتنا بالرجل، ونعني بالطفولة عنايتنا بالشباب، وهذا هو تكويننا الأسري"[1]

الأخذ بالأسباب من شروط التوكل

أخذ رسول الله ﷺ بالأسباب، واجتهد في أن يُعدَّ لكل أمر عُدَّتَه، مع علمه ﷺ أن الله ﷻ يرعى رحلته، قالت عَائِشَةُ وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلاً [2] مِنْ بَنِي الدِّيلِ هَادِيًا خِرِّيتًا[3]، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا صُبْحَ ثَلاثٍ [رواه البخاري، الحديث ٤ ٢١]

خسارة الثباب تُفشل المؤامرة

وشعرت قريش بتزايد دلالات هجرة الصحابة ﷺ، وتوقعت خروج النبي ﷺ فحبكت المؤامرة، فعَنِ ابن عَبَّاسٍ قَالَ تَشَاوَرَتْ قُرَيْشٌ لَيْلَةً بِمَكَّةَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ إِذَا أَصْبَحَ فَأَثْبِتُوهُ[4] بِالْوَثَاقِ - يُرِيدُونَ النَّبِيَّ ﷺ - وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلِ اقْتُلُوهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ بَلْ أَخْرِجُوهُ، فَأَطْلَعَ اللَّهُ ﷻ نَبِيَّهُ ﷺ عَلَى ذَلِكَ، فَبَاتَ عَلِيٌّ عَلَى فِرَاشِ النَّبِيِّ ﷺ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَخَرَجَ النَّبِيُّ

---

١ - مجموعة رسائل الإمام، ط دار الشهاب، ص ٨٣

٢ - هو عبد الله بن أريقط الديلمي

٣ - خريتًا دليلاً مرشدًا ماهرًا بالهداية

٤ - أثبتوه قيدوه واحبسوه

ﷺ حَتَّى لَحِقَ بِالغَارِ[1]، وَبَاتَ المُشْرِكُونَ يَحْرُسُونَ عَلِيًّا يَحْسَبُونَهُ النَّبِيَّ ﷺ فَلَمَّا أَصْبَحُوا ثَارُوا إِلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَوْا عَلِيًّا رَدَّ اللَّهُ مَكْرَهُمْ فَقَالُوا: أَيْنَ صَاحِبُكَ هَذَا ؟ قَالَ لا أَدْرِي [رواه أحمد، من الحديث ٨١٣]

ويصدق قول الله ﷻ ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[2]

كُمُون قبل الانطلاق:

وكان من دقة تخطيط الرسول ﷺ وتوفيق من الله أن بقي في الغار ثلاثة أيام، هذه الفترة أتاحت لركب الهجرة خداع قريش وقطع أملهم، كما أتاحت الفرصة للحصول على آخر أخبار تدبير قريش، وفي هذا ما فيه من توفير إمكانية تعديل الخطة والمسار بصورة تيسر نجاح الهجرة، قَالَتْ أُم المؤمنين عائشة لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ فَكَمَنَا فِيهِ ثَلاثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ[3] فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ فَلا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ[4] بِهِ إِلا وَعَاهُ حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلامُ [رواه البخاري، من الحديث ٣٦١٥]

وكما شارك عبد الله بن أبي بكر في تأمين المسيرة بالمعلومات والاتصالات، شارك عامر بن فهيرة بتأمين الغذاء والإمدادات، تصيف السيدة عائشة – رضي الله عنها – قائلة. وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ

---

١ – غار ثور

٢ – الآية ٣٠ من سورة الأنفال.

٣ – أي قبل الفجر

٤ – يكتادان الأمر يدبر للإضرار بالنبي ﷺ وصاحبه

مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً[1] مِنْ غَنَمٍ فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ[2] وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا[3] حَتَّى يَنْعِقَ بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ[4] يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ.

[رواه البخاري، من الحديث ٣٦١٦]

الله ثالثهما.

أما قريش فقد حن حولها حينما تأكد لديها إفلات رسول الله ﷺ، وما كانت لتترك هذا الانطلاق الطاهر والخروج الكبير يمضي دون أن تبذل آخر ما في وسعها للقضاء على قيادة الدعوة الإسلامية في شخص النبي ﷺ، لقد أرسلت قريش تُطَمِّع من يعثر على الرسول ﷺ وصاحبه أو يقتله أو يأسره مبلغ ضخم من المال يغرى الطامعين، فخرج الطامعون في الحائرة ليقتفوا أثر رسول الله ﷺ وصاحبه، ووصلوا إلى باب الغار، يقول أبو بكر ﷺ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَارِ فَرَأَيْتُ آثَارَ الْمُشْرِكِينَ، قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَآنَا، قَالَ «مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا» [رواه البخاري، الحديث ٤٢٩٥]

وكانت معجزة أكرم بها الله ﷻ نبيه ﷺ، فقد أعمى أعين المطاردين عن النبي الكريم وصاحبه، فعادوا خائبين

---

١ – المنحة الناقة الحلوب

٢ – الرِّسل اللبن الطري.

٣ – رضيفهما اللبن المرضوف هو الذي وضعت فيه الحجارة المحماة بالشمس او النار ليعقد ويتحول رخاوته

٤ – ينعق بغلس يغادر في ظلمة آخر الليل، والنعيق صوت الراعي اذا زجر الغنم.

الانطلاق الظافر.

وجاء صبح الليلة الثالثة، ووفّى الدليل بموعده، وجاء موعد الانطلاق من غار ثور، بعد أن هدأت قريش وتوقفت دوريات البحث والتفتيش، ففي الحديث وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالدَّلِيلُ فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ [رواه البخاري، من الحديث ٣٦١٦]

لا تحزن إن الله معنا.

وانتدب سراقة بن مالك بنفسه لأخذ الجائزة، فأدركهما بعد أن قطعا الخطوات الأولى في الرحلة المباركة

ويروي أبو بكر الصديق قصة هذه اللحظات الحاسمة في تاريخ دعوة الإسلام، ويصف تلك الخطوات الأولى في طريق الهجرة المباركة فيقول أَسْرَيْنَا[1] لَيْلَتَنَا وَمِنَ الْغَدِ حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ وَخَلَا الطَّرِيقُ لَا يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ، فَرُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ طَوِيلَةٌ لَهَا ظِلٌّ لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، فَنَزَلْنَا عِنْدَهُ وَسَوَّيْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَكَانًا بِيَدِي يَنَامُ عَلَيْهِ وَبَسَطْتُ فِيهِ فَرْوَةً، وَقُلْتُ نَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أَنْفُضُ لَكَ مَا حَوْلَكَ، فَنَامَ وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعِ مُقْبِلٍ بِغَنَمِهِ إِلَى الصَّخْرَةِ يُرِيدُ مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي أَرَدْنَا فَقُلْتُ لَهُ لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلَامُ؟ فَقَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ، قُلْتُ أَفِي غَنَمِكَ لَبَنٌ؟ قَالَ نَعَمْ، قُلْتُ أَفَتَحْلُبُ؟ قَالَ نَعَمْ، فَأَخَذَ شَاةً فَقُلْتُ انْفُضِ الضَّرْعَ مِنَ التُّرَابِ وَالشَّعَرِ وَالْقَذَى[2]، فَحَلَبَ فِي قَعْبٍ[3]

---

١ - السُّرى السير بالليل

٢ - القذى الوسخ ونحوه

٣ - قعب إناء من خشب مقعر

كُثَيَّةٌ[1] مِنْ لَبَنٍ وَمَعِي إِدَاوَةٌ[2] حَمَلْتُهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ يَرْتَوِي مِنْهَا يَشْرَبُ وَيَتَوَضَّأُ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُ فَوَافَقْتُهُ حِينَ اسْتَيْقَظَ، فَصَبَبْتُ مِنَ الْمَاءِ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ فَقُلْتُ اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ قَالَ "أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحِيلِ"، قُلْتُ بَلَى، قَالَ فَارْتَحَلْنَا بَعْدَمَا مَالَتِ الشَّمْسُ، وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ فَقُلْتُ أُتِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ "لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا" فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَارْتَطَمَتْ بِهِ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا [رواه البخاري، في الحديث ٣٣٤٦]

وفشلت المطاردة:

وتكتمل الصورة عندما نطالع رواية سراقة لقصة فشله في مطاردة النبي ﷺ وأبي بكر، وما صاحب ذلك من أحداث جعلته يؤمن بانتصار دعوة الحق في المستقبل، بل جعلته يحوِّل دوره من طالب لهلاك دعاة الحق إلى متستر عليهم، قال سراقة: أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا فَرَفَعْتُهَا تُقَرِّبُ بِي حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي فَحَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ فَاسْتَقْسَمْتُ[3] بِهَا أَضُرُّهُمْ أَمْ لَا، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ فَرَكِبْتُ فَرَسِي - وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ - تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتَ، سَاخَتْ[4] يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ فَحَرَرْتُ عَنْهَا ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا

---

١ - كثيه مقدار قليل

٢ - اداوة إناء من الجلد

٣ - الاستقسام بالأزلام عمل قُرعه باقداح معينة كانت تستعمل في الجاهلية

٤ - ساخت غاصت

عُثَانٌ[1] سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالأَزْلاَمِ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالأَمَانِ فَوَقَفُوا [رواه البخاري، من الحديث ٣٦١٦]

لقد أدرك سراقة أنه أمام نبي حق، وتوقع أن ما حدث له ولفرسه هو استجابة من الله لدعوة النبي وصاحبه، لذلك نادر بطلب النجاة منهما بدعوة أخرى يرفعانها، وتعهد أن يصرف القوم عن تتبعهما، قال أبو بكر فَقَالَ إِنِّي أُرَاكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ فَادْعُوَا لِي، فَاللَّهُ لَكُمَا أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ، فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَنَجَا فَجَعَلَ لا يَلقَى أَحَدًا إلا قَالَ. قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هُنَا، فَلا يَلقَى أَحَدًا إلا رَدَّهُ، قَالَ. وَوَفَى لَنَا [رواه البخاري، في الحديث ٣٣٤٦]

ويعبر سراقة عن شعوره بصدق نبوة محمد ﷺ فيقول . فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ[2]، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ فَلَمْ يَرْزَآنِي[3] وَلَمْ يَسْأَلانِي إِلا أَنْ قَالَ. «أَخْفِ عَنَّا» فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ، فَأَمَرَ عَامِرَ ابن فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ[4] ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [رواه البخاري، في الحديث ٣٦١٦]

---

١ – عُثان دخان بدون نار

٢ – الدية مقدار من المال يدفع تعويضًا عن المقتول

٣ – لم يرزآني لم يأخذوا مني شيئا

٤ – الأديم الجلد المدبوغ

الوصول إلى المدينة المنورة:

وسار ركب الهجرة المباركة في طريقه إلى المدينة المنورة، وقُبيل وصوله قابل الركب قافلة من التجار المسلمين فيهم عبد الله بن الزبير، فكسا عبد الله ابن الزبير الرسول ﷺ وصاحبه ثيابًا بيضًا، وهي التي دخل بها المدينة، روى ابن شهاب قال: أخبرني عُرْوَةُ بن الزُّبَيْر أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ لَقِيَ الزُّبَيْرَ فِي رَكْبٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا تِجَارًا قَافِلِينَ[1] مِنَ الشَّأْمِ، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللَّه ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ، وَسَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّه ﷺ مِنْ مَكَّةَ فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ[2] فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ، فَانْقَلَبُوا[3] يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوَوْا إِلَى بُيُوتِهِمْ أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى أُطُمٍ[4] مِنْ آطَامِهِمْ لأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللَّه ﷺ وَأَصْحَابِهِ مُبَيَّضِينَ، يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ[5] فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا مَعَاشِرَ الْعَرَبِ هَذَا جَدُّكُمُ[6] الَّذِي تَنْتَظِرُونَ، فَثَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السِّلاحِ فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّه ﷺ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ وَذَلِكَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّه ﷺ صَامِتًا، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الأَنْصَارِ مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللَّه ﷺ يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ حَتَّى أَصَابَتِ الشَّمْسُ رَسُولَ اللَّه ﷺ فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ

---

١ - قافلين عائدين

٢ - الحرة الأرض السوداء كأنها أحرقت

٣ - عادوا الى بيوتهم

٤ - الأطم البناء المرتفع كالحصن

٥ - يزول به السراب أى يتحرك، والسراب هو ما يظهر للإنسان فى الصحراء كأنه ماء

٦ - جدكم أمركم الهام

حَتَّى طَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ [رواه البخاري، في الحديث ٣٦١٦]

المسجد مؤسسة جوهرية في المجتمع المسلم.

لَبِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَأُسِّسَ الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ حَتَّى بَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ يُصَلِّي فِيهِ يَوْمَئِذٍ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ مِرْبَدًا لِلتَّمْرِ لِسُهَيْلٍ وَسَهْلٍ غُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حَجْرِ[1] أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ بَرَكَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ "هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْمَنْزِلُ" ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْغُلامَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمِرْبَدِ لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا فَقَالا لا بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هِبَةً حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا وَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبِنَ[2] فِي بُنْيَانِهِ وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ

"هَذَا الْحِمَالُ لا حِمَالَ خَيْبَرْ هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ"[3]

وَيَقُولُ

"اللَّهُمَّ إِنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخِرَهْ فَارْحَمِ الأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ"

[رواه البخاري، في الحديث ٣٦١٦]

ودعا رسول الله ﷺ ربه قائلاً: "اللهمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ

---

١ – أي في رعايته

٢ – الطوب النيء

٣ – أي أن هذا الحمول من اللبن (الطوب النيء) أبر عند الله وأتقى وخيرًا وأكثر ثوابًا وأدوم منفعة وأشد طهارة من حمال خيبر التي تأتي بالتمر والزبيب ونحو ذلك

أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا[1] وَصَحِّحْهَا لَنَا" [رواه البخاري، من الحديث ١٧٥٦]

وتدخل الدعوة مرحلة جديدة

*****

١ – الصاع والمد، من المكاييل

الفصل الثالث

من جواهر العلم

الطهـــارة

١- أقســـــام الميـــــاه

٢- الســـــــــؤر

٣- النجاســـــــات

٤- كيفية تطهير الأشياء

٥- آداب قضاء الحاجة

تمهيد

الطهارة من الأمور المهمة، التي تعبدنا الله بها، يقول ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1] ولقد جُعلت الطهارة شرطًا في صحة كثير من العبادات، فهي من الإيمان بمنزلة النصف من الكل، فعَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ[2]." [رواه مسلم، من الحديث ٣٢٨]

والطهور بمعناه الواسع يشمل سائر أنواع الطهارات، وهي تطهير الطاهر من الأحداث[3] والأخباث[4] والفصلات، بالوضوء والغسل والتيمم، وتطهير الجوارح[5] من الجرائم والآثام، بالتزام الأوامر واجتناب النواهي، وتطهير القلب من الأخلاق المذمومة، والرذائل الممقوتة، بالتوبة والمراقبة والإخلاص، وتطهير السر مما سوى الله ﷻ

والذي سنتناوله هنا - بمشيئة الله - هو القسم الأول، وهو تطهير الطاهر من الأحداث والأخبات والفصلات

*****

١- من الآية ٢٢٢ من سورة البقرة

٢- أي نصفه

٣- أي الحدث الأصغر، وهو البول والغائط والريح، والحدث الأكبر، وهو الجنابة، بالاحتلام أو الجماع أو الاستمناء

٤- الأخباث هي ما يعلق بالثوب والمكان والبدن وغيره من نجاسات

٥- أعضاء الإنسان التي يكسب بها خيرًا أو شرًا، كاليد والرجل واللسان والعين

١ - أقسام المياه

الماء أربعة أقسام مُطلَق ومستعمل، وما خالطه طاهر ومـا لاقتـه نجاسة

أولاً: الماء المطلق:

وحكمه أنه طهور أي أنه طاهر في نفسه مُطَهِّر لغـيره، ويـندرج تحته من الأنواع ما يلي

أ- ماء المطر والثلج والبَرَد[1]

لقول الله تعالى: ﴿ وَأَنـزلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾[2]

ب- ماء البحر والنهر

عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَرْكَبُ الْبَحْرَ وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنَ الْمَاءِ، فَإِنْ تَوَضَّأْنَا به عَطِشْنَا أَفَنَتَوَضَّأُ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "هُوَ الطَّهُورُ مَـاؤُهُ الْحِـلُّ مَيْتَتُهُ" [رواه الترمذي، الحديث ٦٤، وقال هذا حديث حَسَنٌ صَحِيحٌ]

جـ- ماء البئر

عن البراء ﷺ قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَ عَشْرَةَ مِائَةً وَالْحُدَيْبِيَةُ بِئْرٌ فَـنَزَحْنَاهَا[3] فَلَمْ نَتْرُكْ فِيهَا قَطْرَةً، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَأَتَاهَا فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِهَا[4] ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ مَضْمَضَ وَدَعَا ثُمَّ صَبَّهُ فِيهَا فَتَرَكْنَاهَا غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ إِنَّهَا أَصْدَرَتْنَا[5] مَا شِئْنَا نَحْنُ وَرِكَابُنَا [رواه البخاري،

١- البرد ماء مجمد ينـزل من السماء، قطعًا صغيره، يشبه القطن

٢- من الآية ٤٨ من سورة الفرقان

٣- أي أخذنا ماءها كله

٤- حافتها

٥- أي بتنا

الحديث ٣٨٣٥]

وعن علي ﷺ قال . أَفَاضَ[1] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَعَا بِسَجْلٍ[2] مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ فَشَرِبَ مِنْهُ وَتَوَضَّأَ [رواه أحمد، في الحديث ٥٣٢].

د- الماء المتغير:

إذا تغير بطول المكث[3]، أو بشيء حاوره ولم يختلط به، من الأشياء التي لا تذوب في الماء، كالطحلب وورق الشجر، والرمال، والطين

ثانيًا: الماء المستعمل:

وهو المنفصل من أعضاء المتوضئ والمغتسل، وحكمه أنه طهور مطهِّر، وعن أبي الشَّعْثَاءِ أَنَّ ابن عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَغْتَسِلُ بِفَضْلِ[4] مَيْمُونَةَ[5]. [رواه مسلم، الحديث ٤٨٧]

وفي حديث الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ في وصف وضوء النبي ﷺ قَالَتْ: وَمَسَحَ رَأْسَهُ بِمَا بَقِيَ مِنْ وَضُوئِهِ فِي يَدَيْهِ [رواه أحمد، من الحديث ٢٥٧٧٤]

ثالثًا الماء الذي خالطه طاهر:

كالصابون والزعفران والدقيق وغيرها من الأشياء التي تذوب بالماء عادةً، وحكمه أنه طهور مطهِّر ما دام حافظًا لإطلاقه[6]، فإن خرج عن إطلاقه بحيث صار لا يتناوله اسم الماء المطلق، كان طاهرًا في نفسه، غير

١- أي عاد من عرفة

٢- دلو

٣- طول المكث بقاؤه فترة طويلة دون استعمال أو تحريك

٤- أي من الماء المتبقي من غسلها

٥- السيدة ميمونة بنت الحارث، إحدى أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن -

٦- أي ما زال ماء، ولم يصر عجينًا، أو صابونًا، أو عطرًا كله

مُطَهِّر لغيره، فعَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ الأَنْصَارِيَّة - رَضِيَ اللَّه عَنْهَا - قَالَتْ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّه ﷺ حِينَ تُوُفِّيَت ابنَتُهُ ريب فَقَالَ «اغْسِلْنَهَا ثَلاثًا أَوْ خَمْسًا أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ رَأَيْتُنَّ ذَلِكَ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ[1] وَاجْعَلْنَ فِي الآخِرَةِ[2] كَافُورًا[3] أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ » [رواه البخاري، الحديث ١١٧٥] ومن المعلوم أن الميت لا يُغَسَّل إلا بما يصح به التطهير للحي

وعَنْ أُمِّ هَانِئ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ اغْتَسَلَ هُوَ وَمَيْمُونَةُ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ فِي قَصْعَةٍ فِيهَا أَثَرُ الْعَجِينِ. [رواه النسائي، الحديث ٢٤٠]

رابعًا. الماء الذي لاقته النجاسة:

وله حالتان

أ- أن تغير النجاسة طعمه أو لونه أو ريحه، وهو في هذه الحالة لا يجوز التطهر به إجماعًا، قَلَّ أو كثُر

ب- أن يبقى الماء على إطلاقه، بألا يتغير أحد أوصافه الثلاثة، وحكمه أنه طاهر مطهِّر، قلَّ أو كثُر، فعَنْ أَبِي سَعِيد الْخدْرِيِّ قَالَ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّه أَنَتَوَضَّأُ مِنْ بِئْرِ بُضَاعَةَ؟ - وَهِيَ بِئْرٌ يُلْقَى فِيهَا الْحِيَضُ وَلُحُومُ الْكِلابِ وَالنَّتْنُ - فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ. «إِنَّ الْمَاءَ طَهُورٌ لا يُنَجِّسُهُ شَيْءٌ» [رواه الترمذي، وقال هَذَا حديثٌ حَسَنٌ]

*****

١- السدر نبات تخضف ورقه، ويستعمل في التنظف، كاللوف

٢- أي الغسلة الأخيرة

٣- الكافور مادة دهنية رائحتها عطرة

٢- السؤر

تعريفه هو ما بقي في الإناء بعد الشرب وهو أنواع.

١- سؤر الآدمي:

وهو طاهر من المسلم والكافر والجُنب والحائض، فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ الْمُؤْمِنَ لا يَنْجُسُ" [رواه البخاري، من الحديث ٢٧٦] وعن عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ: كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ فَيَشْرَبُ، وَأَتَعَرَّقُ الْعَرْقَ[1] وَأَنَا حَائِضٌ ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ [رواه مسلم، الحديث ٤٥٣]

وأما قول الله ﷻ ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[2]، فالمراد به نجاستهم المعنوية، لا أن أبدانهم نجسة، وقد كانوا يخالطون المسلمين، وتأتي رسلهم ووفودهم إلى النبي ﷺ ويدخلون مسجده، ولم يأمر ﷺ بغسل شيء مما أصابته أبدانهم، والله ﷻ يقول ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[3].

٢- سؤر ما يؤكل لحمه:

وهو طاهر، يجوز شربه والوضوء به، فعن جابر ﷺ قال: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .. وَدَنَوْنَا مَاءً مِنْ مِيَاهِ الْعَرَبِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ رَجُلٌ يَتَقَدَّمُنَا فَيَمْدُرُ الْحَوْضَ[4] فَيَشْرَبُ وَيَسْقِينَا؟"، فَقُمْتُ فَقُلْتُ: هَذَا

١- أي آخذ بعض اللحم بأسناني من العظم الذي يحمله

٢- من الآية ٢٨ من سورة التوبة

٣- من الآية ٧٠ من سورة الإسراء

٤- أي يصلحه ويجهزه

رحلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَيُّ رَجُلٍ مَعَ حَابِرٍ؟» فَقَامَ حَبَّارُ بن صَخْرٍ، فَانْطَلَقْنَا إِلَى الْبِئْرِ فَنَزَعْنَا فِي الْحَوْضِ سَجْلاً أَوْ سَجْلَيْنِ[1] ثُمَّ مَدَرْنَاهُ ثُمَّ نَزَعْنَا فِيهِ حَتَّى أَهْيَقْنَاهُ[2]، فَكَانَ أَوَّلَ طَالِعٍ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ «أَثَادَنَانِ؟» قُلْنَا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَشْرَعَ نَاقَتَهُ[3] فَشَرِبَتْ ثُمَّ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْحَوْضِ فَتَوَضَّأَ مِنْهُ، ثُمَّ قُمْتُ فَتَوَضَّأْتُ مِنْ مُتَوَضَّإِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ [رواه مسلم من الحديث ٥٣٢٨]

٣- سؤر ما لا يؤكل لحمه:

وهو طاهر، روى أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ عَنِ الْحِيَاضِ الَّتِي بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ تَرِدُهَا السِّبَاعُ[4] وَالْكِلابُ وَالْحُمُرُ، وَعَنِ الطَّهَارَةِ مِنْهَا فَقَالَ «لَهَا مَا حَمَلَتْ فِي بُطُونِهَا وَلَنَا مَا غَبَرَ[5] طَهُورٌ» [رواه ابن ماجة، الحديث ٥١٢، وفيه عبد الرحمن بن زيد، ضعيف]

ورُوِي أَنَّ عُمَرَ بن الخَطَّابِ ﷺ حَرَجَ فِي رَكْبٍ فِيهِمْ عَمْرُو بن الْعَاصِ حَتَّى وَرَدُوا حَوْضًا فَقَالَ عَمْرُو بن الْعَاصِ لِصَاحِبِ الْحَوْضِ يَا صَاحِبَ الْحَوْضِ، هَلْ تَرِدُ حَوْضَكَ السِّبَاعُ؟ فَقَالَ عُمَرُ بن الْخَطَّابِ يَا صَاحِبَ الْحَوْضِ لا تُخْبِرْنَا فَإِنَّا نَرِدُ عَلَى السِّبَاعِ وَتَرِدُ عَلَيْنَا [رواه مالك، الحديث ٣٩، وكل رواته ثقات]

٤- سؤر الهرة

وهو طاهر، عن كبشة أن أبا قتادة دَخَلَ عَلَيْهَا قَالَتْ فَسَكَبْتُ لَهُ

---

١ - أي رفعنا من الماء وسكبناه في الحوض

٢ - أي ملأناه

٣- أي وجهها

٤- السباع المفترس من الحيوانات

٥- غبر بقي

وَضُوءًا، فَجَاءَتْ هِرَّةٌ تَشْرَبُ فَأَصْغَى لَهَا الإِنَاءَ حَتَّى شَرِبَتْ، قَالَتْ كَبْشَةُ: فَرَآنِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَتَعْجَبِينَ يَا بِنْتَ أَخِي؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ "إِنَّهَا لَيْسَتْ بِنَجَسٍ، إِنَّمَا هِيَ مِنَ الطَّوَّافِينَ عَلَيْكُمْ أَوِ الطَّوَّافَاتِ" [رواه الترمذي، الحديث ٨٥، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ]

٥- سؤر الكلب والخنزير:

سؤر الكلب نجس يجب اجتنابه، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "طَهُورُ إِنَاءِ أَحَدِكُمْ إِذَا وَلَغَ[1] فِيهِ الْكَلْبُ أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أُولاَهُنَّ بِالتُّرَابِ" [رواه مسلم، الحديث ٤٢٠].

أما سؤر الخنزير، فهو نجس؛ لخبثه وقذارته.

*****

١- أي وضع فمه

٣- النجاسات

النجاسة هي القذارة التي يجب على المسلم أن يتطهر عنها ويغسل ما أصابه منها، وهي أنواع

١- الميتة.

وهي ما مات من غير تذكية[١]، ويلحق بها ما قُطع من الحيِّ، ويستثنى من ذلك

أ- ميتة السمك والجراد، فإنها طاهرة، لما تقدم من قول النبي ﷺ في البحر «هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ» وروي أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال «أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ، فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ فَالْحُوتُ[٢] وَالْجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ» [رواه أحمد، الحديث ٥٤٦٥][٣]

ب- ميتة ما لا دم له سائل كالنمل والنحل والذباب والصراصير ونحوها، فإنها طاهرة، فإذا وقعت في شيء وماتت فيه لا تنجسه، ويختص الذباب فوق ذلك بخاصية أخرى أخبر بها النبي ﷺ،فعن أبي هريرة ﷺ قال قال النَّبِيُّ ﷺ «إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءً وَالأُخْرَى شِفَاءً» [رواه البخاري، الحديث ٣٠٧٢]

هذا ولقد كشف العلم الحديث سر هذا الحديث الشريف، فأفاد أن الذبابة مصابة بطفيلي من جنس الفطريات يسمى [أمبروموسكي]، كما

١- أي من غير ذبح شرعي

٢- يراد بالحوت جميع أنواع الأسماك

٣- الحديث ضعيف في رفعه إلى النبي ﷺ، ولكن الإمام أحمد صحح وقفه على ابن عمر

أنها تحمل الجراثيم المسببة للأمراض، فإذا تعرضت جافظات القطر على جسم الدبابة لضغط خارجي فإن القطر يطلق منها مقررًا مادة تقتل الجراثيم المرَضية، وقد ثبت أن لهذه المضادات مفعول قوي جدًّا، حيث يكفي جرام واحد منها لتعقيم أكثر من ١٠٠٠ لتر لبن من التلوث بالجراثيم المرضية !! وما عبس الدبابة فيما وقعت فيه إلا عملية تأكد من تعريض جافظات القطر إلى الضغط الذي يطلق المادة المُطَهِّرة، فكأن الدبابة فعلاً في أحد جناحيها داء وفي الآخر دواء، كما أخبر النبي ﷺ[1]!!

وعلى أية حال فإن النبي ﷺ لم يجبر أحدًا على غمس الذباب في الطعام ثم يأكله أو يشربه، وإنما نصح بذلك من عرَّ عليه الطعام، فإنه عند إذن يغمس الذبابة كلها ليطهر طعامه من الجراثيم التي وقعت في الطعام عند سقوطها فيه، أما من عافت نفسه ذلك، فلا شيء عليه

حـ- عظم الميتة وقرنها وظفرها وشعرها وريشها وجلدها، وكل ما هو من جسم ذلك طاهر، فعَنِ ابن عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّه عَنْهما - قَالَ وَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ شَاةً مَيِّتَةً أُعْطِيَتْهَا مَوْلاةٌ لِمَيْمُونَةَ مِنَ الصَّدَقَةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلا انْتَفَعْتُمْ بِجِلْدِهَا» قَالُوا: إِنَّهَا مَيْتَةٌ، قَالَ: «إِنَّمَا حَرُمَ أَكْلُهَا» [رواه البخاري، الحديث ١٣٩٧]

ويطهر بالدباغ[2] جميع جلود الميتة، ولا فرق بين ما يؤكل لحمه وما لا يؤكل، إلا جلود الكلب والخنزير، فإنها نجسة على كل حال، قال ﷺ «إِذَا دُبِغَ الإِهَابُ فَقَدْ طَهُرَ» [رواه مسلم، الحديث ٥٤٧]

---

١ - انظر التحقيق الفقهي والطبي للحديث مفصلاً، في كتاب الفقه الواضح، للدكتور محمد بكر إسماعيل، ط٢، دار المنار، ص١١٦-١٢٠

٢ - الدباغ معالجة الجلد بمادة ليزول ما به من رطوبة ونتن

أما الميت من البشر فليس بنجس، سواء كان مسلمًا أو كافرًا، قال الإمام البخاري في أول باب غسل الميت. حنَّط[1] ابن عُمَرَ - رَضِيَ اللَّه عَنْهما - ابنًا لسَعِيدِ بن زَيْدٍ وَحَمَلَهُ وَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ، وَقَالَ ابن عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّه عَنْهما -: الْمُسْلِمُ لا يَنْجُسُ حَيًّا وَلا مَيِّتًا، وَقَالَ سَعِيدٌ: لَوْ كَانَ نَجِسًا مَا مَسِسْتُهُ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "الْمُؤْمِنُ لا يَنْجُسُ"

أما الكافر فقد بيَّنَّا سابقًا أن نجاسته نجاسة معنوية وليست في بدنه.

٢ - الدم.

الدم من النجاسات إذا كان مسفوحًا - أي: مصبوبًا - كالدم الذي يجري من المذبوح، أما الدم الذي يبقى في العروق بعد الذبح فهو طاهر، ودم الحيض والنفاس نجس، فعَنْ أَسْمَاء قَالَتْ: جَاءَت امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِحْدَانَا تَحِيضُ فِي الثَّوْبِ كَيْفَ تَصْنَعُ؟ قَالَ: "تَحُتُّهُ[2] ثُمَّ تَقْرُصُهُ[3] بِالْمَاءِ وَتَنْضَحُهُ[4] وَتُصَلِّي فِيهِ" [رواه البخاري - الحديث ٢٢٠]

أما دم الجراح فلا بأس به حتى ولو كان كثيرًا، قال الإمام البخاري: يُذْكَرُ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ، فَرُمِيَ رَجُلٌ بِسَهْمٍ فَنَزَفَهُ الدَّمُ فَرَكَعَ وَسَجَدَ وَمَضَى فِي صَلاتِهِ، وَقَالَ الْحَسَنُ: مَا زَالَ الْمُسْلِمُونَ يُصَلُّونَ فِي جِرَاحَاتِهِمْ. وَعَصَرَ ابن عُمَرَ ثَرَّتَهُ[5] فَخَرَجَ مِنْهَا الدَّمُ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ.. وَقَالَ ابن عُمَرَ وَالْحَسَنُ فِيمَنْ يَحْتَجِمُ[6] لَيْسَ

---

١ - حنَّط: طيَّبه بالحنوط، وهو نوع من الطِّيب يُطيَّب به الميت

٢ - تحكه.

٣ - تدلكه بالماء بأطراف أصابعها

٤ - أي: ترشه بالماء

٥ - الجراح الصغير

٦ - الحجامة هي أخذ الدم من الرأس بعرض الخدلوي

عليه إلا غسل مَحَاجِمه[1].

ورُوي أنَّ المِسْوَرَ بن مَخْرَمَةَ دَخَلَ عَلَى عُمَرَ بن الْخَطَّاب مِنَ اللَّيْلَة الَّتي طُعِنَ فيهَا فَأَيْقَظَ عُمَرَ لصَلاة الصُّبْح، فَقَالَ عُمَرُ نَعَمْ، وَلا حَظَّ فِي الإِسْلامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلاة، فَصَلَّى عُمَرُ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ[2] دَمًا [موطأ مالك، الحديث ٧٤]

٣- الخنزير

الخنزير نجس، لا يحل لنا بيعه، ولا أكل لحمه، لقوله تعالى: ﴿قُل لا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ "إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْخَمْرَ وَثَمَنَهَا وَحَرَّمَ الْمَيْتَةَ وَثَمَنَهَا وَحَرَّمَ الْخِنْزِيرَ وَثَمَنَهُ" [رواه أبو داود، الحديث ٣٠٢٤، وكل رواته ثقات]

وقال العلماء بعدم تطهر جلد الخنزير بالدباغة.

٤- الكلب.

لعاب الكلب نجس، ويجب غسل ما ولغ فيه سبع مرات أولاهن بالتراب، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: "طَهُورُ إِنَاءِ أَحَدِكُمْ إِذَا وَلَغَ فِيهِ الْكَلْبُ أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أُولاهُنَّ بِالتُّرَابِ" [رواه مسلم، الحديث ٤٢] أما شعر الكلب فلم تثبت نجاسته.

---

١ - المحاجم هي مواضع الحجامة من الرأس

٢ - يثعب يسرف ويسيل منه الدم

٣ - الآية ١٤٥ من سورة الأنعام

٥- قيء الآدمي

لأنه قد تحول من طعام إلى شيء آخر، فأشبه الفضلات، وقد رُوي عَن أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاءَ فَأَفْطَرَ فَتَوَضَّأَ [رواه الترمذي، الحديث ٨٠] وقَالَ الترمذي وَقَدْ رَأَى غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَغَيْرِهِمْ مِنَ التَّابِعِينَ الْوُضُوءَ مِنَ الْقَيْءِ وَالرُّعَافِ[1]، إلا أنه يُعفى عن يسير القيء

٦،٧- بول الآدمي وعائطه[2]:

والبول والفرار كذلك نجسان يجب التطهر منهما بغسلهما، إلا أنه يُخفف في بول الصبي الرضيع الذي لم يأكل الطعام فيُكتفى في تطهيره بالرش، أما البنت فيغسل بولها، سواء طعمت أم لم تطعم، فعَنْ عَلِيٍّ بن أَبِي طَالِبٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ فِي بَوْلِ الْغُلَامِ الرَّضِيعِ «يُنْضَحُ[3] بَوْلُ الْغُلَامِ وَيُغْسَلُ بَوْلُ الْجَارِيَةِ» قَالَ قَتَادَةُ وَهَذَا مَا لَمْ يَطْعَمَا، فَإِذَا طَعِمَا غُسِلَا جَمِيعًا [رواه الترمذي ، الحديث ٥٥٥ وقال هذا حديث حسن صحيح]

٨،٩- المذي والودي.

المذي هو ماء أبيض لزج يخرج عند التفكير في الجماع أو عند الملاعبة، وقد لا يشعر الإنسان بخروجه، ويكون من الرجل والمرأة إلا أنه من المرأة أكثر، وهو نجس، وإذا أصاب البدن وجب غسله، أمَّا إذا أصاب الثوب فيُكتفى فيه بالرش بالماء، وعن عليٍّ ﷺ قال كُنْتُ رَجُلاً مَذَّاءً

---

١ - الرعاف خروج الدم من الأنف

٢ - أي غائطه (البراز)

٣ - أي يُرَش

فَاسْتَحْيَيْتُ أَنْ أَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَمَرْتُ الْمِقْدَادَ بن الأَسْوَدِ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: «فِيهِ الْوُضُوءُ» [رواه البخاري، الحديث ١٧٢] وفي رواية الترمذي عن سهل بن حنيف ﷺ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ بِمَا يُصِيبُ ثَوْبِي مِنْهُ؟ قَالَ: «يَكْفِيكَ أَنْ تَأْخُذَ كَفًّا مِنْ مَاءٍ فَتَنْضَحَ بِهِ ثَوْبَكَ حَيْثُ تَرَى أَنَّهُ أَصَابَ مِنْهُ» [رواه الترمذي، من الحديث ١٠٧، وقال حديث حَسَنٌ صَحِيحٌ]

أما الودي فهو ماء أبيض تخين يخرج بدون شهوة، يكون بعد البول، وهو نجس، يجب غسله كالبول

١٠- المني:

الطاهر أنه طاهر، لأنه أصل خلقة الإنسان، ولكن يستحب غسله إذا كان رطبًا، وفركه إن كان يابسًا، فقد روي عن سُلَيْمَانَ بن يَسَارٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنِ الْمَنِيِّ يُصِيبُ الثَّوْبَ فَقَالَتْ: كُنْتُ أَغْسِلُهُ مِنْ ثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَخْرُجُ إِلَى الصَّلَاةِ وَأَثَرُ الْغَسْلِ فِي ثَوْبِهِ بُقَعُ الْمَاءِ [رواه البخاري، الحديث ٢٢٣]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن شِهَابٍ الْخَوْلَانِيِّ قَالَ: كُنْتُ نَازِلاً عَلَى عَائِشَةَ[1] فَاحْتَلَمْتُ فِي ثَوْبَيَّ فَعَمَسْتُهُمَا فِي الْمَاءِ فَرَأَتْنِي جَارِيَةٌ لِعَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا، فَبَعَثَتْ إِلَيَّ عَائِشَةُ فَقَالَتْ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ بِثَوْبَيْكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: رَأَيْتُ مَا يَرَى النَّائِمُ[2] فِي مَنَامِهِ، قَالَتْ: هَلْ رَأَيْتَ فِيهِمَا شَيْئًا؟ قُلْتُ: لا، قَالَتْ: فَلَوْ رَأَيْتَ شَيْئًا غَسَلْتَهُ، لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لأَحُكُّهُ مِنْ ثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَابِسًا بِظُفُرِي [رواه مسلم، الحديث ٤٣٧]

---

١ - أي: ضيفًا عليها

٢ - كناية عن الاحتلام، نامًا مع السيدة عائشة

١١- بول وروث ما لا يؤكل لحمه

بول وروث ما لا يؤكل لحمه نجسان، لحديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال أَتَى النَّبِيُّ ﷺ الْغَائِطَ[١] فَأَمَرَنِي أَنْ آتِيَهُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ فَوَجَدْتُ حَجَرَيْنِ وَالْتَمَسْتُ[٢] الثَّالِثَ فَلَمْ أَجِدْهُ، فَأَخَذْتُ رَوْثَةً[٣] فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَأَخَذَ الْحَجَرَيْنِ وَأَلْقَى الرَّوْثَةَ وَقَالَ "هَذَا رِكْسٌ"[٤] [رواه البخاري، الحديث ١٥٢]

إلا أنه يعفى عن اليسير منه لمشقة الاحتراز عنه، فقد كان الصحابة يبتلون به في معاريهم، فلا يغسلونه من حسد أو ثوب

أما لحم ما لا يؤكل فهو نجس يجب غسل ما أصاب البدن والثوب والآنية منه، حتى ولو ذُكي ذكاة شرعية، فعَنْ سَلَمَةَ بن الأَكْوَعِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى نِيرَانًا تُوقَدُ يَوْمَ خَيْبَرَ قَالَ "عَلَى مَا تُوقَدُ هَذِهِ النِّيرَانُ؟" قَالُوا عَلَى الْحُمُرِ الإِنسِيَّةِ[٥]، قَالَ "اكْسِرُوهَا وَأَهْرِقُوهَا[٦]" قَالُوا أَلا نُهَرِيقُهَا وَنَغْسِلُهَا؟ قَالَ "اغْسِلُوا" [رواه البخاري، الحديث ٢٢٩٧]

أما ما يؤكل لحمه، فبوله وروثه طاهر، فقد قال ابن تيمية لم يذهب أحد من الصحابة إلى القول بنجاسته، وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ نَفَرٌ مِنْ عُكْلٍ[٧] فَأَسْلَمُوا، فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ[٨]، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَأْتُوا إِبِلَ

---

١ - الغائط مكان قضاء الحاجة

٢ - الالتماس البحث والطلب

٣- الروثة فضلات الحيوانات

٤- الركس النجاسة، وفي حديث ابن ماجة رقم ٣١٠. رجس

٥- الحُمُر جمع حمار، والحمار الإنسي هو المستأنس الذي يُركب، بخلاف الحمار الوحشي فإنه يؤكل، وهو الذي يعيش في الصحراء بعيدًا عن الناس

٦- أي اسكبوا ما فيها، وأهرعوها

٧ - قبيلة من العرب

٨ - أي أصابهم الجوى، وهو داء البطن، أثناء إقامتهم بالمدينة

الصَّدَقَةِ فَيَتْرُكُوا مِنْ أَبْوَالِهَا وَأَلْبَانِهَا فَفَعَلُوا فَصَحُّوا [رواه البخاري، من الحديث ٤ ٦٣]

١٢ - الْجَلاَّلة:

والجلاَّلة هي التي تأكل العذرة[١]، من الإبل والبقر والغنم والدجاج والأوز وغيرها؛ حتى يتغير ريحها.

فعن ابن عُمَرَ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْلِ الجَلاَّلَةِ وَأَلْبَانِهَا. [رواه الترمذي، الحديث ١٧٤٧]

وإن حُبِسَت الجَلاَّلة بعيدة عن العذرة زمنًا، وعُلِفَت علفًا طاهرًا طاب لحمها وذهب اسم الْجَلاَّلة عنها وصار أكل لحمها وشرب لبنها حلالاً، لأن علة النهي قد زالت

١٣ - الخمر:

إن تحريم شرب الخمر لا يعني بالضرورة نجاستها، أما قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ[٢] وَالأَنصَابُ[٣] وَالأَزْلاَمُ[٤] رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٥]، فيحمل على أنها نجسة نجاسة معنوية، مثلها مثل الميسر والأنصاب والأزلام، وليس هناك دليل على نجاستها الحسية، ووجوب تطهير البدن والثوب منها.

*****

١ - العذرة النجاسة

٢ - القمار

٣ - حجارة كانت تنصب في الجاهلية حول الكعبة، يذبحون عندها للأصنام

٤ - سهام كانوا يقترعون بها ويحتكمون إليها في الجاهلية لإنفاذ أمر ما

٥ - من الآية ٩٠ من سورة المائدة

٤- كيفية تطهير الأشياء

١- تطهير البدن والثوب

الثوب والبدن إذا أصابتهما نجاسة مرئية لها جسم -كالدم والغائط- فإنها تحك وتدلك جيدًا ثم تغسل بالماء حتى تزول، لحديث أسماء، وفيه جَاءَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ أَرَأَيْتَ إِحْدَانَا تَحِيضُ فِي الثَّوْبِ كَيْفَ تَصْنَعُ؟ قَالَ «تَحُتُّهُ ثُمَّ تَقْرُصُهُ بِالْمَاءِ وَتَنْضَحُهُ وَتُصَلِّي فِيهِ» [رواه البخاري، الحديث ٢٢٧]

وإن كانت النجاسة ليس لها جسم ولا تُرى بعد الجفاف -كالبول- فيكتفى بغسلها بالماء جيدًا حتى يغلب على الظن أنها قد زالت، إلا أنه يكتفى في بول الغلام الرضيع بالرش، دفعًا للحرج والمشقة، كما ذكرنا سابقًا[1]

ومن حمي عليه موضع النجاسة من الثوب وجب عليه غسله كله

وإذا أصابت النجاسة ذيل ثوب المرأة فإن الأرض الطاهرة تطهره عندما يجتك ذيل الثوب بها بعد ذلك، فعَنْ أُمِّ وَلَدٍ[2] لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَوْفٍ قَالَتْ: كُنْتُ أَجُرُّ ذَيْلِي[3] فَأَمُرُّ بِالْمَكَانِ الْقَذِرِ وَالْمَكَانِ الطَّيِّبِ فَدَخَلْتُ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ[4] فَسَأَلْتُهَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «يُطَهِّرُهُ مَا بَعْدَهُ» [رواه أحمد، الحديث ٢٥٢٨٣ وكل رواته ثقات]

أما لو أصاب المرء شيءٌ لا يدري أطاهر هو أم نجس، لا يجب عليه

---

١ - راجع الحديث عن بول الآدمي في النجاسات

٢ - اسمها حميدة

٣ - كناية عن طول ثوبها

٤ - هي أم المؤمنين هند بنت أمية بن المغيرة

أن يسأل، ولو سأل لا يجب على المسئول أن يجيبه ولو علم أنه مجنس، ولا يجب عليه عسل ذلك - وذلك من يسر الإسلام - ولكن إن سأل وأُجيب بنجاسته وجب عليه غسله

٢- تطهير الأرض

تطهر الأرض إذا أصابتها نجاسة بصب الماء عليها، لحديث أبي هريرة ﷺ أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي الْمَسْجِدِ فَثَارَ إِلَيْهِ النَّاسُ لِيَقَعُوا بِهِ[1]، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «دَعُوهُ وَأَهْرِيقُوا[2] عَلَى بَوْلِهِ ذَنُوبًا[3] مِنْ مَاءٍ أَوْ سَجْلاً[4] مِنْ مَاءٍ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ» [رواه البخاري ، الحديث ٥٦٦٣]

وتطهر الأرض أيضًا بالجفاف، هي وما يتصل بها كالشجر والمباني، فعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قَالَ كَانَتِ الْكِلاَبُ تَبُولُ وَتُقْبِلُ وَتُدْبِرُ[5] فِي الْمَسْجِدِ فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَكُونُوا يَرُشُّونَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ [رواه البخاري، من الحديث ١٦٨] هذا إذا كانت النجاسة سائلة، أما إن كان للنجاسة جسم فلابد من إزالة جسمها ولا يكتفى بالجفاف

٣- تطهير الأطعمة

الأطعمة الجامدة إذا وقعت فيها نجاسة، طُرحت وما حولها من الطعام، فعَنْ مَيْمُونَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ فَأْرَةٍ سَقَطَتْ فِي سَمْنٍ فَقَالَ

---

١ - أي ليضربوه، تأديبًا له على ما فعل
٢ - أي اسكبوا
٣ - الذنوب الدلو الكبير
٤ - السجل الدلو
٥ - أي تروح وتجيء

"أَلْقُوهَا وَمَا حَوْلَهَا فَاطْرَحُوهُ وَكُلُوا سَمْنَكُمْ" [رواه البخاري، الحديث ٢٢٨] هذا في الجوامد، أما المواتع[1] فذهب الجمهور إلى أنها تنجس كلها عملاقاة النجاسة، لما ورد عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الفَأْرَةِ تَقَعُ فِي السَّمْنِ فَقَالَ "إِنْ كَانَ جَامِدًا فَأَلْقُوهَا وَمَا حَوْلَهَا وَإِنْ كَانَ مَائِعًا فَلا تَقْرَبُوهُ" [رواه النسائي، الحديث ٤١٨٧]، ويرى فريق من العلماء أن المائع حكمه مثل الماء، لا ينجس إلا إذا تغير بالنجاسة، فإن لم يتغير فهو طاهر

٤- تطهير جلد الميتة

يطهر جلد الميتة طاهرًا وباطنًا بالدباغ[2]، قال ﷺ: "إِذَا دُبِغَ الإِهَابُ فَقَدْ طَهُرَ" [رواه مسلم، الحديث ٥٤٧]

٥- تطهير الأدوات والآنية.

تطهر المرآة والسكين والسيف والظفر والعظم والزجاج والآنية المدهونة وكل صقيل لا مسام له بالمسح أو الغسل الذي يزول به أثر النجاسة

٦- تطهير النعل:

يطهر النعل المتنجس بالدلك بالأرض إذا ذهب أثر النجاسة، لحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال "إِذَا وَطِئَ أَحَدُكُمْ بِنَعْلِهِ الأَذَى فَإِنَّ التُّرَابَ لَهُ طَهُورٌ" [رواه أبو داود، الحديث ٣٢٨]

ولا يجب غسل ما أصابه طين الشوارع من بدن أو ثوب أو نعل، ما لم يعلم على الطين نجاسته، فقد روي أن عليًا ﷺ كان يخوض طين المطر ثم يدخل المسجد فيصلي دون أن يغسل رجليه

---

١ - أي السوائل

٢ - الدباغ معالجة الجلد مادة ليزول ما به من رطوبة ونتن

٥- آداب قضاء الحاجة[١]

شرع الإسلام لقضاء الحاجة آدابًا يسمو للمسلم مراعاتها لكي يسمو بنفسه عن العادات المقوتة والطباع المرذولة التي عليها أكثر الناس في هذا الزمان، وأهم هذه الآداب:

١- ألا يستصحب ما فيه اسم الله:

كمصحف أو خاتم أو قلادة، إلا إن خيف عليه الضياع، فقد رُوي عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلاءَ نَزَعَ خَاتَمَهُ. [رواه الترمذي، الحديث ١٦٦٨، وقال هَذَا حديثٌ حسَنٌ غَرِيبٌ]

٢- البعد والاستتار عن الناس:

لا سيما عند الغائط؛ لئلا يسمع له صوت أو تشم له رائحة، فعَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ الْبَرَازَ انْطَلَقَ حَتَّى لا يَرَاهُ أَحَدٌ. [رواه أبو داود، الحديث ٢]

٣- الجهر بالاستعاذة:

يكون ذلك عند الدخول في البنيان المُعَدّ لقضاء الحاجة وعند تشمير الثياب في الفضاء، لقول أنس ﷺ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلاءَ قَالَ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ" [رواه البخاري، الحديث ١٣٩] والخُبُث هم ذكور الشياطين، والخبائث إناثهم، وإنما يقول العبد ذلك؛ لأن أماكن قضاء الحاجة غالبًا ما تكون مأوى للشياطين، فيستعيذ بالله ليحفظه منهم

١- كناية عن التبول والتبرز

٤- أن يكف عن الكلام مطلقًا

سواء كان ذكرًا أو غيره، فلا يرد سلامًا ولا يجيب مؤذنًا إلا لما لا بد منه، كإرشاد أعمى يخشى عليه من التردي، فإن عطس أثناء ذلك حمد الله في نفسه ولا يحرك به لسانه، فعن أبي سَعِيد قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ "لا يَخْرُجِ الرَّجُلانِ يَضْرِبَانِ الْغَائِطَ كَاشِفَيْنِ عَنْ عَوْرَتِهِمَا يَتَحَدَّثَانِ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يَمْقُتُ[1] عَلَى ذَلِكَ" [رواه أبو داود ، الحديث ١٤]

وعَنِ ابن عُمَرَ - رضي الله عنهما - أَنَّ رَجُلاً مَرَّ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبُول، فَسَلَّمَ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ [رواه مسلم، الحديث ٥٥٥]

٥- أن يعظم القبلة:

فلا يستقبلها ولا يستدبرها، لحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قَالَ "إِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ عَلَى حَاجَتِهِ فَلا يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلا يَسْتَدْبِرْهَا" [رواه مسلم ، الحديث ٣٨٩] ، وهذا النهي محمول على الكراهة ، لحديث ابن عمر -رضي الله عنهما - قَالَ: ارْتَقَيْتُ فَوْقَ ظَهْرِ بَيْتِ حَفْصَةَ لِبَعْضِ حَاجَتِي فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ مُسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةِ مُسْتَقْبِلَ الشَّأْمِ [رواه البخاري ، الحديث ١٤٤]

ويقال في الجمع بينهما إن التحريم في الصحراء والإباحة في البنيان

٦- أن يطلب مكانًا ليِّنًا منخفضًا

ليحترز فيه من الإصابة بالمحاسة، وحتى لا يصيبه رشاش البول، فقد كَتَبَ أَبُو مُوسَى إِلَى عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ

---

١ - أي يعصب أشد العصب

فَأَرَادَ أَنْ يَبُولَ فَأَتَى دَمِثًا[1] فِي أَصْلِ جِدَارٍ فَبَالَ ثُمَّ قَالَ ﷺ «إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَبُولَ فَلْيَرْتَدْ لِبَوْلِهِ مَوْضِعًا» [رواه أبو داود، من الحديث ٣]

وعدم الاستبراء من البول يوجب عذاب القبر، فعَنِ ابن عَبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ» [رواه البخاري، الحديث ٢١١]

٧- أن يتقي الجُحْرَ:

لئلا يكون فيه شيء يؤديه من الهوام، فعَنْ قَتَادَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجِسَ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ «لا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي جُحْرٍ» قَالُوا لِقَتَادَةَ: وَمَا يُكْرَهُ مِنَ الْبَوْلِ فِي الْجُحْرِ؟ قَالَ يُقَالُ إِنَّهَا مَسَاكِنُ الْجِنِّ [رواه النسائي، الحديث ٣٤]

٨- أن يتجنب ظل الناس وطريقهم ومتحدثهم.

فلا يقضي حاجته في الطريق ولا تحت الأشجار والجدران ونحوها، لأنه هذا العمل يجعل الناس يلعنونه، فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال «اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ»[2]، قَالُوا وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ «الَّذِي يَتَخَلَّى[3] فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ» [رواه مسلم، الحديث ٣٩٧]

٩- ألا يبول في مكان استحمامه:

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أَنْ يَبُولَ الرَّجُلُ فِي

---

١ - الدمث: المكان اللين السهل

٢ - اللعانان: أمران يجلبان اللعن

٣ - أي: يقضي حاجته

مُسْتَحَمِّهِ[1] وَقَالَ: «إِنَّ عَامَّةَ الْوَسْوَاسِ مِنْهُ»[2] [رواه الترمذي، الحديث ٢١]، وقَالَ ابن الْمُبَارَكِ. قَدْ وُسِّعَ فِي الْبَوْلِ فِي الْمُغْتَسَلِ إِذَا جَرَى فِيهِ الْمَاءُ.

وإن كان في المغتسل نحو بالوعة فلا يكره البول.

١٠- ألا يبول في الماء الراكد[3]:

فعَنْ جابر ﷺ عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ، [رواه مسلم، الحديث ٤٢٣]، وذلك حتى يظل طاهرًا ينتفع الناس به.

١١- ألا يبول قائمًا:

تأدبًا، لمنافاته الوقار ومحاسن العادات، ولأنه قد يتطاير عليه وشاشه، فإذا أمن من الرشاش جاز، قال النووي: البول جالسًا أحب إليَّ، وقائمًا مباح، وكل ذلك ثابت عن رسول الله ﷺ

فعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ. أَتَى النَّبِيُّ ﷺ سُبَاطَةَ قَوْمٍ فَبَالَ قَائِمًا ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَجِئْتُهُ بِمَاءٍ فَتَوَضَّأَ. [رواه البخاري، الحديث ٢١٧]

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت مَنْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَبُولُ قَائِمًا فَلَا تُصَدِّقُوهُ، مَا كَانَ يَبُولُ إِلا قَاعِدًا [رواه الترمذي، الحديث ١٢] وقال حَدِيثُ عَائِشَةَ أَحْسَنُ شَيْءٍ فِي هَذَا الْبَابِ وَأَصَحُّ . وَمَعْنَى النَّهْيِ عَنِ الْبَوْلِ قَائِمًا عَلَى التَّأْدِيبِ لا عَلَى التَّحْرِيمِ. وكلام عائشة مبني على ما علمت ورأت، فلا ينافي حديث حذيفة.

١٢- أن يزيل ما على السبيلين[4] من النجاسة (الاستنجاء):

وهو واجب، ويكون ذلك بالماء، فعن أنس ﷺ قال كَانَ رَسُولُ

---

١ - مكان الاستحمام

٢ - أي: أنه يحمل الإنسان بشك في طهارته، فخوف أن يكون البول أصابه.

٣ - هو الماء الدائم في مكان واحد، لا يجري ولا يتجدد

٤ - القُبُل والدُّبُر

اللهِ ﷺ يَدْخُلُ الْخَلاءَ فَأَحْمِلُ أَنَا وَغُلامٌ إِدَاوَةً[1] مِنْ مَاءٍ وَعَنَزَةً[2] يَسْتَنْجِي بِالْمَاءِ [رواه البخاري، الحديث ١٤٨] وإذا لم يجد ماءً يستنجي به فليستجمر[3] بالأحجار – وما في معناها – من كل جامد طاهر قالع للنجاسة ليس له حرمة، فلا يُستنجَى بعظم ولا روث، فعَنْ عَائِشَةَ – رضي الله عنها – أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا ذَهَبَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْغَائِطِ فَلْيَذْهَبْ مَعَهُ بِثَلاثَةِ أَحْجَارٍ فَلْيَسْتَطِبْ بِهَا فَإِنَّهَا تَجْزِي عَنْهُ» [رواه النسائي، الحديث ٤٤]، أو يستنجي بهما معًا (أي بالأحجار والماء)

١٣– ألا يستنجي بيمينه.

تنزيهًا لها عن مباشرة الأقذار، فعن حفصة – رضي الله عنها– أن النَّبِي ﷺ قَالَ: «إِذَا بَالَ أَحَدُكُمْ فَلا يَأْخُذَنَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَلا يَسْتَنْجِي بِيَمِينِهِ» [رواه البخاري، من الحديث ١٥٠] وعن حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَجْعَلُ يَمِينَهُ لِطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَثِيَابِهِ وَيَجْعَلُ شِمَالَهُ لِمَا سِوَى ذَلِكَ [رواه أبو داود، الحديث ٣]

١٤– أن ينظف يده بعد الاستنجاء

بدلكها بالأرض، أو بغسلها بصابون ونحوه، ليزول ما علق بها من الرائحة الكريهة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَى الْخَلاءَ أَتَيْتُهُ بِمَاءٍ فِي تَوْرٍ[4] أَوْ رَكْوَةٍ[5] فَاسْتَنْجَى، قَالَ أَبُو دَاوُد فِي حَدِيثِ وَكِيعٍ ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ عَلَى الأَرْضِ ثُمَّ أَتَيْتُهُ بِإِنَاءٍ آخَرَ فَتَوَضَّأَ. [رواه أبو داود، الحديث٤١]

---

١ – الإداوة إناء صغير من الجلد

٢ – العنزة عصا كالعكازة حادة الطرف

٣ – الاستجمار الاستنجاء بالحجار، وهي الأحجار الصغيرة

٤ – التور القدح الكبير

٥ – الركوة اناء من جلد

١٥- أن ينضح فرجه وسراويله بالماء إذا بال.

يستحب للإنسان أن ينضح فرجه وسراويله، بالماء بعد البول والاستنجاء، ليدفع عن نفسه الوسوسة، فعن سفيان بن الحكم الثقفي قال كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَالَ يَتَوَضَّأُ وَيَنْتَضِحُ[1] [رواه ابو داود ، الحديث ١٤٢]

١٦- الاستغفار بعد الخروج

فعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلاءِ قَالَ "غُفْرَانَكَ" [رواه الترمذي ، الحديث ٧]

وكان النبي ﷺ يستغفر بعد قضاء الحاجة، لتركه الذكر في تلك الحالة، فاعتبر ترك الذكر تقصيرًا يستغفر منه، وقيل يستغفر لتقصيره في شكر نعمة الله ﷻ عليه بإخراج الأذى من جوفه

١٧- الدخول بالقدم اليسرى والخروج باليمنى.

وذلك تمييزًا لأماكن الطهارة عن أماكن النجاسة، فالمساجد تدخلها باليمنى وتخرج منها باليسرى

*****

١ - ينضح يرش فرجه وثوبه بالماء

الفصل الرابع

من حصاد الفكر

تعريف عام بالدين

الدين

الدين من أهم الأمور التي يهتم بها البشر، وقد يختلف الناس في التعبير عن تصورهم لمعنى الدين، البعض يُعَرِّفُ عنه باعتبار جوهره، والبعض يُعَرِّفُ عنه بالشائع مما اصطلح عليه عموم الناس، وقليل مَنْ يُعَرِّفُ عنه بالمعاني التي عَرَّف بها القرآن معنى الدين، ولا يزال في العرب ومَنْ تأثر بهم مَن يُعَرِّفُ عن الدين بتعريفٍ من عنده، يخترعه عقله أو يمليه عليه هواه

المبادئ جوهر الدين:

الدين (أي دين) جوهره جملة من المبادئ تعتنقها جماعة من البشر وتعمل بها[1]

وعموم الناس يُعَرِّفون الدين على أنه وضع إلهي يسوق ذوي العقول باختيارهم للصلاح في الحال والفلاح في المآل.

أمَّا مفكرو العرب فيرون أنَّ الدين هو ارتباط جماعة إنسانية بإلَه أو آلهة، ويظنون أن ذلك من صنع أذكياء دهاة ماكرين فعلوا ذلك كحيلة لعلاج أمراض المجتمع.

مَن الكافر؟

كلنا يلاحظ أنه إذا سُئِل الناس: من المسلم؟ ومن اليهودي؟ ومن الكافر؟ لكانت الإجابة الشائعة: المسلم هو مَن دينه الإسلام، وكتابه القرآن ونبيه محمد ﷺ، أمَّا اليهودي فدينه اليهودية، وكتابه التوراة ونبيه موسى عليه السلام، أما الكافر فهو الذي لا دين له، هكذا يجيب كثير من الناس، بل ويتعلم التلاميذ ذلك في المدارس، لكنها إجابة خاطئة، لأن

١- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ص ١٠٦٧ ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، الرياض ١٤١٨ هجرية

للكافر دينًا!!

الكافر له دين:

يخبرنا الله ﷻ في كتابه العزيز أن الكافر له دين، نفهم ذلك من قوله ﷻ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[1]

لماذا يُخاطَب هؤلاء الناس الذين لا يتبعون رسولاً معينًا ولا كتابًا محددًا ولا دينًا سماويًا مسمًّى، بأنهم أصحاب دين يتبرأ منه رسول الله ﷺ ؟ هل المقصود من كلمة دين هنا أمرًا آخر لا يقتصر على الإيمان بكتاب سماوي محدد كما يقول الناس؟ لابد لنا من أن نفهم مدلول الدين ومعنى الإسلام لكي نفهم قول الله ﷻ ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾[2]، فيصلح تديننا ويصح إسلامنا

القرآن الكريم يحدد معنى الدين.

لقد جاء القرآن الكريم محددًا معنى الدين مما يُغني عن الرجوع إلى المعاني التي كانت شائعة قبل نزوله، وفي هذا البيان هداية للعربي والأعجمي، وبذلك لا يرتقي فهم مدلول الدين - وهو أمر جوهري - بالقدرة على التعمق في فقه اللغة، خاصة وأن المجتمع قد يكون فيه العربي والأعجمي، وكلاهما مطالب بالإسلام وبالشهادتين دون تمييز بين أساس وآخرين، فمن شأن تكرار التعبد بالقرآن وتلاوته في الصلاة أن يشيع بين

١- سورة الكافرون

٢- من الآية ١٩ من سورة آل عمران

الناس المعنى الصحيح لكلمة الدين الذي يُفهم من القرآن، وقد صار من المتعيِّن الأخذ بيان القرآن والتسليم بمقتضاه

سمَّى الله ﷻ في القرآن ما عليه الكفار دينًا، فما معنى تدين الكافر أو الديونة في حقه؟ لقد استخدمت مادة (دَيَنَ) في القرآن للدلالة على معانٍ محددة مثل المحاسبة، والجزاء، والانقياد، ونظام الحياة.

الدين محاسبة:

أما المعنى الأول: فهو المحاسبة، وهو يُفهم من قوله تعالى: ﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[1]، أي يوم المحاسبة، وهو يوم القيامة، وقوله ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾[2] وقوله ﴿فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾[3] ومثل ذلك قوله ﷺ: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ» [رواه الترمذي، من الحديث ٢٣٨٣]

وَقَالَ مُجَاهِدٌ ﴿بِالدِّينِ﴾ بِالْحِسَابِ، و﴿مَدِينِينَ﴾ مُحَاسَبِينَ[4]، فمن الديونة المحاسبة، حتى أن يوم القيامة سُمِّي. يومُ الدين، إذ يحاسب فيه الناس على أساس مدى التزامهم بما أرسله إليهم المولى ﷻ.

الدين جزاء.

والمعنى التالي للدين هو الجزاء، وتُعبِّرُ عنه كلمة دين في آية ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾[5] أي أن الجزاء بالثواب والعقاب واقع، وقد عنون البخاري

١- الآية ٤ من سورة الفاتحة

٢ - الآية ٩ من سورة الانفطار

٣ - الآية ٨٦ من سورة الواقعة

٤- من عنوان باب في كتاب التفسير بصحيح البخاري، تفسير أم الكتاب

٥- الآية ٦ من سورة الذاريات

لباب تفسير سورة الفاتحة أم الكتاب في كتاب التفسير بصحيحه هذا المعنى فقال [وَسُمِّيَتْ أُمّ الْكِتَاب أَنَّهُ يُبْدَأ بِكِتَابَتِهَا فِي الْمَصَاحِف، وَيُبْدَأ بِقِرَاءَتِهَا فِي الصَّلاة، وَالدِّينُ الْجَزَاءُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، كَمَا تَدِينُ تُدَانُ][1]

الدين نظام وطريقة وقانون

والمعنى الثالث هو النظام والقانون والطريقة والأسلوب والعادة، فمن تعود على أمر ونظّم عليه أموره يقول فيه: إن من ديدنه كذا، إنها طريقته، ولو قلنا: من ديدن أهل القرية – مثلاً – أن يعقدوا السوق يوم الخميس، فهذه عادتهم وتقاليدهم وهذا نظامهم، ولهذا تستعمل كلمة (دين) للدلالة على النظام والقانون، هذا المعنى يتجلى في تفسير آية ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلا أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[2]

الدين خضوع واستسلام وانقياد

ومعنى رابع تستخدم فيه نفس المادة ومشتقاتها، وهو كمال الخضوع والاستسلام ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾[3]، وفي اللغة العربية تقول دِنْتُ القومَ فدانوا، أو: دان القوم لفلان، ففي الدينونة معنى يتمُّ عن علاقة يخضع فيها طرف لآخر أو يطيعه ويُسلِم له القياد إسلامًا

١- من عنوان باب في كتاب التفسير بصحيح البخاري، تفسير أم الكتاب

٢- الآية ٧٦ من سورة يوسف

٣- من الآية ١٩ من سورة آل عمران

كل دين منهج وكل منهج دين:

من أجل ذلك، كانت كلمة دين أنسب وأصدق وأشمل في التعبير عن حال المتدين، إذ المتدين بأي منهج في واقع الأمر هو الذي يرضى بأن يُخضع نفسه لنظام ما، أو لمنهج وعادات وتقاليد يرتب أموره على مقتضاها، ويلتزم بها، ويرتضي المحاسبة على أساسها، وما قد تخبره هذه المحاسبة من جزاء، فمن التزم كُرِّمَ ورُفِعَ وحُمِدَ، ومن نقض عُوتب أو عُوقب أو أُبعد، فكل علاقة هذا وصفها، وكل نظام هذه طبيعته، له من الديمومة نصيب

وهكذا نفهم لماذا للكفار دين؟ لهم دين لأنهم أرادوا لأنفسهم نظامًا يلتزمون به في العادات والتقاليد والتعاملات، وارتضوه معيارًا للمحاسبة بينهم، بل رفعوا فيهم من التزم به ودافع عنه، وحاربوا وأخرجوا وعادوا من تجرأ عليه وخرج عنه، فهو منهج حياة يريد الكفار أن يخضع له المجتمع، إنها حالة متكاملة تتجلى فيها معاني الدين والمديونة من خضوع لنظام ومحاسبة وجزاء

الدين الحق والدين المخترع

ومنهج حياة الإنسان إذا كان من لدن الخالق كان دينًا حقًّا محكمًا قيِّمًا جديرًا بالالتزام، وإن كان من عند غير الله كان دينًا أرضيًّا مخترعًا

ومن أراد أن يضع للإنسان منهجًا للعادات و التقاليد، أو منهجًا للسلوك والأخلاق، أو منهجًا للاقتصاد، أو معيارًا للمحاسبة يجد نفسه متعرضًا لا محالة لمحال أو أكثر من مجالات عمل دين الله

دين الله أولى بالاتباع من أفكار البشر:

قد يجد الناس ما وُضِعَ موافقًا لما جاء عن المولى ﷻ، وهذا نقول فيه أعانا الله بالوحي، وقد يجدون ما وُضِعَ مخالفًا لما جاء عن المولى ﷻ، فنقول فيه دين الله أولى بالاتباع من أفكار البشر[1]

أولى بالاتباع، لأن اتباعه هو الذي يجعلنا عبيدًا لله ﷻ وحده عندما نفرده ﷻ - دون غيره - بحق وضع منهج الحياة التي خلقها، فهو حقٌّ من أخص حقوق الألوهية

أولى بالاتباع، لأنه هو الذي يمنح كل الناس كرامة متساوية، فتطبيقه يحتكم الكل لسيد واحد، فلا يكون بشر سيدًا لبشر

أولى بالاتباع، لأنه الوحيد المبرأ من نتائج الهوى البشري والضعف الإنساني والمنفعة المادية الشخصية التي يدخرها لنفسه من يضع مناهج من البشر

أولى بالاتباع، لأنه الوحيد الذي يتناسق مع نظام الكون كله، يرتكز على أساس من التفسير الشامل الحقيقي للوجود، ويكفل للإنسان التعاون مع القوى الكونية الهائلة، ومسايرة نواميس الكون العلانة بدلاً من التصادم معها

يُقام الدين بجهد البشر.

يتطير بعض الناس من دين الإسلام أن يعمل في حياة البشر بطريقة سحرية خارقة، ويتوقع البعض أن ينتصر دائمًا الممثلون لهذا الدين بصرف النظر عن توفر الأسباب المادية، ولو قَصَّر أهله في واجباتهم، وتصور بعض المسلمين أن قيام هذا الدين يكون فقط بكلمة كن فيكون، كل هذا -

---

١- للاستزادة يراجع كتاب (هذا الدين) للأستاذ سيد قطب، دار الشروق، ص ١٧ ٢٨

بلا شك – في متناول قدرة الله ﷻ، لكنه ﷻ أراد غير ذلك، لقد جعل الله ﷻ طبيعة هذا الدين أن يقوم في الدنيا وأن يعمل في الحياة مجهد البشر، فلابد من فئة تحمل هذا الدين وتجاهد به –أولاً – في قلوبها حتى تؤمن به إيمانًا كاملاً، وتستقيم عليه بقدر طاقتها، وتجاهد به بنفوسها – ثانيًا – حتى تقرع بنفوسهم من حط بنفوسهم، حتى لو كان حط نفوسهم هذا هو مجرد تمني أن يكون شرف قيام شأن الإسلام فقط على أيديهم، وتجاهد به – ثالثاً – هؤلاء الذين يدفعهم الهوى للوقوف في وجه الهدى، فإن قَصَّرت الفئة التي تحمل هذا الدين عرَّضت نفسها للخسارة، وقد حدث ذلك في غزوة أحد، فقال تعالى ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، وقد يكون لهذا التقصير وهذه الخسارة أثر على رفعة دين الله ومنهجه، فقد قال رسول الله ﷺ يوم بدر « اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ[2] مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ لا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ » [رواه مسلم، من الحديث ٣٣٠٩]

العَلْمَانِيَّة دين الدنيوية

وسمعنا عن دين اللادينية، إذ يخدع الناس أكثر ما يخدعون بما يُطْلَق عليه اسم العلمانية، وأصحاب العلمانية يفسروها بأنها عزل الدين وحبسه في ضمير الفرد، فلا يتحاور العلاقة الخاصة بين الفرد وبين ربه، وهم في العرب يسموها إلى العَالَم[3] وليس إلى العلم[4] كما يظن البعض،

١– الآية ١٦٥ من سورة آل عمران

٢– العصابة الجماعة من الناس

٣– أصلها قبل الترجمة secularism المشتقة من secular ، أي العالم المشهود

٤– العلم في كلام مخترعي العلمانية كلمة science

وترجمتها الصحيحة هي الدنيوية[1]، ومعناها مراعاة المصلحة في هذه الحياة وفقط، والمصلحة هنا هي ما يُعرف بالعقل بعيدًا عن الدين، ودعاة العلمانية في الغرب صُرحاء، ويقولون إنها النظام اللاديني، أمَّا دعاتها في الشرق فهم مخادعون، ويزعمون أنها النظام المعتمد على العلم، وهم يتعاملون مع أصل معناها في لغة من اخترعها؛ لأنه يكشف عداوتها للدين وليس تعايشها معه، ولا يعبر عن ارتباطها بالعلم

ولأن الدنيوية [العلمانية] لها نظام يُراد للناس أن يخضعوا له، وهو يحدد لهم القيم والموازين التي يُعمل بها، ويُحاسب الناس على أساسها، فيرفع ويحترم من الترم بها، ويسد ويحارب من يتجاوزها، فإن هذه اللادينية أو الدنيوية من الناحية الموضوعية هي أيضًا دين، يعمل في نفس المجالات التي تعمل فيها بقية الأديان ومنها الإسلام

إنه امرؤ فيه علمانية

وبالرغم من أن واقع حياة الناس يدل على أن الكثيرين منهم يهجون في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية مناهج تخالف شريعة الله، إلا أن ذلك لا يعني بالضرورة فساد عقيدة المسلمين منهم، بل هم بذلك عاصون لأوامر الله، فليس لنا أن نريد أو أن ننقص في الأقوال والأعمال التي إذا قالها المسلم أو عملها خرجت به من الإسلام وارتد بها إلى الكفر[2]، لأنها محددة من قِبَل الله ﷻ، ووضحها رسوله ﷺ، وهذا ما نأمل إيضاحه في الجزء التالي حين نعرض لتعريف عام بالإسلام كدين

١- أول من عدل ترجمتها إلى [العلمانية] هو [إلياس بقطر] سنة ١٨٢٧ في معجم عربي فرنسي من تأليفه - راجع الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ط ٣، ص ٦٩١

٢- المستشار حسن الهضيبي، دعاة لا قضاة، ط دار الطباعة والنشر، ١٩٧٧، ص ٣٥ بتصرف

أمَّا إن صادفت من يخلط في أمره بين منهج الله ﷻ وأي منهج من المناهج الأرضية - علمانية أو رأسمالية أو غيرها - فلا تسارع بتكفيره، فقد يكون ممَّن يقال لهم إنك امرؤ فيك علمانية، وقد قيل مثلها لمن هو أفضل منه، قال رسول الله ﷺ « يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟! إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ » [رواه البخاري، من الحديث ٢٩]

*****

الباب الثاني

مع الناس

تمهيد

الباب الثاني **مع الناس** مكون من أربعة فصول، وكل فصل يتكون من أربعة موضوعات، يخدم كل منها محورًا تربويًّا متميزًا، وحتى لا يملّك المتشابه، أو يستحوذ عليك محور واحد لفترة طويلة فتفتر، أو يتحول الأمر إلى مجرد استرادة علمية دون تحقيق للجانب الوجداني أو للترجمة السلوكية المقصودة، كان تقسيم المحور الواحد على الفصول الأربعة مقصودًا، فمَن تناول الباب هذا الترتيب، سار في المحاور كلها بتوازن ومحطًا ثابتة، وأعان نفسه على نفسه بالتنوع، وتحققت بسهولة الجوانب الوجدانية والعملية

ومَن أراد بعد ذلك تتبع المحور الواحد عبر الفصول الأربعة، فله ما أراد، وإضافة كل فقرة إلى نظيرتها في باقي الفصول الأربعة، تُكمِّل الموضوع في جانبه العلمي والمعرفي.

فالمحور الأول يعتني ببيان فضل اجتماع المؤمنين على تدارس كتاب الله وسُنة نبيه ﷺ وكيف تتصل بالله ﷻ في ذلك لتحقق الربانية، كما يكشف عن أثر هذا على صيوف رياض الجنة بتوطيد الثقة وتوثيق الرابطة، ثم يُؤكّد على ضرورة الاستفادة من العلم الذي اجتمعنا عليه في ميادين السلوك والأخلاق والعمل

والمحور الثاني يعرض للأخلاق، يعرض للحياء كشعبة من الإيمان، ولكف الأذى كخلق في الإسلام، ثم لإماطة الأذى كدرجة أعلى في الإيجابية، ويختتم بترك الجدل والمراء، وكلها أخلاق إسلامية حميدة.

والمحور الثالث يصحبك في رحلة الاستقامة عبر مثابرة وعهد، تبدأ به يومك، ثم مراقبة ومعية مع الله ﷻ تحرس بها عملك، ثم

بمحاسبة آخر اليوم تعرف بها رصيدك، وتختتم بالتوبة التي تتقرب بها إلى الله ﷻ وتحر بها تقصيرك، وكلها كما ترى من أسباب النجاة

والمحور الرابع مقدمات لازمة في موضوعات ترقق القلوب وتُعين على الاستعداد لما بعد الحياة الدنيا، إنها موضوعات الموت والقيامة والجنة والنار، وهي تتوزع على الفصول ليكون لكل فصل نصيب من هذه الرقائق، ثم هي تمهد للمشاهدات التفصيلية في كل من هذه الجوانب والتي سنعرض لها بإذن الله ﷻ في الأجزاء التالية من الكتاب

وفي كل ذلك يمكننا أن نلحظ الجانبين التصوري والعملي مرتبطين بالعلم والفكرة

في **الفصل الأول** أربعة موضوعات فموضوع **رياض الجنة** يستعرض روضتين، هما للصالحين بعد الممات، وروضتين لهم يدخلونهما وهم أحياء، وعندما يتوارد شوق القارئ إلى نعيم هذه الروضات مع خوفه من تقلب القلب المحروم من ارتيادها، يجد إرشادات عملية تحمله إلى الروضات

وموضوع **الحياء** يتناول ميزانًا من موازين أعمال المسلم، فهو خلق الإسلام وشعبة من الإيمان، هو زينة وكله خير، وفور تخويف القارئ من أن يسترلق في سلسلة مهلكة بإهمال الحياء، تبرز الاقتراحات العملية التي تربي هذا الخلق وتنميه

وموضوع **مشارطة** يُوَقِّف الإنسان على أن عُمْرَه هو رأس ماله في تجارته، وبعد أن يخاف المرء من خسارة لا سبيل إلى تعويضها، يجد اقتراحًا يُشرك العقل مع النفس في هذه التجارة، فيشترط عليها ما تصلح به التجارة ويحقق الربح العظيم، الفردوس الأعلى، وتجد في نهايته نموذجًا

تطبيقيًّا لعقد المشارطة.

وموضوع **الموت** فيه تقرير لحتمية الموت، وبيان لكيفية الاستعداد له، وتفصيل للفوائد الشعورية والعملية للمداومة على ذكره، وفي كل ذلك تهيئة للقارئ ليتحمل العيش في القلق النافع، وليهتم بما نرجو أن يرد في الأجزاء التالية من مشاهد تفصيلية تتعلق بالموت

أمَّا موضوعات **الفصل الثاني** فموضوع **بداية ربانية**، يحلق بمشاعر مَن رَغِب في حِلَق الذكر بتوفيقه موقف المستمع لله ﷻ، ويضيف إلى وجدانه الإحساس بشرف الحديث إلى ربه ﷻ، فإذا علم صيغ الروضة هذا، اغتنم الفرصة فرفع الدعوات، لذلك تجد في النهاية حثًّا على دعوات مأثورات فضلها كبير

وموضوع **كف الأذى** يُوضح أن كل إيذاء للمسلم هو مرفوض سواء كان بيد البطش أم بيد القدرة، ويُحَوِّف مُؤدي الجار من نقص الإيمان أو الحرمان من الجنة، فإذا تحقق للقارئ هذا الخوف رغب في عمل يرفعه، فتَرِد المقترحات المناسبة من واقع الحياة، فتصير الفكرة والمشاعر سلوكًا وتصرفات

وموضوع **المراقبة** يتناول كيفية المراقبة قبل وأثناء وبعد العمل، وصورها التي تناسب كل عمل، سواء كان طاعة أو مباحًا أو معصية، وتأتي المصارحة بحقيقة أن المرء يحتاج لمراقبة دقيقة لصيقة لا تخفى معها خافية، ليحسن في الطاعات، ويتأدب في المباحات، ويتوب ويندم ويرجع إذا تلبَّس بمعصية، ونجد في النهاية المدخل العملي المتدرج المناسب لمن أراد تدرجًا

أمَّا موضوع **القيامة** وإن كان تَقْدِمَةً لمشاهد القيامة التي نأمل

أن نعرضها تفصيلاً في الأجزاء التالية لترقيق القلوب، فإنه يُؤكّد على أن الحياء هو جوهر القيامة، لما في ذلك من تشجيع على التزام العمل الصالح، وتخفيف لتعلق القلب بالدنيا الفانية.

والفصل الثالث فيه موضوع **ثقة وطيدة ورابطة وثيقة** يقرر أن كل روضة من رياض الجنة نرتع فيها ليست مجرد فصلٍ دراسيّ، لكنها اتصال قلبي، ويحرص القارئ برغبة في استكمال صفات المؤمن بالاهتمام بشكوى الشاكي، ويهدف إلى ادخار رصيد الفَرَح عند الله بتفريج كرب المكروب

وموضوع **إماطة الأذى** يعلو بمن كفَّ أذاه عن الناس درجة؛ فيجعله يُزيل أذى غيره، يدفعه إلى ذلك بحقيقة أن إماطة الأذى أدنى شُعَب الإيمان، وبالأمل في تحصيل المغفرة، وكسب ثواب الصدقات بغير إنفاق، وبأمنية الترحرح عن النار، وفي الختام نجد نماذج واقعية للالتزام بإماطة الأذى

وموضوع **المحاسبة** يعود بالقارئ إلى تجارته التي شارط عليها وراقب فيها، وفيه نظام محاسبة متكامل للتجارة مع الله ﷻ ، تُشعِرُنا دقته وشموليته بمدى الجدية المطلوبة في ذلك، فلا يكون لنا عذر أن نعدل عن المحاسبة إلى أن نُفاجأ بكل ما عملنا مُحصرًا

وموضوع **النار دار الخاسرين** يتناول النار المُعَدَّة للخاسرين، وحدّها وحقيقتها وتميزها عن نار الدنيا، لنخشاها، فنعمل ما ينجينا منها، والحض على مداومة ذكر النار يهيئ القارئ للاهتمام بالموضوعات التي سنبسطها – إن شاء الله – في الأجزاء المقبلة حول هذا الموضوع

ثم نصل إلى الفصل الرابع، وفيه موضوع **الأجر للعاملين**، وقارنه

يخاف أن يتعب في النار تعب الدابة التي تدير رحى الطحن، ويتملكه الرعب أن يجد نفسه مع المجرمين يطلب العودة للدنيا ليعمل غير الذي عَلِم، لذلك يقبل أن يتكلف لكل علم عملاً، ويجد في ختام الموضوع ما يعينه على ذلك

وموضوع **ترك الجدل** يُعَرِّف الجدل والمراء، ويعرض بواعث الجدل وأضراره، ويُبين الناس ثواب ترك الجدل والمراء، ثم يقترح صورًا معاصرة كنماذج لتطبيق ذلك عمليًا

وموضوع **التوبة** يبين دعائم التوبة الثلاث، وطبقات التائبين الأربع، ويُشَجِّع المرء على الإكثار من التوبة اقتداء برسول الله ﷺ، ويُبَيِّن التائب بمكانة متميزة عند الله ﷻ، ثم يُقَدِّم للقارئ برنامجًا تمهيديًا متدرجًا لذلك

وموضوع **الجنة دار الفائزين** يُقَدِّم للمَشاهد التي ستناولها - إن شاء الله - في الأجزاء المقبلة بتقرير حقيقة وجود الجنة وخلودها، وأنها عالية، لأن نعيمها لا يخطر على البال، و لا ينتهي القارئ من قراءته حتى يريد طمعه في الجنة، إذ يعرف أن الجنة مأوى كل من مات لا يشرك بالله ﷻ شيئًا، ولا شك أنه سينطلق مسترًا بذلك، كما فعل سلفنا الصالح.

والآن بقي لنا أن نستعرض تلك المواضيع بتفصيلاتها.

*****

الفصل الأول

١- رياض الجنـــة

٢- الحيـــــــاء

٣- المشـــــارطة

٤- المـــــــوت

١- رياض الجنة

كلما يشتاق إلى رياض الجنة، ففيها نعيم لا يخطر وصفه على البال، فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «قَالَ اللَّهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِن شِئْتُمْ ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾»[1] [رواه البخاري، الحديث ٣٠٥٠]

روضة بعد النشور:

بعد انقضاء العرض والحساب - ونسأل الله ألا نُحاسَب[2] - يدخل الفائزون الجنة، وفي روضة من رياضها سيفور عباد الرحمن برؤية ربهم، فقد روى أبو هُرَيْرَةَ ﷺ أن رسول الله ﷺ أخبره « أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا نَزَلُوا فِيهَا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ ثُمَّ يُؤْذَنُ فِي مِقْدَارِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا فَيَزُورُونَ رَبَّهُمْ وَيُبْرِزُ لَهُمْ عَرْشَهُ وَيَتَبَدَّى لَهُمْ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ فَتُوضَعُ لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ وَمَنَابِرُ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَمَنَابِرُ مِنْ يَاقُوتٍ وَمَنَابِرُ مِنْ زَبَرْجَدٍ وَمَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ وَمَنَابِرُ مِنْ فِضَّةٍ ...» [رواه الترمذي، من الحديث ٢٤٧٢]

لكن للصالحين روضات أخرى يتمتعون بها قبل البعث والنشور، فأين هي؟ وهل لنا إليها من سبيل؟

روضة قبل النشور:

للعبد الصالح قبل بعثه يوم القيامة روضة يُعَجَّلُ له بها في البرزخ، إنها روضة من رياض الجنة لكنها في القبر، روضة ينعم العبد الصالح فيها طوال

---

١ - من الآية ١٧ من سورة السجدة

٢ - أخبر النبي ﷺ أن سبعين ألفًا من أمته سيدخلون الجنة بغير حساب

الفترة التي يقضيها بين الممات والبعث، عَن أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِن حُفَرِ النَّارِ" [رواه الترمذي، من الحديث ٢٣٨٤]

روضة تُشَدُّ إليها الرحال:

وهناك روضة من رياض الجنة يدخلها الحي ميتا، لكنها قد تكون على مسافة بعيدة أو قريبة، مكانها محدد ومحدود، وقد يتزاحم الناس على المكث فيها، إنها الروضة التي بين قبر رسول الله ﷺ ومنبره في المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة، عَن عبد الله بن زَيْدٍ الْمَازِنِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ "مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنبَرِي رَوْضَةٌ مِن رِيَاضِ الْجَنَّةِ" [رواه البخاري، الحديث ١١٢]

فمن تيسر له زيارة مسجد رسول الله ﷺ يمكنه أن ينعم بالمكث في روضة من رياض الجنة، إنها روضة يدخلها في الدنيا وهو يدعو أن ييسر الله ﷻ له دخول رياض الجنة – التي هي في الآخرة – كما يسَّر له دخول إحداها وهو في الدنيا

ولكن ما شأن مَن لم يستطع الحج أو العمرة أو الزيارة؟ هل له من سبيل ليفوز بشيء من رياض الجنة، يستعين به على متاعب الدنيا ويُقَرِّب نفسه به من أجواء الفردوس؟ إن هؤلاء غير المستطيعين كثير، منهم المُسِنُّ ومنهم المريض، منهم الفقير، ومنهم الذي شغله طلب المعاش والقوت الضروري لأهله وعياله، لكن الله ﷻ كريم، فقد جعل لهؤلاء رياضًا قريبة

روضة قريبة المنال

كل إنسان مسلم في متناوله الآن رياض قريبة، لقد جعل الله ﷻ

كل حلقة يُذكر فيها اسمه ﷻ روضة من رياض الجنة، إنها الحلقات التي تتلو فيها الذِّكر - والذِّكر هو القرآن - قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]، وهي الحلقات التي تتدارس فيها تفسير القرآن، قال تعالى ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[2]، وهي الحلقات التي تطالع فيها الوحي المُنزل على نبينا محمد ﷺ في السُّنة الشريفة، فعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ...» [رواه أبو داود، من الحديث ٣٩٨٨، وكل رواته ثقات]

إن الرياض قريبة المنال هي الحلقات التي يُطرح فيها كل ما يتعلق بذلك وما يلزمه من علوم ومعارف، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا»[3]، قَالُوا وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ «حِلَقُ الذِّكْرِ» [رواه الترمذي، الحديث ٣٤٣٢]

رَوضَةٌ تُهَيِّئُها ورَوضَةٌ ترتع فيها

من طن أن حياته قصيرة أدرك أن الموت قريب، ومن أدرك قرب الممات خاف الفوات، ومن خاف فوات حظه من رياض الجنة التي يمر بها - إن مرَّ- فإنه يهيئ لنفسه ولغيره رياضًا ورياضًا، وعلامة حرصنا على اعتنام التمتع برياض الجنة ليست فقط في أن نرتع فيها إذا صادفناها، لكنَّ الحرص يدفعنا إلى أن ندعو إليها ونستصيفها وهيئها لغيرنا، خاصة إذا كنا ممَّنْ وَسَّع الله عليهم في المنزل والمكان، وحبذا لو رتب كل منا لنفسه في كل فترة من الزمن روضتين روضة يهيئها وروضة يرتع فيها.

---

١ - الآية ٩ من سورة الحجر

٢ - من الآية ٧٩ من سورة آل عمران

٣ - ارتعوا أي أكثروا من الذكر فيها وتحصيل الثواب

أما الروضة التي تهيئها فهي الروضة التي تستصيفها في منزلك، ومن هيأ لعباد الرحمن روضة فقد تهيأ لثواب من الله ﷻ، وذلك لأن له فضل الاستضافة مع الإفادة، وأما الروضة التي ترتع فيها فهي الروضة التي تلبي الدعوة إليها

والمرأة لها نصيبها من رياض الجنة غير منقوص، بل وعليه زيادة، ذلك أنها عندما تهيئ لأخواتها روضة من رياض الجنة في بيتها، وتتحمل من أطفالهن ما تتحمل، فإن لها بذلك من الأجر زيادة

اجلس بنا نؤمن ساعة:

وفي الروضة نجد إيمانا، قَالَ مُعَاذُ بن جَبَلٍ ﷺ لأحد إخوانه يُذكِّره اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً[1]، فتلقفها ابن رواحة ﷺ وأهداها لأبي الدرداء ﷺ وهو آخذ بيده تعال نؤمن ساعة، إن القلب أسرع تقلبًا من القِدر إذا استجمعت غليانًا[2]

هكذا كان الواقع العملي للصحابة ﷺ، كانوا يحثون بعضهم البعض على الالتقاء في تلك الرياض، لقد أوحوا على أنفسهم هذه الجلسات لَمَّا عرفوا من سرعة تقلب القلوب، ذلك التقلب الذي ربما كان أسرع من تقلب الماء الذي يغلي في القدور حين يغلي، لقد عرفوا في تلك الجلسات التفكر والتأمل والتناصح، وتفقدوا في هذه الجلسات نفوسهم لكيلا يطرأ عليها كَبْر أو بَطَر، كما كانوا يحرسون العلم والإيمان حتى لا يتلبسا بإفراط يريد بدعة أو تفريط يهمل إرشادًا[3]

---

١ – ورد في صحيح البخاري، باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ "بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ"

٢ – محمد أحمد الراشد، المنطلق، ص ٦، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٦

٣ – محمد أحمد الراشد، المنطلق، ص ٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٦ (بتصرف)

لمحة تطبيقية:

ليطمئن كل منا إلى حاله، وليتفقد مشاعره ووجدانه، فإن لم يجد في نفسه خوفًا على قلبه أن يتقلب أو يقلب، فليعلم أن ذلك اطمئنان الغافل، فعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ" فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا، قَالَ "نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ" [رواه الترمذي، الحديث ٦٦ ٢]

أما من وجد نفسه من الذاكرين غير الغافلين، فعليه أن يرتع في رياض الجنة، عليه أن يحرص على روضة يداوم على حضورها دوريًا بانتظام، وعليه - إن استطاع - أن يهيئ لغيره روضة يُكْرِمُ فيها صيوف الرحمن.

والمرأة المسلمة أيضًا - وإن لم تغادر بيتها - يمكنها أن تُعين نفسها على الشيطان بأن تُعدَّ نفسها وبيتها لاستضافة روضة من رياض الجنة، إنها إن خَلُصَت نيتها وصحَّ عزمُها وصَدَقَت رغبتُها، أعدت بيتها واستطاعت أن تنتصر على الشيطان الذي ربما حاول صرفها عن هذا الخير بتحويلها مما يمكن أن يفسده أطفال صيوفها في بيتها من أدوات أو بطاقة أو طعام، ثم إنها إن تحملت أو تكلفت بعد ذلك شيئًا فهو عند الله في الميزان

*****

٢- الحياء

الحياء خُلُقٌ يبعث على اجتناب القبيح، ويمنع من التقصير في حق كل ذي حق، والحييّ - من البشر - هو الذي يعتريه تغير وانكسار خوفًا من أن يُعاب عليه بشيء، من الله أو من الناس، فالحياء عاطفة حية تترفع بها نفس الإنسان عن الخطايا، وتستشعر بها العصاصة من سفاسف الأمور[1] ويُولَدُ الحياء في الإنسان إذا عَلِمَ أن الله ﷻ ينظر إليه[2]، لأن الحياء من الإيمان

الحياء شعبة من الإيمان

للإيمان شُعَبٌ كثيرة، ذكر عددها رسول الله ﷺ، لكنه ﷺ خصَّ الحياء منها بالذِّكر، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**» [رواه مسلم، الحديث ٥]، وفي رواية أخرى قال ﷺ «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**» [رواه البخاري، الحديث ٨]

الحياء خُلُقُ الإسلام.

قد يكون تخصيص الحياء بالذكر دون غيره من شعب الإيمان، لأنه أهم أخلاق الإسلام، فقد روي عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال «**لِكُلِّ دِينٍ خُلُقٌ، وَخُلُقُ الإِسْلامِ الحَيَاءُ**» [رواه مالك بإسناد مرسل، الحديث ١٤٠٦]

والحياء خُلُقُ استرعى نظر الصحابة ﷺ من أخلاقه ﷺ، فقد كان

---

١ - محمد العراقي، خلق المسلم، ص ١٥٩ - دار الكتب الإسلامية ١٩٨٣ (بتصرف)

٢ - عبد الخالق الشريف، نفحات إيمانية، ص ٤٣ - دار الطباعة والنشر الإسلامية ١٩٩٥ (بتصرف)

حياؤه ﷺ شديدًا، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ. كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا[1] [رواه البخاري، الحديث ٣٢٩٨]

الحياء ميزان الأعمال:

الحياء ميزان، وأصحاب الفِطَر السليمة يعرفون صحة الأفعال بعدة موازين، منها ميزان الحياء، فتراهم لا يُقْبِلُون إلا على الأعمال التي لا تنال من حيائهم ويَقْبَلونها، إنهم إن شاءوا أن يعملوا عملاً عرضوه على نفوسهم، فإن هم استحيوا منه لم يفعلوه، وإن لم يخجلوا مما يستدعي الحياء منه فعلوه، أما مَنْ فَقَدَ الحياء فهو يفعل ما يشاء ولا يبالي، فعن أَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ ﷺ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلامِ النُّبُوَّةِ إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ» [رواه البخاري، الحديث ٣٢٢٤]

الحياء خير كله:

وإذا كان هناك خُلُق هو خير كله، أو كله خير، فإنه الحياء، فعن عِمْرَانُ بن حُصَيْنٍ قَالَ قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ» أَوْ قَالَ: «الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ». [رواه مسلم، في الحديث ٥٤]

والتحوف الملازم للحياء ليس حسًا، فالحيي قد يُفَضِّلُ أن يُراق دمه على أن يريق ماء وجهه، وهذه هي الشجاعة في قمة صورها، والخوف في هذه الحال ليس بنقيصة، لأنه خوف فقط على مكارم النفس ومحامدها أن تذهب نهائها ووقارها الأوصاف المجرحة، إنه تحوُّف يسامي الجراءة في مواطنها المحمودة أو يساويها[2]

---

١ - الخدر ستر يجعل للبكر في جانب من البيت

٢ - يراجع محمد العزالي، خلق المسلم، ص ١٦٢، دار الكتب الإسلامية ١٩٨٣

الحياء زينة:

هناك أمور تضفي على الأشياء زينة إن هي اقترنت بها، ومن هذه الأمور الحياء، إنه يُزيِّن كل شيء كان فيه، فعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلا شَانَهُ، وَمَا كَانَ الْحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلا زَانَهُ". [رواه الترمذي، الحديث ١٨٩٧]

التفريط في الحياء من أسباب الهلاك:

كان خوف سلفنا الصالح من التفريط في الحياء عظيمًا، وشاع بينهم أن التفريط في الحياء سبب من أسباب الهلاك، إنه حلقة من سلسلة طويلة تجر حلقاتها بعضها بعضًا، في أولها نزعُ الحياء وفي آخرها التفريط في عهد الإسلام وتعاليمه، فقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الله ﷻ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ عَبْدًا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ، فَإِذَا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ لَمْ تَلْقَهُ إِلا مَقِيتًا مُمَقَّتًا[1]، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلا مَقِيتًا مُمَقَّتًا نُزِعَتْ مِنْهُ الأَمَانَةُ، فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الأَمَانَةُ لَمْ تَلْقَهُ إِلا خَائِنًا مُخَوَّنًا، فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلا خَائِنًا مُخَوَّنًا نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِذَا نُزِعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ لَمْ تَلْقَهُ إِلا رَجِيمًا مُلَعَّنًا[2] فَإِذَا لَمْ تَلْقَهُ إِلا رَجِيمًا مُلَعَّنًا نُزِعَتْ مِنْهُ رِبْقَةُ[3] الإِسْلامِ". [رواه ابن ماجة بإسناد ضعيف، الحديث ٤٠٤٤] إنها سلسلة العيوب

حياء الرجل وحياء المرأة:

الحياء مطلوب للرجل ومطلوب للمرأة، فقد رُوي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

---

١ - المقت: اشد البغض

٢ - رجيمًا ملعنًا: مطرودًا

٣ - الربقة: الطوق، والمراد هنا العهد

مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ[1]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "دَعْهُ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ". [رواه البخاري، الحديث ٢٣].

لكن فطرة المرأة تجعل حياءها أشد؛ لذلك قد يحدثه ما هو أدق وأخف مما يحدث حياء الرجل، وإذا كان حياء الرجل يظهر عمليًّا في تجنبه المواقف التي قد يخجل عليه العين، فإن حياء المرأة أيضًا له مظاهر عملية تضاف إلى ذلك إن المرأة الحيية لا تحدق النظر فيمن تحادثه، وإذا ضحكت في حضور الغرباء فإنها تحرص على ألا يتجاوز ضحكها مستوى الابتسام، فلا تقهقه بصوت عالٍ، كان ﷺ يفعل ذلك مع أنه رجل، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ قَالَ: مَا كَانَ ضَحِكُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلا تَبَسُّمًا [رواه الترمذي وصححه، الحديث ٣٥٧٥]

والمرأة إذا أرادت شراء ريتها الخاصة – من ملابس وغيرها – يمنعها حياؤها أن تشتري تلك الأشياء من رجل، وإنما تبحث عن امرأة مثلها تشتري منها

نحن قوم عمليون:

ما ذكرنا من مظاهر وأعمال مرتبطة بالحياء يجب أن تكون واجبات عملية شخصية محددة، فلتركز لمدة معينة على متابعتها ومراقبتها في أنفسنا؛ عسى أن نستوثق من تعلقل حلق الحياء في سلوكنا، فحاسب لأنفسنا كم مرة تسهّتُ فعصيت ربي؟ وكم مرة سَهَوْت فتماديت؟ ولتشاهد الله كل مسلمة أن لا يتجاوز ضحكها مستوى الابتسام دون صوت، خاصة في وجود الرجال الغرباء.

---

١ – ربما ظن الأنصاري الواعظ أن حياء الرجل قد أضرّ به

ولا تنسى المسلمة مراعاة شراء خصوصيات زينتها، التي لا يطلع عليها إلا زوجها، من البائعات دون البائعين

ولعل هذه الواحات العملية تكون تربية وتدريبًا للنفس طوال هذه الفترة، عسى أن نصل في وقت لاحق إلى أن يكون الحياء خُلُقًا دائمًا فينا، ولنحفظ من الأحاديث الشريفة التي أوردناها ما استطعنا، فهي دلك عون لنا في تأكيد هذه المعاني في نفوسنا، وسَنَدٌ لنا حين نريد تبليغ هذا الأمر للناس، وعلينا عندما ندعو غيرنا إلى هذا الخلق ألا نقتصر على أناس دون أناس، فلنؤدِّ عن أنفسنا زكاةَ العلم وزكاةَ الخُلُق، بأن نهدي هذا المعنى لكل المسلمين والمسلمات

*****

٣- المشارطة

كلنا يطلب الربح، مِنَّا مَنْ يطلب ربح الدنيا، فهو في تجارة، ومِنَّا مَنْ يطلب ربحي الدنيا والآخرة فهو في تجارتين، ويتحقق الربح في الدنيا والآخرة إذا ما أوتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ونجونا من عذاب النار

ويَعْظُم قدر التجارة تعاظم ربحها المنشود، وفي التجارة العظيمة قد يأنس التاجر إلى شريك يستعين به طلبًا للربح، فما بالنا بتجارة ربحُها الجنة والفِردَوْس الأعلى

تجارتك ربحُها الفِردَوْس

نعم، نحن نتاجر مع الله ﷻ، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1]، ونحن نبغي الربح العظيم، نطلبه من الله ﷻ؛ لأنه عظيم لا يحجر عن شيء، ولأن رسول الله ﷺ قال «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» [رواه البخاري، من الحديث ٦٨٧٣] ولكل تجارة رأس مال تكون منه البضاعة، فما رأس مالك وما بضاعتك؟

---

١ - الآية ١١١ من سورة التوبة

عمرك رأس مالك

ليس لك من رأس مالٍ سوى عمرك، فإذا فني منك أو ضاع أفلستَ وخسرتَ بضاعتك، وعندها تفشل تجارتك وينقطع أملك في الربح

والخسران في هذه التجارة خطر ماحق، لأنه لا سبيل للتعويض فيها أو التدارك، إنك تأخذ من رأس مالك كل يوم أربعًا وعشرين حرارة مصفوفة، إنها ساعات اليوم الأربع والعشرون، وإنك إن بددتها فقدتها إلى الأبد، لأنها لا تعود إلى يوم القيامة

لذلك فإن هذه التجارة العظيمة تحتاج نفسك فيها إلى شريك تستعين به طلبًا للربح، شريك يشترط عليك ما يصلح هذه التجارة، ويرشدك إلى طريق الفلاح، ولا يغفل عن المراقبة والمحاسبة، وعقلك هو شريك نفسك

عقلك شريك نفسك

عقلك شريك نفسك في حرائث يومك، وهو يشترط على شريكته – النفس – أن تعود من تجارتها كل يوم بملء هذه الحرائث نور الطاعة والعمل الصالح، والعقل شريك لا يرضى فقط أن تملأ النفس حرائث تجارتها بظلمة المعصية وريحها، بل يرفض أيضًا أن تتكاسل النفس شريكته عن العمل، فتترك بعض حرائث اليوم خاوية فارغة، فهو له مع النفس شريكته شرطان

شرط الاستقامة وشرط الاحتهاد

شريك نفسك يشترط عليها الاستقامة، واستقامتها تتحقق بأن ترضي الله ﷻ بكل عمل تعمله، ويكون ذلك بتحري موافقة هدا

العمل في كل حوانبه لتشرع ربنا في دين الإسلام، كما أنه يشترط عليها الاحتهاد، واحتهادها يكون بتوظيف كل حارحة وعدم الاكتفاء بواحدة

قاعدة نظرية

ومن الناحية النظرية فإن لك من الحواس سبعًا. عين وأذن ولسان، ثم بطن وفرج، وأخيرًا رحل ويد، فإن اشترطت على كل حارحة منها طاعة تلترمها كل يوم، فقد سددت على نفسك أبواب جهنم التي لها هي أيضًا سبعة أبواب

فائدة عملية:

ومن الناحية العملية، نعين أنفسنا على هذه المشارطة بأن نحدد على أنفسنا واحبات، نجعلها موضوع المشارطة كل صباح، وعلى سبيل التيسير، تتضمن فصول كتابك هذا - في رياض الجنة - اقتراحات لبعض الواحبات العملية التي تترجم كل معلومة نتعلمها، فلنعتبر هذه الواحبات العملية موضوعات منتقاة للمشارطة، وتطبيق ذلك أن يجعل كل منا بين عقله ونفسه موعدًا كل صباح، في هذا الموعد يشترط العقل على النفس أداء هذه الواحبات، وتتعهد النفس أمام ربها ﷻ بالاحتهاد في أدائها، وهذه هي المشارطة [1].

*****

١ - للاستزادة، يرجع إلى مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسي، ص ٣٢٢، دار التراث العربي

٤ - الموت

كل ما له بداية له نهاية، إلا الله ﷻ، فهو الأول بلا بداية وهو الآخر الذي يبقى بعد فناء كل شيء، قال ﷻ ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾[1]

الموت لا مفر منه:

الموت قَدَر كل مخلوق حي، لقول الله ﷻ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[2]

والموت لا شيء يدفعه، ولا حصن يمنع منه، قال ﷻ ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾[3]

والفرار من الموت مستحيل، قال ﷻ. ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لا تُمَتَّعُونَ إِلا قَلِيلاً﴾[4]

الاستعداد للمصيبة

الموت مصيبة، هكذا سماه الله ﷻ في كتابه العزيز، قال ﷻ ﴿فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾[5]، والعاقل من لا يتعامل مع هذه المصيبة الأكيدة، فقد يكون الاستعداد للمصيبة سبب نجاة وفوز، فالميت مصاب بمصيبة الموت، كما أن أهله مصابون، الميت مصيبته أن انقطع عمله وضاعت فرصة استدراك ما فاته، وأهل الميت مصيبتهم في ألم الفراق، وفي انقطاع منافع كان الميت سببًا فيها، أو وسيلة من وسائل توصيلها إليهم

---

١ - من الآية ٣ من سورة الحديد

٢ - من الآية ١٨٥ من سورة آل عمران، ومن الآية ٥٧ من سورة العنكبوت، ومن الآية ٣٥ من سورة الأنبياء

٣- من الآية ٧٨ من سورة النساء

٤- الآية ١٦ من سورة الأحزاب

٥- من الآية ١٠٦ من سورة المائدة

ولكن إذا استعد الإنسان لموته، لم يعد موته مصيبته، بل قد يكون هو راحته وفوزه، وإذا استعد الإنسان لموت أحبابه هُدِيَ إلى الصبر والثبات، وفاز من المصيبة بالأجر

وذكر الموت من أفضل سبل الاستعداد لهذا الأمر

فوائد ذكر الموت.

الاهتمام بالعمل فائدة من فوائد ذكر الموت، ذلك أن الإنسان عندما يوقن باستحالة الخلود في الدنيا، فإنه يلتفت إلى العمل الذي يُصلح حياته في الآخرة فيفوز

ومن فوائده **القناعة والرضا**، فإن الدنيا تصغر وتهون في قلب مَن يذكر الموت، فتراه لا يأسى على ما فاته، ولا يضجر مما يكابده، ولا يغتر بما يكسبه، ومن جعل الموت نصب عينيه، لم يبالِ بضيق الدنيا ولا بسعتها

وكذلك من فوائده **ضبط التصرفات**، فاليقين بالموت يدفع الإنسان إلى مراجعة أخلاقه ومعاملاته وتصرفاته، ومَن داوم على ذكر الموت بادر إلى تصحيح أخطائه وضبط تصرفاته

فلنعش في القلق النافع:

يرى كثير من الناس في المداومة على ذكر الموت قلقًا، لكنه القلق النافع، إنه القلق الذي يُثمر الحرص، الذي يؤدي بدوره إلى الفوز، فلنعش في هذا القلق النافع، ولا نطمئن إلى متاع الدنيا الزائل، نعيشه بذكر الموت، بذكره في أنفسنا، ونُذَكِّر به غيرنا، ولذلك سنحرص في كل جزء من كتابك هذا على تذكرة تعتني بهذا الجانب

*****

الفصل الثاني

١- بداية ربانية

٢- كف الأذى

٣- المراقبة

٤- القيامة

١- بداية ربانية

مَن وَفَّقه الله ﷻ إلى روضة من رياض الجنة - ونعني بها حلقات الذِّكْر - ربما سأل نفسه عن أفضل ما يَصْنَعُ فيها وأول ما يبدأها به، فإن هو رجع إلى أصل الذِّكْرِ فَهِمَ أنَّ أساس الذكر هو القرآن الكريم، لقوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١]، فالتعامل مع القرآن أفضل سبل الاتصال بالله ﷻ، وهو خير ما يُبدأ به، إنها البداية الربانية

الله ﷻ يُكَلِّمُنا

نستطيع أن نريد ربانية أي لقاء عندما نبدأه بالقرآن، ومِنَ المناسب أن نستفتح كل روضة لنا بتلاوة قدر من القرآن يتناسب مع حال الحاضرين، حتى لو تمكنَّا من تلاوة رُبعٍ - مثلاً - مع ضبط التجويد، إنها افتتاحية باركة لمحتوى الروضة، وبركتها تكمن في أنها تبدأ بحديث من الله ﷻ إلى ضيوف الروضة، إنَّ مَنْ أراد أن يُكَلِّمَ الله ﷻ دعا أو صَلَّى، أما مَنْ أراد أن يُكَلِّمه الله ﷻ فليتلُ القرآن، فهلا استمعنا إلى كلام ربنا ﷻ مع كل بداية؟!

ضيوف الروضة يُكَلِّمُونَ الله ﷻ.

بعد أن حاطنا الله ﷻ من خلال القرآن، جميل بنا نحن ضيوف الروضة أن نُكَلِّمَه ﷻ، وما ذلك عنا ببعيد، فهو ﷻ قريب، وقد قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٢]، فلباح كل ما الله ﷻ،

١- الآية ٩ من سورة الحجر

٢- الآية ١٨٦ من سورة البقرة

وليتوجه إليه ﷻ بدعاء، وليكن أول دعائنا دعاءً يُصلح النية

دعاء يُصلح النية

لنسأل الله ﷻ أن يجعل لقاءنا هذا وعملنا هذا في ميزان حسناتنا، وأن يرزقنا الله ﷻ الإخلاص في العمل كله، وأن يتقبل منا العمل خالصًا لوجهه الكريم، مثل هذا الدعاء - كما ثبت من الممارسة العملية - يريد من شعور الإنسان برعاية اللقاء في رياض الجنة، ويريد من الشعور بالإيمان، إنه دعاء يستغرق دقيقة فقط، دقيقة واحدة في ميزان الرمز، لكنها ذات أثر مبارك على كل الرمز، رمز أي لقاء

ودعاء يربط على القلوب

والآن ونحن مازلنا في بداية اللقاء، في روضة من رياض الجنة، ونحن في جو الإيمان والدعاء، فهلا ربطنا قلوبنا بسنة مباركة، ألا وهي الدعاء بظهر الغيب[1]، لقد أخبر الله ﷻ لكل من يدعو لأخيه بظهر الغيب أجرًا عظيمًا، فهناك من الملائكة مَلَكٌ يبشر بأن للداعي مثل الذي دعا به لأخيه من الخير، فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلا قَالَ الْمَلَكُ وَلَكَ بِمِثْلٍ" [رواه مسلم، الحديث ٤٩١٢]

يمكننا أن نترنم على ذلك ونشعر بحلاوته، إذا استحضر كل منا في ذهنه صور الحاضرين فردًا فردًا ويدعو لكل منهم سرًّا بالخير الذي يريد، ولا نتقيد بصيغة معينة، ولكن نتركها صيغة تخرج من القلب المتصل بالقرآن والمتصل بالله ﷻ

إنَّ حرصنا على أن نرفع هذه الدعوات المتبادلة في بداية أي لقاء،

١- بظهر الغيب يعني أن يكون الدعاء في غياب المدعو له، أو دون أن يطّلع عليه

سيقابله - بإذن الله - حرص من كل فرد على الحضور مبكرًا، خشية أن يفوته هذا الخير العميم من دعوات الصالحين، ورعا عمر الله هذا الدعاء للحاضرين أو لأحدهم، ورعا منع الله شرًّا عنهم أو عن أحدهم، ورعا عصمهم الله به من أنفسهم أو من الناس إذا استجاب الله ﷻ لهذا الدعاء.

ودعاء يسدد الخطوات:

يجب ألا تدع فرصة هذه الشحنة الإيمانية تفوت دون أن تترى على الارتباط بدعوتنا - دعوة الإسلام - ورموزها، فلا تبخل بدقيقة أخرى إضافية أو أكثر يخصّص فيها الدعاء للإسلام نفسه، وللدعوة ذاتها، ولرموزها خاصة، مرة يدعو أحدنا ويؤمّن وراءه، ومرة يدعو كل منا سرًّا، ولنعلم أن مثل هذا الدعاء قد يكون سبباً في إلهام رشد وسداد خُطًا وصحة قرار

*****

٢ - كف الأذى

إن إيذاء خلق الله ﷻ من الأفعال الدالة على خُبث النفس، وخاصة إذا كان الإيذاء دون سبب، وأفضل المسلمين من جمع إلى أداء حقوق الله ﷻ أداء حقوق المسلمين، قال بذلك ابن حجر العسقلاني في تعليقه على حديث النبي ﷺ «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ» [رواه البخاري، الحديث ٩] ونلاحظ أن رسول الله ﷺ قال من لسانه، ولم يقل بلسانه أو بكلامه، فهذا التعبير (من لسانه) يسحب معنى الإيذاء المنصوص على كل ما يكون من فعل اللسان، وإن لم يكن من الكلام، كأن يُخْرِج المرء لسانه لغيره فيؤديه بذلك دون أن يتكلم

يد البطش ويد القدرة

وفي ذكر اليد إفادة أخرى تختص بها اليد من دون الجوارح التي يمكن أن يحدث بها الإيذاء، ذلك أن لفظة اليد في الحديث كما تفيد المعنى الشهير - وهو الجارحة العضوية التي قد يعمل الإنسان بها عملاً يؤدي غيره فتكون يد البطش- فإنها أيضًا تفيد تلك القوة والقدرة المعنوية التي قد تُنزل الإيذاء بالغير، فهناك اليد المعنوية التي يُؤدَى بها الناس؛ كالسطوة والنفوذ والسلطة، إنها يد القُدْرَة التي تؤدي دون أن تُسْتَعْمَل اليد نفسها، وقد يكون ذلك بإعانة أو تحريض أو تأييد لمن يُؤْذِي أحدًا أو يظلمه، أو يكون ذلك بالتحلي عن نُصْرَة من وقع به الأذى مع الاستطاعة والقدرة على ذلك

كل إيذاء مرفوض

قد يكون اختصاص اللسان بالذكر كأداة من أدوات الإيذاء، لأنه هو المُعَبِّر عما في النفس، وكذلك قد يكون التصريح بذكر اليد، لأن أكثر الأعمال تكون بها، لكن القاعدة أن كل إيذاء مرفوض مهما كانت أداته التي يقع بها، حتى لو كان الإيذاء بمجرد الظهور بمظهر يضايق الناس، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ. أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَرَأَى رَجُلاً شَعِثًا قَدْ تَفَرَّقَ شَعْرُهُ فَقَالَ «أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ شَعْرَهُ» وَرَأَى رَجُلاً آخَرَ وَعَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ فَقَالَ. «أَمَا كَانَ هَذَا يَجِدُ مَاءً يَغْسِلُ بِهِ ثَوْبَهُ» [رواه أبو داود، الحديث ٣٥٤][1]

كف الأذى صدقة

إذا كَفَّ الإنسان ما أذاه عن الناس، فإن ذلك يوضع في ميزان حسناته كما لو تصدق بصدقة، فعن أبي ذَرٍّ ﷺ قَالَ سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ» قُلْتُ فَأَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟[2] قَالَ «أَغْلاهَا ثَمَنًا وَأَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا»، قُلْتُ فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ «تُعِينُ ضَايِعًا[3] أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ[4]» قَالَ فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ، قَالَ «تَدَعُ النَّاسَ مِنَ الشَّرِّ[5] فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ تَصَدَّقُ بِهَا عَلَى نَفْسِكَ» [رواه البخاري، الحديث ٢٣٣٤]

---

١ – فيه (مسكين بن بكير) وهو ثقة عند ابن حبان ولا بأس به عند ابن معين

٢– المقصود إعتاق العبد

٣ – ضايعًا ذو الضياع من فقر وكثرة عيال، وفي رواية لأحمد ضايعًا، الحديث ٣٦٨ ٢

٤ – الأخرق الخامل الذي لا صنعة له

٥ – في رواية أحمد قَالَ «كُفَّ أَذَاكَ عَنِ النَّاسِ»، الحديث ٣٦٨ ٢

إيذاء الجار نقص إيمان:

من واجبات المؤمن؛ كف الأذى عن الجيران، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يُؤْذِ جَارَهُ ...» [رواه البخاري، من الحديث ٥٥٥٩]، ويُخشى على مَن يُؤذي جاره أن يكون إيمانه قد انتقص؛ فعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ[1] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لا يُؤْمِنُ» قِيلَ. وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَايِقَهُ[2]». [رواه البخاري، الحديث ٥٥٥٧].

إيذاؤك جارك قد يحرمك من الجنة:

من أراد الجنة اعتزل كل عمل يحرمه منها، ومن خاف النار حرص على الجنة وتفادى كل ما يحرمه منها، أما مَن يُؤذي جيرانه فهو يُقرِّب نفسه من النار؛ لأنه يُغلِقُ باب الجنة أمامها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ. «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ». [رواه مسلم، الحديث ٦٦]

مَن خاف فليعمل:

مَن عَلِمَ أمر الإسلام بكف الأذى - خاصة عن الجار- ومن خاف على إيمانه أن يُنتقَص، ومَن خشي على نفسه أن يُحرَم من دخول الجنة، فلا بد له من عمل يعمله، وسلوك يسلُكه، ليترجم ذلك العلم، وليعبر عن هذه المشاعر

وأول تطبيق عملي لكف الأذى: إمساك اللسان، لقوله ﷺ «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ». [رواه

---

١ - هو الصحابي الجليل خويلد بن عمرو بن صخر ﷺ

٢ - البوائق جمع بائقة او نائقة، وهي الشرور والإيذاء

البخاري، من الحديث ٥٥٥٩]، فهلا عَوَّدْنا أنفسنا على ضبط ألسنتنا؟ قد يكون في الأمر صعوبة، خاصة على مَن اعتاد إطلاق العنان للسانه، لكن ذلك يمكن أن يتحقق بالتدريج لو اشترط كل منَّا على نفسه أن يضبط لسانه في موقف واحد في اليوم الأول، ثم يريد موقفًا في اليوم الثاني، فإذا حل اليوم الثالث كان أقدر على أن يتحكم في لسانه ثلاث مرات في ثلاثة مواقف، وهكذا حتى يصل إلى أقصى ما يستطيع.

والمرأة تكف الأذى عن جيرانها بأن تتفادى – مثلاً – وضع صندوق قمامتها قريبًا منهم، ومحرصها على أن لا يسقط عليهم من غسيلها المنشور ما يضايقهم. كما تربي أولادها على مراعاة شعور الجيران وتمنعهم من إزعاجهم.

والوالدان يكفان الأذى عن أولادهما عند تأديبهم، فلا يضربان إلا للتعليم، ولا يضربان الوجه إن اضطرا إلى الضرب، كما يكفان الأذى عنهم بألا يدعُوَا على أولادهما أبدًا

*****

٣- المراقبة

بعد أن أوصاك عقلك واشترط عليك ما يُصلح حالك، وبعد أن تمت المتارطة وأقررت في كل صباح معاهدة[١]، لم تبق إلا المتابعة المستمرة، هذه المتابعة هي المراقبة، والمراقبة تصع النفس تحت رقابة من العقل صمانًا لتنفيذ شروط المعاهدة، وفوق ذلك فإنها تصعهما معًا - النفس والعقل- تحت مظلة الشعور بالمعية مع الله ﷻ

معية لا تَخفَى معها خافية:

المعية مع الله ﷻ هي استمرار الشعور بوجوده ﷻ معنا على الدوام، قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٢]، هذا الشعور يترتب عليه أن تحرص على إتقان كل أعمالنا، وأن نبتعد عن كل ما يغضب الله ﷻ، وهذا الشعور - شعور المعية - يبث في قلوبنا الخوف من أن يَطَّلِعَ الله ﷻ علينا في موقف لا يرضاه لنا، ولا نرضاه لأنفسنا، وهذه كلها من معاني المراقبة

مراقبة قبل كل عمل:

هناك مراقبة قبل الشروع في العمل، إنها مراقبة النفس حتى لا تعمل العمل لغير الله ﷻ، إنها الدافع إلى تحلية كل عمل نشرع فيه بالإخلاص، والإخلاص هو التوجه بالعمل إلى الله ﷻ والرغبة في الحصول على ثواب

---

١ - راجع الفصل الأول من هذا الباب

٢ - الآية ٤ من سورة الحديد

الله ﷻ من وراء هذا العمل، ويلزم ذلك أن تتخلص من هوى النفس المافي للإخلاص حين يكون هو الدافع للعمل، وهذا المعنى وإن كان في النفس مخبيًا دفينًا إلا أن الله ﷻ يعلمه كما يعلم الأمور الجهرية كلها، قال تعالى ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]

مراقبة أثناء كل عمل.

وهناك مراقبة أثناء العمل، إنها استصحاب الشعور باطلاع الله ﷻ عليك وأنت تعمل، وهذه المراقبة تدفع إلى إتقان العمل وتحسينه وتنقيته من كل نقص أو فساد، وذلك يتحقق إذا ما عمل العامل وكأنه يرى الله ﷻ يراقبه، وهذه المراقبة تكون في الطاعات كما تكون في المباحات، بل هي مطلوبة أكثر إذا ما أغوى الشيطان النفس بالمعاصي

المراقبة في الطاعة إحسان.

يتحقق الإحسان بالمراقبة أثناء فعل الطاعات، وإذا كان العامل حقيقة لا يرى الله ﷻ، فإن ذلك لا يقلل من أهمية الأمر، لأن الله ﷻ يرى العامل يقينًا، قال رسول الله ﷺ في تعريفه للإحسان « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » [رواه مسلم، في الحديث ٩]

المراقبة في المباحات أدب.

المراقبة عند فعل المباحات مظهر من مظاهر مراعاة الأدب، ومن الأدب الشكر على النعم، وكلما تمتع الفرد منًا بنعمة من نعم الله ﷻ وهو يراقب الله فإنه - لا بد - سيجد نفسه شاكرًا، ومَنْ تأدب بأدب

---

١ - الآية ٢٩ من سورة آل عمران

الشكر سُبْحَانَهُ بزيادة الفضل والنعمة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[1].

ومن التزم المراقبة في الساعات لم يخرج بها عن مقاصدها بإسراف قد يُضَيِّعُها أو يُلهي بها عن واجبات

المراقبة في المعصية ندم وتوبة:

من التزم المراقبة تَذَكَّر التوبة عن المعصية مبكرًا، ومن لم يلتزم دوام المراقبة ربما أقلعت من التوبة معاصيه، وربما قلّت منه التوبة، ومَنْ أراد أن يكون من الذين يحبهم الله ﷻ فليكن من التوابين الذين يتطهرون من المعصية أولاً بأول، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[2].

والتوابون هم كثيرو التوبة، وكثرة التوبة تترتب على سرعة إدراك المعصية واعترافها، ومن شأن المراقبة عند الاقتراب من المعصية أو الشروط فيها أن تدفع العبد إلى التوبة، فيكون ممَّنْ يحبهم الله ﷻ

مراقبة بعد كل حدث:

وهناك من المراقبة ما هو مطلوب بعد الأحداث والمواقف، فمن استشعر المعية مع الله ﷻ عند حدوث حادث، أو عندما تزل به مصيبة، أحجم عن التصرفات المعيبة، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فعند موت ابنه إبراهيم قال ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ». [رواه البخاري،

---

١ - الآية ٧ من سورة ابراهيم

٢ - من الآية ٢٢٢ في سورة البقرة

من الحديث ١٢٢٠]

تَنَبَّه فإنك مُرَاقَب وعلى كل شيء مُحَاسَب:

كل منَّا مُرَاقَب مراقبة لصيقة، ولا يخفى على ربنا ﷻ أي شيء نعمله، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾[1]، كما لا يغيب عنه ﷻ أي تصرف أو قول في ليل أو نهار، قال ﷻ ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾[2]، وكل ذلك محسوب لنا أو علينا، قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3]

على أرض الواقع.

وعلى المستوى العملي الواقعي يسعى أن نعترف بأن المراقبة من الأعمال التي تتطلب الصبر والتدرج والتربية حتى نستطيع أن نجني ثمارها، إن المداومة عليها تحتاج جهدًا، وليس من الحكمة والواقعية أن نطالب أنفسنا بالانتقال فجأة من الغفلة إلى المراقبة الكاملة، لذلك قد يكون من المناسب أن ندعو أنفسنا إلى كمال المراقبة كهدف بعيد، ثم نُوَطِّن أنفسنا على تعقد هذه المراقبة في الواحات العملية المتدرجة والمتزايدة، الواردة في دليلك هذا إلى رياض الجنة [4]

*****

١ – الآية ٥ من سورة آل عمران

٢ – الآية ١٠ من سورة الرعد

٣ – الآية ٢٨٤ من سورة البقرة

٤ – للاستزادة، يراجع مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي، ص ٣٢٤، دار التراث العربي

٤- القيامة

الحياة ليست هي الفترة القصيرة التي تتمثل في عمر الفرد، ولا هي هذه الفترة المشهودة التي تمثل عمر البشرية على الأرض، فحياة الإنسان المشهودة هي الحياة الدنيا، ودارها الكون المنظور، ثم يمتد الوجود البشري في صور أخرى لا يعلمها إلا الله ﷻ، فتفتح الحياة الدنيا القصيرة على امتداد في الآخرة طويل لا يقاس، وتتسع هذه الدار الأرضية حين يضاف إليها جنة عرضها السماوات والأرض، ونار تسع جميع الخاسرين من كل الأجيال التي عمرت الأرض

الكل يموت والفرق عند القيامة

الكل يموت، الشجعان الذين يرقصون الدل يموتون، ويموت الجبناء الحريصون على الحياة بأي ثمن، ذوو الاهتمامات الكبيرة والأهداف العظيمة يموتون، ويموت التافهون الذين يعيشون فقط للمتاع الرخيص، المعتزون بدينهم المجاهدون في سبيله يموتون، ويموت أيضًا المستذلُّون للعبيد على حساب عقيدتهم وإيمانهم، الكل يموت ولكن هناك فرقًا، والفرق قد لا يظهر إلا عند القيامة

الموت قيامة شخصية

وعندما يموت الانسان، ويفارق الدنيا، ينقطع عمله، وتنتهي فترة اختباره، فتُكشف له الحُجُب، ويرى ما لم يكن يراه من عالم الغيب، ويعيش في النعيم أو العذاب، إن هذا الموت - الذي انفرد به صاحبه يمثل له انقلابًا هائلاً يعادل قيام الساعة، فمن مات قامت قيامته.

الساعة قيامة عامة:

ثم تأتي اللحظة الرهيبة حيث ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾[1]، إنها القيامة العامة التي تأتي على جميع الأحياء فتحلو الأرض من كل حي، ويسود السكون الشديد عقب الحركة الصاخبة، إنها القيامة العامة التي تدرك مَن بقي حيًّا حتى تميتها

البعث قيامة شاملة

ويسرح في الصور اللمحة التالية، فإذا الناس ﴿خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾[2]، إنهم البشر من لدن آدم عليه السلام الرسل والأنبياء وأتباعهم، والطغاة والمتكبرون وأشياعهم، وأمثال الأنعام من البشر الذين عاشوا من أجل شهواتهم، هؤلاء جميعًا يقومون إلى الله ﷻ في موقف واحد ينتظرون الحساب

الجزاء جوهر القيامة:

قد ينجو الظالم في الدنيا، وقد يعلو الباطل على الحق لفترة، فيموت الظالمون المبطلون دون قصاص أو عقاب، ويموت المظلومون المحقُّون دون نصر أو شفاء صدر، ويظن الظالمون أنهم قد أفلتوا، ولكن هيهات هيهات، فالظالم المبطل إنما يمر إلى حساب الله وعقابه، والمظلوم المحقّ يمر إلى إنصاف الله وعدله وإحقاقه، ويا له من حساب يقوم به الملك العليم العادل الخبير

١- من الآية ٢ من سورة الحج

٢- الآية ٧ من سورة القمر

فوائد ذكر القيامة:

ولما في ذكر القيامة من فوائد أقربها الانضباط في الالتزام بالعمل الصالح وتقوى الله ﷻ، والتخفيف من الغلو في حب الدنيا والحرص عليها، فنرجو أن نُوفق إلى عرض مشاهد القيامة على التوالي مشهدًا مشهدًا عبر أجزاء هذا الكتاب، عسانا نتذكر فنستعد

*****

الفصل الثالث

١- ثقـــة وطيـــدة

٢- إماطـــــة الأذى

٣- المحاســـــبة

٤- النـــــار

١- ثقة وطيدة ورابطة وثيقة

كلما ارتدنا رياض الجنة كلما ازددنا من فضلها وفائدها، فكثرة التلاقي يتعمق التعارف، وتتوطد الثقة فتتوثق الرابطة، وفي الروضة سهل من معين صاف بقي رائق، هو الكتاب والسنة، واشتراكنا في ورود هذا المعين المبارك يثمر توافقًا قلبيًّا ونفسيًّا بين العاكفين عليه، ويتيح تفاهمًا فكريًّا بين عقولهم

وصلاً قلبيًّا لا فصلاً دراسيًّا

يقول ﷺ "الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ" [رواه البخاري، الحديث ٢٢٦٦]

فالأخوة يكتسب اللقاء في رياض الجنة طبيعة أسرية، وهو وإن أفاد من الناحية العلمية والثقافية، لكنه لا يحوله إلى فصل دراسي أو ندوة علمية، فللتعليم روافد عديدة وفرص بديلة، أما تحقيق الأخوة وتوطيد الثقة وتوثيق الرابطة فقد لا يجد لها فرصة أنسب من مثل هذا اللقاء، ولا مقام أحسن من هذا المقام، نريد أن يصير كل منا مرآة لأخيه تساعده على أن يصلح من نفسه، نريد أن يكون تحقيق هذا الأمر مقصودًا منشودًا، نريده واقعًا عمليًّا لا إدراكًا نظريًّا، نريده هدفًا أصليًّا لا فائدة تابوية، ولا مقصودًا هامشيًّا، نريد أن نتوادّ ونتراحم ونتعاطف.

هتم كلنا بشكوى أحدنا

من صفات المؤمنين اهتمامهم بحاجة أحدهم، بحيث يتحقق فيهم قول النبي ﷺ "تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ

الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى" [رواه البخاري، الحديث ٥٥٥٢]

فلمرد لهذا الأمر في لقائنا وقتًا، ولتوسط في ذلك، لا نصدم صاحب الحاجة بقلة الاهتمام، ولا نترك الأمر يستهلك الكثير من الوقت دون ضوابط، فنعطى الأمر حقه مع التركيز والموضوعية، يعرض صاحب الحاجة حاجته في وضوح واختصار وتركيز، ويحدد تصوره لأسلوب المساعدة - إن لم يكن في ذلك حرج له - وعليه أن يعرض من المشكلات ما يحتاج فعلاً للعرض والمشاركة، وليجتهد فلا يهدر وقت إخوانه إن بث الهموم والتشاور في البسيط من الأمور يمكن أن يتم في مناسبات أخرى

خطوة عملية مع المشاركة الوجدانية:

يقول ﷺ "مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ" [رواه مسلم، من الحديث ٧٧ ٤]، فمشاركة صاحب الحاجة بالتعاطف القلبي مطلوبة، لكنها إذا تُوِّجت بمجهود عملية كانت أنفع، ليبطر كل منا كيف يمكنه أن يساعد صاحب الحاجة بالأسلوب الذي يفضله صاحبها أو نعرض الحلول البديلة، وليحدد كل منا ماذا سيفعل تحديدًا، سنجد مشكلات كثيرة يمكننا التعاون في حلها، وسنجد في مقدور البعض منا أن يقدم جهدًا ملموسًا في هذا الحل، وقد نجد منا مَن لا يجد ما يساعد به سوى أن يتطوع بالدعاء لأخيه في جوف الليل، أو وقت السَّحَر، أو أعقاب الصلوات، حتى تنكشف الغُمَّة عن صاحب المشكلة، أو نجد متكلته حلاً

سنجد مشكلات أخرى تحتاج تعاملاً خارج اللقاء، أو تحتاج كشفًا

أعمق لها، أو تحتاج وساطة في حلها، أو يصلح لها تعامل خاص في إطار من الخصوصية، عند ذلك تندب لها من نيسا من يتولى أمرها، أو يرشد صاحبها إلى مَن هو أهل لحلها، ويتابعه في ذلك

بعض المشكلات ستكون معقدة أو فيها أطراف أخرى، أو يُتوقع أن تستهلك وقتًا كبيرًا ؛ لذا حدد لها وقتًا خاصًّا أو زيارة مقصودة حتى تأخذ حقها، والتحمل والتدين في ذلك قول رسول الله ﷺ: "... وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. " [رواه البخاري، من الحديث ٢٢٦٢]

فائدة تربوية:

يا لها من فرصة، تولى الثقة وتوثق الرابطة، كما أنها تعتبر تدريبًا على حفظ السر وصيانة أمانات المجالس، وهي الفرصة العملية لتمهيد توجيهات رسول الله ﷺ حيث قال ﷺ: "الْمَجَالِسُ بِالأَمَانَةِ" [رواه أبو داود، الحديث ٤٢٢٦، وفي سنده مجهول] وقال أيضًا "إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ ثُمَّ الْتَفَتَ[1] فَهِيَ أَمَانَةٌ" [رواه أبو داود، الحديث ٤٢٢٥].

*****

١ – أي انصرف، ويقال أنه يلتفت حوله مخافة أن يسمع أحد كلامه غير من يُسر إليه

٢- إماطة الأذى[١]

كفُّك للأذى هو امتناعك عن إيذاء غيرك بسبب من عندك، أمَّا إماطة الأذى فهي أن تزيل عن الناس ما يُؤذيهم وإن كان سببه من غيرك، ومن الترم بكف الأذى فقد احتاط لإيمانه حتى لا يُنتقص من هذا الباب، لكنَّ الذي يميط الأذى فهو الذي يتطلع لدرجة أعلى، إنه يرمي إلى استكمال إيمانه، دلك أن إماطة الأذى شُعْبة[٢] من شُعَب الإيمان، لا يكتمل الإيمان إلا بها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ» [رواه مسلم، من الحديث ٥١]

اطلب المغفرة بإماطة الأذى.

إماطة الأذى عن الطريق تبدو أنها عمل ضئيل، لكنه مع صآلته فإن عائده كبير، دلك أنه سبب من أسباب غفران الذنوب، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ[٣] فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ» [رواه البخاري، من الحديث ٦١٥]

إماطة الأذى صدقة بلا نفقة.

خُلِقَ الإنسان على ثلاث مائة وستين مفصل، وكل مفصل فيها يحتاج إلى صدقة مع بزوغ شمس كل يوم، وليس كل منَّا يملك مالاً يعطي هذه الصدقات العديدة المتكررة، فمِنْ أين لنا هذا العدد الكبير من الصدقات؟

---

١ - الإماطة الإزالة

٢ - الشعبة الفرع والجزء

٣ - وفي رواية أخرى للبخاري فأخذه، الحديث ٢٢٩٢

إن الله ﷻ يقبل منا صدقات بدون نفقات، فقد يَسَّر الله ﷻ لعباده تحصيل هذه الصدقات من أبواب شتى، أحدها إماطة الأذى، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «كُلُّ سُلامَى[1] مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ»

[رواه البخاري، الحديث٢٧٦٧]

تَرَحْرَح عن النار بإماطة الأذى.

مَنْ استكمل ثلاث مائة وستين صدقة في اليوم بشيء من الأعمال التي ذكرها النبي ﷺ، ومنها إماطة الأذى، فقد زحزح نفسه عن النار، تشرفنا وتطمئنا بذلك أمُّنا عَائِشَةَ - رضي الله عنها - فتقول إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلاثَ مِائَةِ مَفْصِلٍ، فَمَنْ كَبَّرَ اللَّهَ وَحَمِدَ اللَّهَ وَهَلَّلَ اللَّهَ وَسَبَّحَ اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ شَوْكَةً أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلاثِ مِائَةِ السُّلامَى فَإِنَّهُ يَمْشِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ» [رواه مسلم، من الحديث ١٦٧٥]

مقترحات عملية:

منهجنا أننا لا نكتفي بالمعرفة نُحَصِّلها، بل نحاول أن نسمو بنفوسنا بالمشاعر تبعثها كل معلومة في الوجدان، حتى نزكيها ونسميها، ثم نبحث عن التطبيق العملي الذي يترجم هذه المعلومة وهذه المشاعر، فنشترطها على أنفسنا، ونمارسها

---

١ - السلامى المفصل من مفاصل الجسد

والمظاهر العملية لإماطة الأذى كثيرة، لا تقتصر على مؤديات تعترض طريق الناس فنزيلها، بل تتنوع أكثر من ذلك، فبدأ بأنفسنا أولاً

فنميط الأذى عن رأس الغلام، فليحرص الوالدان - والأم خاصة - على نظافة الأولاد، ومن النظافة الحرص على حلق رءوس الأولاد عند ولادتهم، والمحافظة على ذلك دوريًا، فعَنْ سَلْمَانَ بن عَامِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "مَعَ الْغُلَامِ عَقِيقَتُهُ، فَأَرِيقُوا عَنْهُ الدَّمَ وَأَمِيطُوا عَنْهُ الْأَذَى" وَكَانَ ابن سِيرِينَ يَقُولُ إِنْ لَمْ تَكُنْ إِمَاطَةُ الْأَذَى حَلْقَ الرَّأْسِ فَلَا أَدْرِي مَا هُوَ. [رواه أحمد الحديث ١٥٦٥٢].

ونميط الأذى عن الطعام، عندما تسقط ما لقمة فالسُّنة أن نزيل ما بريبنا منها أو يعلق بها ونستفيد منها، ولا نتركها للشيطان، فعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ، قَالَ: وَقَالَ: "إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ عَنْهَا الْأَذَى وَلْيَأْكُلْهَا وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ" [رواه مسلم، الحديث ٣٧٩٥]

ونزيل الأذى من الحمَّام، معتني بنظافته وطهارته دائمًا، وتطييب رائحته، فالفرد منَّا لا يغادر دورة المياه قبل أن يزيل أي أذى يمكن أن يتأذى به مَن سيستعملها بعده، والأم تربي أولادها الصغار على أداء هذا الواجب بعد كل استعمال.

ونظف أمامنا على الدوام، فلا نرى أمامنا ما يستحق التنظيف إلا ونظفه، فنزيل القاذورات من بيوتنا وأماكن أعمالنا وشوارعنا، فضلاً عن أن نمتنع عن إلقائها في تلك الأماكن.

ونراجع معًا الالتزام، فنحاسب أنفسنا على ذلك، حتى تصبح إماطة الأذى خلقًا ثابتًا فينا.

*****

٣- المحاسبة

استقرت تجارتك الثمينة على شروط اتَّفقت عليها نفسك مع عقلك[١]، وسارت ممارستك لهذه التجارة بمراقبة ومتابعة تبتغي الإحسان في الطاعات، وتُحقِّق الأدب في المباحات، وتحفظ من التورط في المعاصي والمهلكات[٢]، ولكنها تجارة، ولكل تجارة نظام محاسبة.

اليوم والليلة وحدة حسابية:

يتعارف أهل كل تجارة على تقسيم زمن التجارة إلى وحدات معينة يتم المحاسبة على أساسها، البعض يجعلها أسبوعًا، والبعض يُفَصِّلُها شهرًا، وهناك من يمدها إلى سنة، وتراهم يحسبون رصيدًا لأول المدة، وحسابًا جاريًا يراجعونه أثناء المدة، وحسابًا ختاميًّا في آخرها، وعندما تكون التجارة هامة وكبيرة يستعين الشركاء بمراقب لهذه الحسابات

والوحدة الحسابية لحياتنا هي اليوم والليلة، فمع إشراقة كل صبح يتحدد موقف كل عبد، وعلى أساسه يعامله المَلَكان، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا" [رواه البخاري، الحديث ١٣٥١].

وقد جعل الله ﷻ النهار لنا معاشًا نسعى فيه، كما جعل لنا الليل لباسًا نسكن فيه وننام، وبذلك انقسمت حياتنا إلى قسمين، نحيا قسمًا - هو النهار - ثم يتوفانا الله ﷻ في القسم الآخر - وهو الليل - أمَّا مَنْ بَقِيَ في عمره أمد فإن الله ﷻ يرسله إلى الحياة مرة أخرى فيسعى نهاره ثم

---

١ - راجع موضوع [مشارطة] في الفصل الأول من هذا الباب

٢ - راجع موضوع [مراقبة] في الفصل الثاني من هذا الباب.

يتوفاه عندما ينام وهكذا، قال ﷻ: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، فراجع حساباتك على هذه الوحدات، ورتِّب أمورك يومًا بيوم

رصيدك في أول كل مدة:

لديك رصيد في حورتك، فلتراجعه في أول كل مدة، هذا الرصيد هو رأس مالك وعُروض[2] تجارتك، فرأس مالك هو وقتك، والعُروض هي الفروض التي فرضها الله ﷻ عليك، فاحذر أن تضيع رأس مالك أو أن تضيع منك عُروض تجارتك، فهذه خسارة تتناول الأصول

حسابك الجاري يُراجع إلى صلاتك:

كما أن لكل تاجر في تجارته كشفًا للحركة اليومية يُثبت فيه المدفوعات والمقبوضات، فهو ينسه إلى موارده فيحصلها والتزاماته فيؤديها، ومنه يعلم موقفه المالي وحسابه الجاري، فأنت -أيضًا- لديك فرص عديدة أثناء حياتك تراجع فيها حسابك الجاري ورصيدك الحالي، إنها اللحظات التي يجب أن تقف فيها عند كل صلاة، إنها مورعة على أوقات اليوم والليلة بأمر الله ﷻ، فاعتمها، واتَّئِد من المتعلقات أولاً بأول

مراجع حساباتك هو مرآتك:

وبالرغم من أن كل أصحاب تجارة أو شركة أو مؤسسة لديهم محاسبون، إلا أنه جرت العادة أن تتحد كل مؤسسة لنفسها حيزًا من حارجها تعرض عليه حساباتها ليراجعها، وقد يرى هذا المراجع أخطاءً

---

١ - الآية ٤٢ من سورة الزمر

٢ - العُروض البضاعة

فيصح بتصحيحها، أو يرى صوانًا فيُطَمْئِن صاحب التجارة، إنه يقوم بدور المرآة التي تُظهر العيوب

وقد جعل الله ﷻ لكل منّا مرآة ، إن مرآة المسلم هي أخوه المسلم، فاتخذ من إخوانك أو رفقائك في رياض الجنة مرآة تستعين بها على اكتشاف عيوبك وإصلاح شأنك، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ «الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكُفُّ[1] عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ[2] وَيَحُوطُهُ[3] مِنْ وَرَائِهِ» [رواه أبو داود، الحديث ٤٢٧٢]

الحساب الختامي قبل كل وفاة.

وكل ليلة قبل وفاتك[4] اجعل لنفسك ساعة للحساب الختامي، إنها ساعة تُشاطر تلك التي جعلتها للمشارطة أول يومك، عملاً بقول النبي ﷺ، ووصية عمر بن الخطاب ﷺ، فعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ» [رواه الترمذي، من الحديث ٢٣٨٣، وقال هذا حديث حسن] وقال الإمام الترمذي معلّقًا على الحديث: وَمَعْنَى قَوْلِهِ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ يُحَاسَبَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيُرْوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ، وَإِنَّمَا يَخِفُّ الحِسَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيَا، وَيُرْوَى عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ لا يَكُونُ الْعَبْدُ تَقِيًّا حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ كَمَا يُحَاسِبُ شَرِيكَهُ مِنْ أَيْنَ مَطْعَمُهُ وَمَلْبَسُهُ

---

١ – الكف الجمع والضم، و المراد منع الملف والخسارة

٢ – الضيعة ما يكون فيه معاشه، من زراعة أو صناعة أو تجارة

٣ – أي يحفظه ويصونه قدر استطاعته

٤ – يومك

من ليس إلى زيادة فهو إلى نقصان:

إياك أن ترضى بالصغر ربحًا، فهناك من التجار من يجد رأس ماله كما هو، ويعود عليه من التجارة فقط ما يُعَوِّض به العروض، ويتماثل رصيده آخر المدة برصيده الذي كان في أول المدة، أمَّا مَن كان عمره هو رأس ماله، ومن كانت عروض تجارته هي ما افترضه الله ﷻ عليه من فروض؛ فنقول له: مَن استوى يوماه فهو مغبون[1]، ومَن لم يكن إلى زيادة فهو إلى نقصان، فاطلب ربحك من النوافل وفضائل الأعمال.

اكتب صحيفتك:

يعمد كثير من التجار إلى الكتابة ليتابع تجارته وليحسب ربحه، وهي فكرة جميلة أن تكتب لنفسك صحيفة حسناتك، فمن جعل المحاسبة له وردًا ثابتًا ربما استراح بأن يجعل ذلك على صحيفة يعدها لنفسه، فالبعض يرى في ذلك عونًا له على التذكر.

يوم القيامة ترى الحصيلة

يعرف الإنسان تحديدًا مركزه النهائي يوم القيامة كما يعرف التاجر مركزه المالي تفصيلاً، قال تعالى ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾[2]

فلا تغفل عن محاسبة نفسك

*****

١ - المغبون الخاسر، المحروم الأجر بفوات الخير

٢ - من الآية ٣٠ من سورة آل عمران

٤- النار دار الخاسرين

يدرك الإنسان بشيء من السهولة أمورًا كثيرة في دار الحياة الدنيا، ذلك أنه مزود بحواس صالحة لتحقيق هذا الإدراك، وبالرغم من تيقنا بأننا قَدِمنا إلى هذه الدنيا من دار سابقة، فليس مِنَّا مَن يدرك ما كان عليه قبل أن يصل إلى هذا العالم المشهود

ثم إن كل إنسان منتقل لا محالة إلى دار أخرى هي الحياة الآخـــرة، ليخلد فيها بعد فترة يقضيها في البرزخ بين الممات والبعث، ولا سبيل لنا إلى معرفة ما في هذه الدار سوى الوحي، وفي الحياة الآخـــرة داران: دار للهالكين أصحاب الشمال هي النار، ودار للناجين الفائزين هي الجنـــة، فليس بعد الدنيا من دار سوى الجنة أو النار

النار حق.

كما أن الله ﷻ حق، فإن النار في عقيدة المسلم حق، قال رســـول الله ﷺ « أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَـــقٌّ » [رواه البخاري، من الحديث ٥٣ ١]

ولهذا فالإيمان بالنار من الإيمان باليوم الآخر الذي هو أحد أركـــان الإيمان. يفهم ذلك من إجابة الرسول ﷺ لجبريل عليه السلام يـــوم جـــاءه في المسجد متمثلاً في صورة بشر، « قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَـــانِ، قَـــالَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ صَدَقْتَ » [رواه مسلم، من الحديث ٩]

حقيقة نار الآخرة

ليست نار الآخرة كنار الدنيا التي نعرفها، حتى في الصفة المشتركة بينهما – وهي الحرارة – فإنهما فيها مختلفتان، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ "نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي تُوقِدُونَ جُزْءٌ وَاحِدٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ" قَالُوا وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ "فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا" [رواه الترمذي، الحديث ٢٥١٤ وقال حسن صحيح]

النار موجودة

والنار مخلوقة، وهي موجودة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ " إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ" [رواه مسلم ، الحديث ١٧٩٣]

نار الآخرة أصناف:

ونار الآخرة أصناف، لكل صنف منه اسم يميزه، فمنها جهنم ومنها الجحيم، ومنها سقر ومنها السعير، وغير ذلك كثير

وما يعنينا في المقام الأول هو النجاة من كل هذه الأصناف؛ لأن ألم أهون عذاب أهل النار إذا قورن بألم الدنيا فإنه بالنسبة إليه أضعاف الأضعاف، قال النُّعْمَانَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ "إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ تُوضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَةٌ يَغْلِي مِنْهَا دِمَاغُهُ" [رواه البخاري، الحديث ٦٠٧٦]

النار باقية لا تبيد

هذه النار الموجودة خالدة وباقية لا تبيد، فلا سبيل للنجاة منها إلا

أن يستحق الإنسان العتق منها بأمر الله ﷻ، قَالَ عَبْد اللَّه إِنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ "يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ فَيَقُولُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لا مَوْتَ، كُلٌّ خَالِدٌ فِيمَا هُوَ فِيهِ" [رواه مسلم، من الحديث ٥٠٨٨]

نذكرها لنجو منها.

استقصى القرآن الكريم في ذكر مشاهد العذاب في النار، وكثر في الحديث الشريف شرح أحوال أهل الشمال في النار، ولعل ذكر ذلك يُخَوِّف الإنسان فيعتزل الأسباب التي تُعَرِّضه لهذا المصير، ومن أجل هذا ستجد - إن شاء الله - ضمن كل جزء من هذا الكتاب أحد هذه المشاهد، نعرضها بتدبر وتفصيل، ونأمل أن تبعث فينا مشاعر الخوف المفيد، كما أنها قد تكون لك زادًا تُبَلِّغه وتُبَشِّر به إذا ما أردت أن تستنقذ أحدًا من رفاقك أو أحبائك من النار، فما أعظم ثواب من يكون سببًا في استنقاذ إنسان من النار

*****

الفصل الرابع

١ – الأجر للعاملين

٢ – تـــرك الجـــدل

٣ – التوبـــــــة

٤ – الجنـــــــة

١ - الأجر للعاملين

العلم النافع والعلم الحجة:

العلم علمان علم يفقهه القلب فيعمل به الإنسان، فذلك العلم النافع، و علم لا يتجاوز العمل به تحريك اللسان، فذلك حُجة الله على ابن آدم، ومَن لم ينتفع بعلمه - أي مَن لم يُقربه بالعمل - ربما هلك

إن مَن يُحَصِّل العلم ولا يعمل به تكون الحُجَّة عليه أعظم، قال رَسُول اللَّه ﷺ «يُجَاءُ بِرَجُلٍ فَيُطْرَحُ فِي النَّارِ فَيَطْحَنُ[1] فِيهَا كَطَحْنِ الْحِمَارِ بِرَحَاهُ فَيُطِيفُ[2] بِهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ أَيْ فُلَانُ أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ إِنِّي كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا أَفْعَلُهُ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَفْعَلُهُ» [رواه البخاري، الحديث ٦٥٦٩]

العاملون والغافلون:

وقد بين الله ﷻ لنا صنفين من الناس في كتابه صنفًا وصفهم بقوله ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[3]، وصنفًا وصفهم بقوله. ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[4].

---

١ - يطحن برحاه المراد أنه يكد ويتعب كثيرًا كما يتعب الحمار عند إدارته للرحى

٢ - فيطيف به يمرون عليه

٣ - من الآية ٢٣ من سورة الزمر

٤ - الآية ١٧٩ من سورة الأعراف

فالصنف الأول هم المؤمنون الذين رَقّت قلوبهم، وانشرحت للإيمان صدورهم، فهم للعلم يستمعون، وبالموعظة يتأثرون، وبهدي الله يهتدون، إنهم الذين يُقْرِنون علم القلب وعمله - الذي يتمثل في الإيمان - بالعمل الصالح للجوارح، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[1]

والصنف الثاني هم العاملون الذين لا يصل العلم إلى قلوبهم لتتحرك به جوارحهم، فهم لا يفقهون العطة ولا النصح، ولا يعملون بما علموا

فؤاد واعٍ وجارحة مستعدة.

إن القلب المظلم لا يستفيد شيئًا، مثله كالأرض السور، لا ينفعها المطر، وإن القلب المستنير هو الذي يفهم ما يسمع ويعمل بما يفهم، فكن قلبًا مستنيرًا، وفؤادًا واعيًا، وجارحة مستعدة للعمل تكن مع الفائزين، وإن قليلاً من العلم تُحْسِنه ثم تعمل به خير من كثير تحفظه بدون عمل، وقد كان صحابة الرسول ﷺ يصلون العلم بالعمل، فتعلموا العلم والعمل معًا، فعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ[2] قَالَ: حَدَّثَنَا مَنْ كَانَ يُقْرِئُنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُمْ كَانُوا يَقْتَرِئُونَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ، فَلَا يَأْخُذُونَ فِي الْعَشْرِ الْأُخْرَى حَتَّى يَعْلَمُوا مَا فِي هَذِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَعَلِمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ [رواه أحمد، الحديث ٢٢٣٨٤]

لا محاة بغير عمل

أخي، لا تكن من الأعمال مفلسًا ومن الاجتهاد في الطاعة خاليًا،

---

١ - الآية ٣٠ من سورة الكهف

٢ - هو الصحابي الجليل زيد بن خالد ﷺ

وتيقن أن العلم المجرد لا يكفي أحده باليد، فكما أنّ الدواء لا يفيد مريضًا إن لم يستخدمه، كذلك العلم لا يفيد النفس في الدنيا ولا يؤدي إلى النجاة في الآخرة إلا بالعمل

أخي، لو قرأت العلم مائة سنة و جمعت ألف كتاب لا تكون مستعدًّا لرحمة الله إلا بالعمل، لأنه ليس للإنسان إلا ما سعى، قال تعالى ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[1]

ما لم تعمل لن تُؤجر:

أخي، ما لم تعمل لن تأخذ الأجر، و فيما يسند إلى سيدنا علي كرم الله وجهه "من ظن أنه بدون الجهد يَصِلُ فهو مُتمنٍّ، والمنى بضاعة النَّوْكَى"[2]، و قال الحسن البصري – رحمه الله – "طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب"

من هناك جئتَ.

أخي عِش ما شئت فإنك ميت، وأحب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، والعلم بلا عمل جنون، والعمل بلا علم لا يكون، فلا بد منهما معًا، و إن العلم وحده لا يبعدك اليوم عن المعاصي ولا يحيك غدًا من النار، فإذا لم تجتهد اليوم في العمل فلستحْتَ أن تكون يوم القيامة فيمن قال فيهم الله ﷻ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا

---

١ – الآية ٣٩ من سورة النجم

٢ – النوكى الحمقى

مُوقِنُونَ﴾[1]، ولو طلبت هذا الطلب سيُقال لك يا هذا، أنت من هناك حتت

فإن كنت ترجو لقاء ربك فائزًا، فاقرن العلم بالعمل الصالح وتدبر قوله ﷻ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[2]

لمحة تطبيقية:

من خاف أن يكون ممن يَطحن في النار، ومن خشي أن يوصف بأنه من الغافلين الذين هم أضل من الأنعام، ومن يرعبه أن يحشر مع المجرمين ويتحسر على نفسه أن أضاع فرصة للعمل ما لها من تكرار، فعليه أن يتكلف لكل معروف عملاً، فلسحت في كل معلومة شرعية تصلنا عن واجب عملي يترجمها، ولا شك أننا سنجد عملاً نعمله، أو هيّا نحتسبه، أو معنى نوصله لغيرنا، وتكلُّف هذا الأمر في الحياة الدنيا أفضل من أن نقول يوم القيامة. ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾[3]، فيقال لنا - والعياذ بالله - إنكم من هناك حتتم

*****

١ - من الآية ١٢ من سورة السجدة

٢ - الآية ١١٠ من سورة الكهف

٣ - من الآية ١٢ من سورة السجدة

٢- ترك الجدل

وَزَّعَ الله ﷻ على خلقه حظوظًا في كل جانب من جوانب الحياة، ومن الجدير بالملاحظة أنَّ الإنسان عندما ينظر إلى ما أوتي من متاع الدنيا وما أوتي غيره منه فقد يُعْجِبُه حظ غيره، وهذا هو المحرك للتنافس وما يصاحبه من مشاعر وتصرفات، أمَّا فيما يتعلق بالعقل والرأي فالأمر مختلف

الإنسان يعجبه عقله

على خلاف النعم الأخرى، فإن أغلب الناس يظن أن حظ نفسه من نعمة العقل هو أوفر من حظ غيره، ومن النادر أن تجد في غير الحكماء والعلماء من يوقن بأن غيره أرجح منه عقلاً ورأيًا وتفكيرًا، ولعل ذلك هو المحرك للتعصب والتشبث بالرأي والجدل والمراء.

تعريف الجدل:

المجادل من يحرص على إعطاء رأيه حجمًا أكبر ووزنًا أثقل من رأي غيره، لكنه لا يكتفي في ذلك بالعناية بتضخيم شأن رأيه، إنه ينال من رأي غيره ليقلل منه حتى يتلاشى أثره أو يكاد، فكأن رأي كل منهما مثل ألياف الحبل، والمجادل يجدل ألياف حبله (رأيه) ليصير حبلاً مجدولاً قويًّا سميكًا، كما أنه يواصل تناول حبل الطرف الآخر (رأي غيره) فينقصه حتى يصير أنكاثًا واهية

وعادة ما تستمر المجادلة حتى ينتصر أحد الرأيين، فكأنها مصارعة لا

تنتهي حتى يُلْقِيَ أحد المتصارعين بعزيمه على الأرض صريعًا، والجـــدل في اللغة هو المصارعة والقتل[1]، ومن هنا جاءت كلمات الجـــدل والجـــدال والمجادلة

الإنسان مجادل بطبعه

اقتضت حكمة الله ﷻ أن يُودِعَ في طبع الإنسان شيئًا من الجـــدل، هذا الطبع قد يكون هو وقود التنافس ومحرك التدافع بين الناس، وبالرغم من أن المبطل قد يتشبث بباطله مستندًا إلى هذا الطبع، فإن المُحِقَّ ما كان له أن يُصِرَّ على إحقاق الحق إلا إذا كان له من هذا الطبع نصيب، لكـــن المشكلة هي في شدة ميل الإنسان حتى يكون أكثر شيء جدلاً، قال ﷻ ﴿ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴾[2]

جدل محمود وجدل مذموم

الإصرار على الدفاع عن الحق ونصرته بالحجة جدل محمود، فقـــد جادل رسول الله نوحٌ عليه السلام قومَه من هذا المنطلق، قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَـا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾[3]، وأحس الجدال اقتران إتقان بيان الحجة بالـــدعاء إلى الله ﷻ واللجـــوء إليه[4]، قال تعالى: ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنـــزِلَ إِلَيْنَا وَأُنـــزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ

---

١ – انظر تفسير الآية ١٩٧ من سورة البقرة في تفسير القرطبي

٢ – من الآية ٥٤ من سوره الكهف

٣ – الآية ٣٢ من سورة هود

٤ – انظر تفسير الآيه ٤٦ من سورة العنكبوت في تفسير الجلالين

وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1]

أمَّا الجدل المذموم فهو العناد في قبول الحق، وهو يظهر في تشبث الإنسان بالمعارضة مع يقينه بأنه مخطئ، واعتراضه على الحق بالباطل[2]

وإذا كان المراء هو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه، فإن المراء يتحول سريعًا إلى جدال مذموم إذا كان القصد إفحام الغير وتنقيصه وتعجيزه، بالقدح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل[3]

بواعث الجدل المذموم.

شهوتان تبعثان على الجدل المذموم شهوة إظهار العلم والفضل، ومصدرها الكِبْر والعُجْب، وشهوة إظهار النقص في الغير، ومصدرها الغيظ والعداوة، لذلك فإن العلاج الجذري للجدال يكون بكسر الكِبْر والعُجْب في النفس، وكظم الغيظ عند العداوة والغضب

أضرار الجدل:

الجدل علامة من علامات ضلال الأمم، أو هو سبب من أسبابه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلا أُوتُوا الْجَدَلَ»

[رواه الترمذي، من الحديث ٣١٧٦، وقال حسن صحيح]

والجدل يُنْقِصُ من ثواب عبادة كالحج، قال تعالى ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[4]

---

١ – الآية ٤٦ من سورة العنكبوت

٢ – انظر تفسير الآية ١٩٧ من سورة البقرة في تفسير القرآن العظيم، لابن كثير

٣ – راجع إحياء علوم الدين للغزالي، الجزء الثالث ص ١٤٧ وما بعدها، طبعة الحلبي ١٩٦٧

٤ – من الآية ١٩٧ من سورة البقرة

والجدل يُقَسِّي قلب الإنسان، ويفسد العلاقة بين الناس، قال الإمام مالك - رحمه الله - المراء يقسي القلوب ويورث الضغائن، وأوصى لقمان الحكيم ابنه فقال يا بُني، لا تجادل العلماء فيمقتوك

هَدْي المصطفى ﷺ في ترك الجدل

نلحظ إعراض رسول الله ﷺ عن التورط في الجدال في قصته مع علي بن أبي طالب ﷺ،الذي يرويها قائلاً إنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ طَرَقَهُ[1] وَفَاطِمَةَ بِنْتَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً فَقَالَ «أَلا تُصَلِّيَانِ؟»، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا[2]، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلٍّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ وَهُوَ يَقُولُ ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾[3] [رواه البخاري، الحديث ٥٩ ١]

هَدْي الصحابة ﷺ في ترك الجدل

وتأمل هدي الصحابة ﷺ في ترك الجدل والمراء فيما رواه أَنَس بن مَالِك ﷺ قَالَ «كُنَّا نُسَافِرُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَعِبِ الصَّائِمُ عَلَى الْمُفْطِرِ وَلا الْمُفْطِرُ عَلَى الصَّائِمِ» [رواه البخاري، الحديث ١٨١١]

ثواب ترك الجدل.

من ترك الجدل بنى الله له بيتًا في وسط الجنة، هذا الثواب يبدو كبيرًا، وقد يكون ذلك لصعوبة ترك الجدل والمراء، فعَنْ أَنَسِ بْن مَالِكٍ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَهُوَ بَاطِلٌ بُنِيَ لَهُ فِي

---

١ - الطروق القدوم ليلاً

٢ - أي لم يرُد علي شيء

٣ - من الآية ٥٤ من سورة الكهف

رَبَضِ الْجَنَّةِ،[1] وَمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌّ بُنِيَ لَهُ فِي وَسَطِهَا، وَمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ بُنِيَ لَهُ فِي أَعْلاهَا». [رواه الترمذي، الحديث ١٩١٦، وقال حَدِيثٌ حَسَنٌ]

التطبيق العملي:

من أراد أن يكون من الذين يعملون بما يعلمون في مقام ترك الجدال والمراء، فلا يُصِرَّ على رأيه الشخصي، وعلامة ذلك أن يحرص على إتقان عرض حجته وبيان وجهة نظره مرة واحدة لا تتكرر، فإذا شَقَّ عليه ذلك في كل المواقف وفي كل الأيام، فليتدرج مع نفسه بأن يشترط عليها ذلك في أيام قليلة يريدها تدريجيًّا

ومن تَرْك الجدل أن لا تتعصب لحكم شرعي فيه خلاف، والنجاح في ذلك قد يكون بحرصك على أن تعرض في أي مسألة فقهية الرأي المخالف لما تأخذ به، مقرونًا بالرأي الذي تعمل به، إنك إن تكلفت هذا الأمر مرة أو مرتين ربيت نفسك على ترك الجدل

وبالإضافة إلى ما ذُكِرَ تستطيع المرأة تربية نفسها على ترك الجدل والمراء بتعمد الانقياد لرأي زوجها أو وليِّها دون مراجعة، طالما أنه لا يؤدي إلى معصية، بعض النساء يجدن هذا الأمر عسيرًا على نفوسهن، لأنهن تعودن غير ذلك، لكنَّ التدرج يجعل العسير يسيرًا، فلتبدأ المرأة ولو بموقف واحد أسبوعيًّا ثم تزيد.

*****

١ - المراد به أدناها وأسفلها، او ما حولها خارجًا عنها

٣- التوبة

كانت المشارطة عهدًا على الاستقامة والتزام الطاعات، ثم استعنا بالمراقبة صمانًا للإخلاص ووقاية من التملت والتقصير، وجاءت المحاسبة آخر اليوم للوقوف على نجاح التجارة في هذا العمر القصير، وكلما وجدنا ربحًا وكسبًا وفائدة كلما هرعنا إلى الشكر الجزيل

والشكر مقام له تفصيل، لكن مادا نفعل لو وجدنا أنفسنا بعد المحاسبة على تقصير؟ ماذا لو لم نرضَ عن أنفسنا؟ في هذه الحالة لابد أن نلجأ إلى التوبة[1]

إدراك ضرر الذنب

أول أعمدة التوبة أن ندرك ضرر الذنب الذي نريد أن نتوب عنه، وإدراك ضرر الذنب ليس بالأمر العسير على النفس، لأنه مجرد علم، وليس فيه كثير مراغمة أو مجاهدة

ولكل ذنب ضرر يخصه، لكن للذنوب على اختلافها ضرر تشترك كلها فيه، إن الذنوب تباعد بين العبد وبين ربه، فإذا كنا ندَّعي أننا نحب الله ﷻ، ونأمل أن يحبنا المولى جل وعلا، فإن خسارتنا بالذنب تكون جد كبيرة

ثم يكون الندم

الندم ثاني أعمدة التوبة، فبعد أن تعرف أن ذنبك وتقصيرك قد باعد

---

١ - للاستزادة يراجع إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي - ربع المهلكات
المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوّى، ص ٣١٨ - ٣٢٩
مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي، ص ٢٣٠ - ٢٣٤

بينك وبين ما تحب من اتصال بالله ﷻ واقتراب منه ﷻ والتمتع برضاه ﷻ عنك فإنك تتألم، فإذا أنت أدركت أن هذا الألم حدث بسبب فعل معين - هو الذنب - فإنك تأسف لأنك فعلت هذا الفعل، وتتمنى لو أنك لم تفعله، وهذا هو الندم، وبالرغم من أن الندم أحد أعمدة - أو مكونات - التوبة، إلا أنه أظهر ما فيها، وكثيرًا ما يُطْلَق على الندم توبة، لكن التوبة لا تكون توبة إلا بإدراك ضرر الذنب ثم الندم، وأخيرًا بعملٍ يترتب على ذلك مُكَوَّن من ثلاثة أفعال

يلزمك عمل

العمل الذي هو ثالث أعمدة التوبة عمل مركب من ثلاثة أفعال، أولها يتعلق بالحاضر وثانيها بالماضي وثالثها بالمستقبل

ترك الذنب الذي تورطت فيه أو تلبست به هو الفعل المتعلق بالحاضر، يُضاف إلى ذلك **تصميم وعزم** على ترك هذا الذنب إلى آخر العمر، وذلك هو الفعل المتعلق بالمستقبل، وإذا كان تقصيرك أو ذنبك يمكن استدراكه أو قضاؤه أو جبره، فإن الفعل الثالث هو **الجبر والقضاء**، وهو كما ترى يتعلق بتلافي ما فات

التائبون طبقات أربع

ذو النفس المطمئنة، يتوب ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره، ويتدارك ما فَرَّط من أمره، ولا يُحَدِّث نفسه بالعَوْد إلى ذنوبه، وهذه هي التوبة النصوح

ذو النفس اللوامة، يتوب فيسلك طريق الاستقامة في أمهات الطاعات، ويترك كبائر الفواحش كلها، لكنه يُبتلى؛ إنه يقع في أحوال

دميمة من غير أن يُقدِّم عرضًا على الإقدام عليها، لكنه كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف، وحدد عزمه على أن يحترز من الأسباب التي تفضي به إليها

دو النفس الضعيفة، يتوب ويستمر مدة على الاستقامة، ثم تغلبه شهوة فيقدم على بعض الذنوب قصدًا وعمدًا، ثم يندم ويأمل لو قَدَّره الله ﷻ فكفاه هذا الشر، لكن نفسه تُسَوِّلُ له فيُسَوِّفُ توبته مرة بعد أخرى.

دو النفس الأمارة بالسوء، يتوب ويجري مدة على الاستقامة ثم يعود إلى مقارفة الذنب من غير أن يُحَدِّث نفسه بالتوبة، ومن غير أن يتأسف على فعله، وهذا الصنف يُخَاف عليه من سوء الخاتمة والعياذ بالله.

لمحة عملية:

كلنا يخاف أن تسيطر عليه النفس الأمارة بالسوء، وكلنا يحب أن يكون من أصحاب النفس المطمئنة، وكل مِنَّا عنده ما يَحصنه مما يستوجب التوبة، ولأنا قوم عمليون، فنحن نستعين على النجاح في التوبة بمران عليها وتدريب، وهذه وظيفة من وظائف كتابك هذا الذي بين يديك، ذلك أن في كل فصل من فصوله اقتراح بعمل يُؤَدَّى، فمَن تَعَّود المثابرة على كل عمل من هذه الأعمال، ولازم المراقبة، وأدى المحاسبة، وتَوَّج ذلك بالتوبة عن كل تقصير يجده فيها؛ فإنه بذلك يتدرب على التوبة ويتمرن عليها، وسيجد نفسه بعد ذلك أقدر على تطبيق ذلك فيما يعرفه عن نفسه ولا يعرفه عنه الناس، فجد مرانك وتدريبك من كل فصل بكل جزء يَصِلك من هذا الكتاب

*****

٤- الجنة دار الفائزين

تستقيم الحياة عندما تطمئن النفوس إلى أن العدل لابد وأن يتحقق، وكثيرًا ما يرى الإنسان تمتُّع المفسدين بكل ما يتمنون في الحياة الدنيا، ولا يشفي صدره إلا علمه أن المفسدين هم أصحاب الشمال، وأنهم لابد مفارقو ديارهم في الدنيا إلى دار لهم في الآخرة هي النار، ولكن ما شأن المظلومين؟ وما حر الذين تسامَوا عن المتعة الحرام؟ وتكبدوا في ذلك ما تكبدوا من مشاق، وكثير منهم يموت دون أن يُنْصَفَ، لابد إذًا من معرفة ما أعد الله ﷻ من جزاء لهذا الصنف من الناس

الجنة حق

إن الإيمان بوجود الجنة من أساسيات عقيدة المسلم، قال رسول الله ﷺ «وَالْجَنَّةُ حَقٌّ» [رواه البخاري، من الحديث ٥٣ ١]

ولهذا فالإيمان بالجنة من الإيمان باليوم الآخر الذي هو أحد أركان الإيمان، التي أخبر بها النبي ﷺ في حديث جبريل عليه السلام الطويل، حين سأل متمثلاً في صورة بشر، « قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ، قَالَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ صَدَقْتَ » [رواه مسلم، من الحديث ٩]

الجنة موجودة

والجنة مخلوقة، وهي موجودة فعلاً، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ» [رواه مسلم ، الحديث ١٧٩٣] وسُئل ﷺ عن الشهداء فقال: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ

مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمِ اطِّلَاعَةً فَقَالَ هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا؟ فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا» [رواه مسلم، الحديث ٣٥]

الجنة أُعدت لأهلها:

خلق الله ﷻ الجنة، وأعدها لأهلها، وأهلها هم المؤمنون، إنها المأوى الأخير لمن مات لا يشرك بالله شيئًا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ «أَتَانِي جِبْرِيلُ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، قُلْتُ وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى؟! قَالَ وَإِنْ سَرَقَ وَإِنْ زَنَى» [رواه البخاري، الحديث ٦٩٣٣]

الجنة سلعة عالية

لا ينال الإنسان الجنة بالتمني ، بل ينالها بإذن الله ﷻ بالعمل الشاق الطويل، فالمسافر إلى جنة الله ورضوانه عليه أن يجدَّ ويُتعبَ نفسه في طاعة الله ﷻ حتى يبلغ المنزل (الجنة) فالجنة سلعة الله ﷻ، وكل من أراد شراءها فعليه أن يدفع ثمنها ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1]

---

١ – الآية ١١١ من سورة التوبة

وقَالَ ﷺ «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ[1]، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ» [رواه الترمذي، الحديث ٢٣٧٤]

نعيم لا يخطر على بال:

سنعرض بإذن الله لمشاهد من أحوال أهل الجنة، لكنها كلها مشاهد تقريبية، أمَّا حقيقة النعيم الذي أعده الله لعباده الصالحين، فوصفه لا يخطر على البال، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «يَقُولُ اللَّهُ ﷻ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» [رواه ابن ماجة، من الحديث ٤٣١٩، وكل رواته ثقات]

في الجنة درجات فوق درجات:

ذِكرُ الجنة وما فيها يبعث مشاعر الشوق إليها، وذِكر التفاوت العظيم لدرجات نعيمها يشجع الناس على العمل والاجتهاد، فعَنْ مُعَاذِ ابن جَبَلٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « فَإِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَى الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا، وَفَوْقَ ذَلِكَ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ » [رواه الترمذي، من الحديث ٢٤٥٣]

النعيم الخالد:

هذه الجنة خالدة وباقية، فنعيمها دائم لا ينقضي قال ﷺ «يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ فَيَقُولُ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لا مَوْتَ، كُلٌّ خَالِدٌ فِيمَا هُوَ فِيهِ» [رواه مسلم، من الحديث ٨٨ ٥]

---

١ - السير اول الليل، وقيل الليل كله

يدخل الجنة برحمة الله.

كما أنا لا نترك أحدًا ييأس من دخول الجنة، فإنا لا ندع إنسانًا يعتمد على عمله فقط، فالجنة يدخلها الإنسان برحمة الله، وفيها متسع لكل مؤمن به ﷻ، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ «يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا حُمَمًا قَدِ امْتَحَشُوا[1]، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ أَوِ الْحَيَا، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحَبَّةُ[2] إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً» [رواه مسلم، من الحديث ٢٧]

يذكرها بالغرور بها.

استقصى القرآن الكريم في ذكر نعيم الجنة، وكثر في الحديث الشريف شرح أحوال أهلها، ولعل ذكر ذلك يُشَوِّق الإنسان، فيعمل ويجتهد للفوز بهذا النعيم، ويعتزل الأسباب التي تحرمه منه، ومن أجل هذا ستجد - إن شاء الله - ضمن كل جزء من هذا الكتاب أحد صور النعيم؛ نعرضها بتدبر وتفصيل، ونأمل أن تنعت فيها مشاعر التشوق، وجواهر العلم، كما أنها قد تكون لك زادًا تُنَلِّعه وتُستَّر به إذا ما أردت أن يصحبك أحد من رفاقك أو أحبائك إلى الجنة

*****

---

١ - امتحش احترق

٢ - الحبة هي بذور العشب والبقول البرية

الباب الثالث

مع الله

تمهيد

الباب الثالث **مع الله**، روضة يطل منها فصلان، كل فصل يدور حول أربعة محاور تربوية، فتحفظ للمادة العلمية جدتها وأصالتها، لتكون خطوة نحو التغيير المنشود.

المحور الأول. يوضح كيف يُخرج المسلم ذاتيته إلى آفاق العمل المؤسسي الصحيح، الذي يستعلي على الإيذاء والمغانم المادية، ويحر من يسير فيه إلى أن يتحلى بالموضوعية الهادئة والنصح المتجرد، ليكتمل البناء المراد

والمحور الثاني: يكشف عن إمكانيات النفس البشرية التي تقود صاحبها إلى طريقين متباينين. الهدى والضلال، وعلى النفس أن تفاصل وتختار أيهما، وحجر الزاوية في ذلك الاختيار هو القلب، حيث إنه ينتقل بين مقامات الإسلام ومدارجه، ليخرج سليمًا لا تقعده عقبة في رحلته إلى الله

والمحور الثالث: نقلة طيبة إلى محراب الذكر، فتعرف من خلاله على الذات العليّة، ونعيش معاني الوفاء الجميل في عهوده ومواثيقه، وبالترتيل المحكم والخشوع والتدبر، يتحقق الجو الروحاني الخالص.

والمحور الرابع يبين كيفية صيانة المشاعر بين الزوجين، والوصول بها نحو الكمال، متحطين في سبيل ذلك المعوقات، حتى تقوم حياتهما على مودة دائمة العطاء، وطاعة مخلصة الولاء، فلا يتنازعا، فتعرق سفينتهما،

بل يتعاونا، ليصلا معًا إلى الجنة

ففي **الفصل الأول** أربعة موضوعات، الموضوع الأول **ولو كنت وحدك** يكشف عن داتية المؤمن، برغم ما يعِنّ له من صعوبات وعراقيل قد تعوقه، ويوضح كيف يتحرر لله ويخرج من حدود نفسه، فيتحمل الصيام، ويتقبل الأذى بصدر رحيب، وثمة إشارة لطيفة إلى رحلة المؤسسة الدي يعتبر ثورة صلاح لمن حوله، يقطفون ثماره أينما حل، وفي الخاتمة يكون المصير المحتوم يوم القيامة، والناس بين إقبال وإدبار، وفرع وأمن

والموضوع الثاني **مقامات السائرين** يكشف عن طبيعة النفس البشرية، وكيف تركن بمحض اختيارها إلى الهدى أو الضلال ، كما يعرض مقامات الإسلام، الأدنى فالأعلى، حتى يصل المسلم في النهاية إلى مقام الشكر، وفي الخاتمة إشارة إلى تعريف المنزل والمنزلة، وما يصاحب مَنْ يتربص في ظلالها من تخلية من الخصال الدنيئة، وتحلية بالخصال النبيلة

والموضوع الثالث **ورد المعرفة** ينقلنا إلى بستان يانع من محكم التنزيل، فتعرف من خلاله على الخالق ﷻ، وتختلط حلاوة القرآن بحس التدبر، ليكوِّنا حوًّا روحانيًا تذوب فيه القلوب وترِق له المشاعر

وموضوع **المودة** قراءة متأنية في بعض معاني الرواح السامية، مثل معنى السكن وما يصاحبه من آثار ملموسة من مودة ورحمة، حتى تتحقق في الخاتمة الصورة الحقيقة التي تحيا عليها الأسرة

والفصل الثاني تنشق منه موضوعات أربعة ، منها موضوع **الوقت** الذي يعيش المسلم من خلاله في أجواء الدعاة السابقين الذين هبوا للدفاع

عن أهل الحق ونصرتهم ودرء الأذى الملقَى عليهم؛ مما أوتوا من براعة واحتيال ولطف وحسن خطاب، وموضوعية عميقة، وتجرد مقطع الطير، وفي الخاتمة صورة رهيبة ليوم القيامة وما فيه من تراحم وتصاعد وحسرة وبار

وموضوع **الغفلة** يتناول كيف يسقط القلب من عملته حتى يبتعد عن الدنيا ومتعلقاتها، وتنفتح أمامه أبواب الخير، وثمة منازل محددة يتدرج فيها القلب حتى يتحول إلى قلب إيجابي يهتز بطاعة الله كلما نص

أما موضوع **ورد الوفاء** فهو جانب من الذكر ، يدور حول هذا المعنى العظيم، وبقليل من التدبر والتفكر يؤتي الترتيل المحكم ثماره، وتنفتق الأذهان عن خواطر سرعان ما تكون خُلقًا مستديمًا

وموضوع **الطاعة** يكشف عن العلاقة الروحية المتلَى، وكيف تستحيل حياة هادئة تَحتَكم إلى التواضع والحلم والصفح، فتموت المشاكل من لحظة ولادتها، وهناك إشارة إلى أطفالنا، وكيف نأى بهم عن التوتر حتى ينشئوا أصحاء معتدلي العاطفة والمزاج ونسأل الله القبول

*****

الفصل الأول

١- ولو كنت وحـــدك

٢- مقامات الســـائرين

٣- ورد المعرفـــــــــة

٤- المـــــــــــودة

١ - ولو كنت وحدك

﴿وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَن لا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَمَا لِي لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ * إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ * إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ * قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ * وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ * إِن كَانَتْ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ * يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[1]

قيّض الله لأناس رسلاً من عنده، فكذب هؤلاء القوم الرسل، ولكن رجلاً واحدًا من القوم - لا منعة له ولا قوة - أدرك علامة من علامات الإخلاص والصدق والهداية في هؤلاء المرسلين، إنها قيامهم بدعوة تحتشد عليهم الأذى دون أن يعود عليهم منها مغنم مادي، فهم لا يسألون الناس شيئًا، واستبان للرجل طريق الهداية والابتعاد عن الضلال حين فهم من دعوة المرسلين اتفاقها مع الفطرة التي تأبى أن يخضع الإنسان لغير فاطره الذي يملك وحده النفع والضر

فجاء من أقصى المدينة يسعى، تحرك الرجل وحده، لقد أدرك

---

١ - الآيات من ٢ ٣ من سورة يس

الرجل مسئوليته الفردية، لم يكن معه سوى توجه عام واضح غاية الوضوح ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ﴾

وعلى الرغم من بعده عن المرسلين، وتعذر الاتصال المباشر بهم فقد تحرك ودعا، إنه الرجل الأمة، أو الفرد المؤسسة، ذلك الذي يريد أن يكون نواة يجتمع حوله من يريد الإصلاح ﴿إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ هو وحده مؤسسة دعوية كاملة، تؤمن فتعمل، وتتحرك فتدعو، لم يدفعه تفرده للانكماش والتقوقع والانعزال، ولم يثنه تباعد الأماكن عن السعي والحركة والالتزام

ثم كانت له لحظة، وكانت لهم لحظة، لحظته خطوة واحدة من الدنيا إلى الجنة، بلغ من خفتها وسهولتها وسرعتها أن لم يرد لها وصف في الآيات الكريمات يؤخر سرعة إدراكنا لهذه الفئة اللطيفة أو يقربها بأدنى معاناة، أما لحظتهم فهي صيحة، وكأنهم أهون على الله أن ينزل عليهم جندًا أو ملائكة، ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ * إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾، وكذلك حال الطغاة، بلغت كم المهانة أن لم يتحملوا صيحة

والآيات تملي علينا واجبًا عمليًّا، وهو أن يكون كل منا أمة في رجل، أو مؤسسة دعوية في فرد، أو نواة إسلامية بين الناس في بيته، وجاره، قرب داره وبعيدًا عنه، في أقصى المدينة وفي وسطها، معنى ذلك أن يختار كل منا عملاً إسلاميًّا يجمع عليه آخرين، يكون هو نواته

*****

٢- مقامات السائرين

بين الفجور والتقوى

يقول ﷻ ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[1]

فالنفس عندها القدرة والاستعداد، لتفجُر وتكفر وتعصي وتتعند، وعندها القدرة والاستعداد بنفس القدر والإمكانية على الطاعة والتقوى والتقرب إلى الله، فالذي يزكي نفسه ويطهرها يصبح من المفلحين المؤمنين، وقد خسر من جعلها تبعد عن نور الله وطريقه

و المؤمن في سيره إلى الله يرتقي بنفسه في درجات، ويمر بها في مقامات، يقيم فيها مدة من الزمن يزكي نفسه ويطهرها، وتعتريه أحوال قد تكون عارضة تزول سريعًا أو تستمر فتتحول إلى مقام راسخ

مقامات السائرين

وأول مقامات السائرين إلى الله هو **مقام الإسلام**، يقول ﷻ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2].

ثم يرتقي درجة إلى مقام أعلى، وهو **مقام الإيمان**، يقول ﷻ: ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ

---

١ - الآيات من ٨ - ١٠، من سورة الشمس

٢ - الآية ٨٥ من سورة آل عمران

عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]

ثم يعلو إلى مقام الإحسان، يقول ﷻ ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[2]

ثم يرتقي إلى مقام التقوى، يقول ﷻ ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[3]

ثم يعلو إلى دورة مقامات الإسلام عندما يقيم قلبه في مقام الشكر، يقول ﷻ ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[4]

ولقد شرح رسول الله ﷺ تلك المقامات، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال "بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتُقِيمَ الصَّلاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً»، قَالَ صَدَقْتَ، قَالَ فَعَجِبنا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنِ

---

١ - الآية ١٤ من سورة الحجرات

٢ - الآية ٩٣ من سورة المائدة

٣ - الآية ١٧٢ من سورة آل عمران

٤ - الآية ١٢٣ من سورة آل عمران

الإيمان، قالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» قَالَ صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ، قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» [رواه مسلم، من الحديث ٩]

فجعل الله الإسلام طريقًا للإيمان، والإيمان سبيلاً للإحسان، والإحسان سببًا للتقوى، والتقوى تقود إلى الشكر، فالشكر هو قمة العبودية لله ﷻ، يقول ﷺ «أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا» [رواه البخاري، الحديث ١٠٦٢]

تلك هي المقامات الرئيسية في رحلة السير إلى الله، وعنها يتفرع الكثير من المنازل

والمنزل هو المكان الذي يؤمَّل للنزول والراحة فيه، والمقصود هنا هو نزول القلب في محلٍّ من محلات السير إلى الله ﷻ ﴿إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[1]

والمنزلة درجة من درجات تحلّي النفس والقلب بخُلُق من مكارم الأخلاق الربانية والاتصاف بصفات الجمال التي أمر الله ﷻ المؤمنين أن يتصفوا بها

واعلم أن ترتيب هذه المقامات ليس باعتبار أن السالك يقطع المقام ويفارقه وينتقل إلى الثاني - كمنازل السفر الحقيقي - فهذا محال، فكل هذه المقامات تلزمه وتنتقل معه حيث ارتحل

*****

١ - الآية ٨٩ من سورة الشعراء

٣- ورد المعرفة

هذه عشرة مواضع من القرآن الكريم تدور حول معرفة الله ﷻ، وهي بداية الطريق وسوره وعايته ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَـهَ إِلا اللَّـهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾[١].

فتعرَّف على الله من آياته وأنت ملتزم بكل آداب تلاوة القرآن، من طهارة واستقبال للقبلة واستعادة وتجرد وخشوع وتدبر

وتيقن بأن طريق معرفة الله هي كلامه، فهو ﷻ خير من يُعرِّف نفسه ﴿وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[٢]

١- ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[٣]

٢- ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾[٤]

٣- ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ * وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ

---

١ - من الآية ١٩ من سورة محمد

٢ - من الآية ١٤ من سورة فاطر

٣ - الآية ١٨٦ من سورة البقرة

٤ - الآية ٣ من سورة الأنعام

الْخَبِيرُ﴾[1]

٤- ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ * وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ * وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[2]

٥- ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ * وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3]

٦- ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[4]

٧- ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * وَلا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[5]

٨- ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ

---

١ - الآيات من ١٣ - ١٨ من سوره الأنعام

٢ - الآيات من ٦٢ - ٦٧ من سورة الزمر

٣ - الآيات ٨٤، ٨٥ من سورة الزخرف

٤ - الآيات ٣٦، ٣٧ من سوره الجاثيه

٥ - الآيات ٥٠، ٥١ من سورة الذاريات

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[1]

٩- ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[2]

١٠- ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[3]

*****

١ - الآيات من ٢٢ - ٢٤ من سورة الحشر

٢ - الآيات من ٢٧ - ٣٠ من سورة الفجر

٣ - سورة الإخلاص

٤ - المَوَدَّة

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]

الزواج آية من آيات الله ﷻ، ونعمة منه ﷻ على عباده، وعلينا أن نقف عندها ونتأمل فيها، وما الزوجة في تعبير القرآن إلا جزءٌ من روحها ﴿مِنْ أَنفُسِكُمْ﴾، فهي سكن يأوي إليه، ويرتاح عنده لعهد جديد، والله ﷻ هو الذي جعل بينهما المودة والرحمة، وهما كلمتان تصفان أعمق وأرق وأسمى المشاعر التي يمكن أن يتبادلها الزوجان

مَوَدَّة.

ليست حبًّا عنيفًا وشوقًا وهيامًا سرعان ما يطفئ مع مسئوليات الحياة، وانشغال الزوجة بالأطفال، أو مع ذهاب الجمال وانقضاء الشباب، ولكن مودة هادئة عميقة دائمة العطاء، لابد أن يشعر بها الزوج في كلمات زوجته، وتعاملها معه

ورَحْمَة:

عفو وتسامح وصبر، لا تكلف الزوجة زوجها ما لا يطيقه، بل تستعد بـ سجية من أجل راحته

هذا هو الزواج في نظر الإسلام سكن تسوده المودة والرحمة

والآن، فليسأل كل زوجين أنفسهما

هل بيتنا هو السكن الذي نشعر فيه بالمودة والرحمة؟

*****

---

١ - الآية ٢١ من سورة الروم

الفصل الثاني

١- الرفـــــــق

٢- منـــزلة اليقظة

٣- ورد الوفـــــاء

٤- الطاعـــــــة

١ - الرفق

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ * يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ * وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ * مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ * وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَلَقَدْ جَاءكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾[1]

يتدب الله ﷻ من خلقه أناسًا يدفعون الأذى عن أهل الحق، ويحتالون لدفع الناس عنهم

ومَن يريد أن يقوم هذه المهمة يتعلم من هذه الآيات أن التوصل إلى ذلك إنما يكون بسلوك مسالك شتَّى في الخطاب، وكذلك بالتقرب إلى القلوب بالنصيحة وإثارة حساسية هذه القلوب بالتخويف والإقناع معًا، ومن هؤلاء المتدبين كان مؤمن آل فرعون

إنه يمثل الحذر والمهارة والقوة معًا، فماذا بدأ؟ بدأ بتقطيع ما هم مقدمون عليه، إنها لمعلة منكرة بشعة، أن يُضطهد الإنسان ويُراد قتله

---

١ - الآيات من ٢٨ إلى ٣٤ من سورة غافر

لاعتقاد قلب أو اقتناع نفس ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ ثم كان الإعلاء من شأن الدعوة التي يحاول الملأ أن يرهصوها ﴿وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ فكان هذا دفعًا عنها وتقديرًا لطيفًا لها، يقطع مظاهر تحقيرها والهجوم عليها في وجدان السامعين، ويمهد القلوب لمزيد من الخطوات في الاتجاه الصحيح

ثم كان النصح من الداخل ﴿فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءنَا﴾ ناقش موضوعية، وتجرَّد وأنصفَ من موقع الناصح من الداخل، رجل يتكلم من نفس الحدق الذي فيه الناس، لا يشعرهم بالانفصال عنهم ولا بالمفاصلة، بل يشعرهم بأنه منهم ويريد لهم ما يريده لنفسه. ويخاف عليهم مثلما يخاف على نفسه، ويحتاط لهم مثل ما يحتاط لنفسه، حتى إذا ما شعروا أنه يتطر مصيره معهم كان التحويف والتحذير

التحويف من بأس الله، ومن مَصارع كمصارع الأمم السابقة الكافرة، ومن يوم القيامة - يوم التناد - يوم التراحم والتصايح والتناوح، يوم الفرع ومحاولة الفرار ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾

وهكذا تُرتب عليا هذه الآيات واحًا عمليًّا محددًا يمكن تلخيصه في الرفق، والرفق وإن كان صفة قلبية باطنة إلا أن له مظاهر في الممارسة والسلوك تدل عليه، ولما كانت الدعوة هي هي، وحجة الطعاة هي هي، والناس هم هم، فإنه يمكن لحامل دعوة الله اليوم أن يستفيد من هذه التربية الربانية القرآنية على الرفق فيهتدي بالقرآن كأنه يتنزل الآن ليعالج ما نحن

فليحدد كلٌّ منا لنفسه هدفًا على أن يلتزم الرفق في العمل للوصول إليه، ويستوفي النقاط التي ميزت خطاب مؤمن قوم فرعون نقطة نقطة،

ويقرن هذا الخطاب بتلاوة هذه الآيات ورواية هذه القصة لكل الناس، لو فعل ذلك لكان فعله تربية على الرفق وحملاً للدعوة

*****

٢ - منـزلة اليقظة

اليقظة هي اســرعاح القلب لروعة الانتباه من رقدة الغافلين، وهي أول منازل السالكين

والغفلة باب واسع من أبواب الشيطان، لا يدخلــه إلا الهــالكون والعياذ بالله، يقول ﷻ ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُــمُ الْغَــافِلُونَ﴾[1]، ويقــول ﷻ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[2]

غفلة القلب

ربما كان الإنسان شيطانًا مجدًّا يقظًا غير غافل في الدنيا وما يتصل بها، وهو غافل القلب عن الله وحقه، وعن تذكر الآخرة والموت، وعن تذكر جنة الله وناره، وهذا من عجائب القلب، فهو كيان مستقل في الإنسان، كيان كامل، وله حياة كاملة، وله سمع وله بصر، ويصِحُّ ويمــرض، بــل يموت والبدن حي، فالكافرون أموات بالرغم من حياة أبدانهم، يقول ﷻ في سيدنا حمزة وفي عدو الله أبي جهل اللذين كانا رفيقين في الجاهليــة، فأنعم الله على سيدنا حمزة بنور الإيمان، وظل أبو جهل يتردى في ظلمات الكفر ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[3]، فلم يحيَ إلا القلب، ولم يمــت إلا

---

١ - الآية ١٧٩ من سورة الأعراف

٢ - الآية ٣٩ من سورة مريم

٣ - من الآية ١٢٢ من سورة الأنعام

القلب

وللقلب أُذن أيضًا، يقول ﷻ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[1]، فالسمع هنا للقلب وليس للأذن، لأن الأذن قد تسمع ولا يصل ما تسمعه للقلب، كالمنافقين والعياذ بالله

وللقلب عين، يقول ﷻ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[2]، فهذا بصر آخر غير بصر العين

وهذا القلب العجيب قد تتناه عملة، فلا تفتح أمامه أبواب الخير، لأنه تركها وعمل عنها، واستغرقه متاع الحسد، وانساق في شهوات نفسه، وبَعُد عن الطريق السوي – طريق الله – وإن لم تتداركه عناية من الله ﷻ – فيهديه الله – فلا هادي له

وقد يكون الإنسان مسلمًا لا ينكر وجود الله، ولا الإيمان به، ولا الإسلام له، لكنه في غفلة تاركًا للدين معرضًا عنه، واقعًا في مصائد الشيطان، وإن لم يدركه الله برحمته قبل أن يأتيه الموت وهو غافل عن حياته الحقيقية الخالدة، غارق في الدنيا ومتاعها حتى أذنيه، فقد خسر خسرانًا مبينًا

وإذا أدركته عناية الله فإنه ﷻ يسكب في قلبه من خزائن رحمته، هذه العناية إن لم يتداركها العبد ولم يعمل من أجلها ستعتريه الغفلة مرة أخرى، ويأخذه الشيطان مرة أخرى

وعندما يتنبه القلب ويجد أنه في غضب من الله، وأنه في بُعد عن الله، وأن الموت قد اقترب منه، والران[3] قد ملأ قلبه، ورأى أن حياته كلها

---

١ – من الآية ٣٧ من سورة ق

٢ – من الآية ٤٦ من سورة الحج

٣ – الصدأ، والمقصود آثار الذنوب على القلب

تدور حول هذا البدن ومتاعه، وحياته كحياة الأنعام، فتحدث له روعة نتيجة لانتباهه وإدراكه أنه قريب من النار، وهذا الروع والخوف يضعه في قمة اليقظة والتنبه

اليقظة وحدها لا تكفي

ولكن اليقظة وحدها لا تكفي، فيجب أن تلازمها ثلاث منازل

١- منزلة العزم

٢- منزلة الفكرة

٣- منزلة البصيرة

وهذه المنازل الأربع تعتبر أساس البناء لجميع المنازل، وهي تستمر مع العبد حتى يلقى الله بقلب سليم، يقول ابن القيم - رحمه الله -

ولله ما أنفع هذه اليقظة، فمن لم يحس بها فقد أحس والله بالفلاح، وإلا فهو في سكرات الغفلة، فإذا انتبه شمّر لله همته إلى السفر إلى منازله الأولى وأوطانه التي أُسر منها .

فحيَّ على جنات عدن فإنها ... منازلك الأولى وفيها المخيَّمُ

ولكنها سبيُ العدو فهل ترى ... تعود إلى أوطانها ونسلَّمُ؟

فأخذ في أهبة السفر، فانتقل إلى منزلة العزم، وهو العقد الجازم على المسير، ومفارقة كل قاطع ومعوِّق، ومرافقة كل مُعين ومُوَصِّل.

وبحسب كمال انتباهه ويقظته يكون عزمه، وبحسب قوة عزمه يكون استعداده

فإذا استيقظ أورثت له اليقظة الفكرة، وهي تحديق القلب نحو المطلوب الذي قد استعد له محملاً، ولما يهتدِ إلى تفصيله وطريق الوصول إليه

فإذا صحت فكرته أوحت له **البصيرة**، فهي نور في القلب يبصر به الوعد والوعيد، والجنة والنار، وما أعد الله في هذه لأوليائه، وفي هذه لأعدائه، فأبصر الناس وقد حرجوا من قبورهم مهطعين - مسرعين - لدعوة الحق، وقد نزلت ملائكة السماوات وأحاطت بهم، وقد جاء الله ونصب كُرسيَّه لفصل القضاء، وقد أشرقت الأرض بنوره، ووُضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء، وقد نُصب الميزان وتطايرت الصحف، واحتمعت الخصوم، وتعلق كل غريم بغريمه، ولاح الحوض وأكوابه، وكثر العطاش، وقل الواردون، ونُصب الجسر للعبور، ولاد الناس إليه، وقُسِّمت الأنوار دون ظلمته للعبور عليه، والنار يحطِّم بعضها بعضًا تحته، والمتساقطون أصعاف أضعاف الناجين، فيفتح في قلبه عين يرى بها ذلك، ويقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة يريه الآخرة ودوامها والدنيا وسرعة انقضائها"[1] فالمطلوب أن تحوِّل نفسك من نفس غير مزكاة إلى نفس مزكاة، وأن تغير من قلبك فتجعله قلبًا سليمًا، يسلك طريقه إلى الله ﷻ، وانظر حولك إلى هذه الدنيا التي يتنافس فيها البشر ويتقاتلون عليها، ما مصيرها؟ وما مصيرك؟ إنَّ مرجعك ومرجعهم إلى الله، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾[2]

فتيقظ من رقدة الغفلة، واعزم عزمًا قويًّا يحملك على العمل الجاد الدءوب، وتفكر فيما خلقك الله له من العبادة والعمل الصالح الذي يقرِّبك منه، وانهب بصرك إلى يوم القيامة وما يحدث فيه من أهوال ثم اسأل نفسك **ماذا أعددت لهذا اليوم؟**

*****

١- الإمام ابن القيم، مدارج السالكين، المكتبة التوفيقية (١/١٢٢، ١٢٣)

٢ - الآية ٤٦ من سورة النازعات

٣- ورد الوفاء

هذه عشرة مواضع من القرآن الكريم تذكرك بعهدك مع الله

أرأيت إن كان الوفاء مع الخَلْق من أخلاق الفضلاء، فما بالك بالوفاء مع الله؟ ومع هذه الآيات عليك أن تعيش معنى الوفاء كما يريده الله منك، ونُذكِّرك أن تلاوتك لهذا الذكر لابد أن تكون على شروط التلاوة، من طهارة واستقبال قبلة، واستعاذة وتحرٍّ، وخشوع وتدبر

١- ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[1]

٢- ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[2]

٣- ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾[3]

٤- ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ *

---

١ - الآية ٤٠ من سورة البقرة

٢ - الآية ١٧٧ من سورة البقرة

٣ - الآيات من ٧٥ - ٧٨ من سورة التوبة

وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[1]

٥- ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[2]

٦- ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾[3]

٧- ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[4]

٨- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[5]

٩- ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[6]

١٠- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[7]

******

---

١ - الآيات من ١٩ - ٢٤ من سورة الرعد
٢ - الآية ٩١ من سورة النحل
٣ - من الآية ٣٤ من سورة الإسراء
٤ - من الآية ٢٣ من سورة الأحزاب
٥ - الآية ١٠ من سورة الفتح
٦ - الآيتان ١٨، ١٩ من سورة الفتح
٧ - الآيات من ٢ - ٤ من سورة الصف

٤ - الطاعة

وصف الله ﷻ المؤمنين في كتابه الكريم بقوله ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[1]، وأمر رسوله الكريم ﷺ بقوله ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[2]

ولنتأمل هذه الكلمات ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾، وهي تعبر عن لين الجانب، و ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾، وهي تحمل معنى الرحمة، والتعاطي مع الزلات، و إخلاص النصيحة، والتسامح، والعفو

فإن كانت رابطة الأخوة في الله تستحق هذا الوصف الإلهي، فما بال الكثيرات يرفضن أن تكون علاقتهن بأرواحهن نمطًا مماثلاً لعلاقة كثير من الإخوة، حتى بعد أن قال الرسول الكريم ﷺ "لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا" [رواه الترمذي، الحديث ٧٩ ١، وقال حسن غريب]

وقد صدقت الأعرابية حين بدأت نصيحتها لابنتها قائلة

[كوني له أمة يكن لك عبدًا، كوني له أرضًا يكن لك سماءً]

فالطاعة ولين الجانب محلة للهناء والسعادة، فيصبح البيت سكنًا للروحين معًا، والمخالفة المستمرة والجدال العقيم يولد الشحناء والتشاحن النفسي لكلا الروحين

وليعلم الزوجان أن أول من يدفع ضريبة التوتر النفسي هم الأطفال، ولا يظنّا يومًا أن الطفل لا يفهم ولا يتعر مما يدور حوله في المنزل من خلافات عائلية، فإن لديه إحساسًا شديدًا، خاصة في العلاقة بين أبيه

---

١ - من الآية ٥٤ من سورة المائدة

٢ - من الآية ٨٨ من سورة الحجر

وأمه

فالأطفال كقطع الإسفنج تمتص كل ما يحيط بها، وهم يرثون طبائعها وعاداتها وأساليبها في الحديث والمعاملة من خلال المعايشة والاحتكاك والقدوة

وسأل الروحة أيهما أحب إلى نفسك؟

طفلك الهادئ الليّن الذي يستمع لكلماتك ويطيعك وهو يتبسم لك؟ أم طفلك العنيد المتماكس الذي لا يطيع لك أمرًا إلا بعد شرح تفصيلي للأسباب الموجبة له، ومقدمة طويلة تشجعه فيها على لين الجانب، وخفض الجناح لك؟

ثم بدلي الآن الأدوار هل تحبين أن تكوني لزوجك دلك الطفل الهادئ المتبسم أم دلك المتماكس العنيد، ولعلك أدركت الآن معنى أن الطاعة محلها للهناء والرضى

فالسفينة التي لها قائدان لابد أن تغرق، والطاعة قد تكون سهلة في فترة الوفاق الأسري، ولكنها مطلوبة في المَنشَط والمَكرَه، أي فيما تحبين وتكرهين، ولكن في غير معصية الله ﷻ

ولن يعينك على ذلك إلا إحساسك بأنها طاعة لله قبل أن تكون طاعة لزوجك، فطاعته وسيلة، والغاية هي الجنة، وهي سلعة غالية لن ينالها إلا الصابرون

والآن أيتها الزوجة أطيعي زوجك جهد استطاعتك

*****

خاتمة

وبعد،

أدعو الله ﷻ أن يكون هذا الجزء من السلسلة قد أسهم في تيسير ما تضمنه من علوم الإسلام للمسلم المعاصر، وأن يكون قارئه قد حيى ثمرته علمًا يُنتفَعُ به، وعملاً يُقتدَى به، وأن يفيض قلبه ووجدانه بمشاعر توقظ الإيمان، وتقود المسلم إلى عبادة الله ﷻ، لا تتدارس العلم فقط ولكن تتطبيقه في واقع حياته اليومية

نسأل الله ﷻ أن يتقبل منا هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان الصالحات من أعمالنا يوم نلقاه، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين

اللهم آمين، وصَلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

جاسم الحواتمي

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا

وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم

وتزينوا ليوم العرض الأكبر

حصيلة العقل

رصيد القلب

حساب الجوارح

أولاً: حصيلة العقل

أسئلة حول سورة النبأ

اختر الإجابة الصحيحة (من الممكن أن تكون أكثر من إجابة صحيحة)

١- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾

أ	مهادا = ممهدة مسوية	ب	مهادا = مختصه
ج	أوتادًا = مرتفعة	د	أوتادًا = كونك الخيمة لتثبتها

٢- ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾

أ	أترابًا = فى عمر واحد	ب	اترابًا = بر بر وذهب
ج	كواعب = قصور ضخمه مكعبة	د	مفازا = فوزا وجاه

٣- ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا * لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلاَ كِذَّابًا﴾

ا	دهاقًا = كثيرة	ب	دهاقًا = مملوءة
ج	لغوًا = عبر المفيد من القول	د	لغوا = عباءً

٤- ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَآبًا * لابثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾

ا	احقابًا = اعداء	ب	احقابًا = أزمنة مديدة
ج	مرصادًا = تترقب العصاه والطالمين	د	مرصادا = مديدة العذاب

٥- آيات سورة النبأ

ا	مدنية	ب	مكية
ج	بعضها مكي والآخر مدني	د	نزلت قبل الهجرة

٦- ﴿عَمَّ يَتَسَاءلُونَ﴾ أسلوب استفهام يقصد به

أ	النفي	ب	التقرير
ج	الاستكبار	ـ	الدهشة

٧- سيعلم كفار قريش حقيقة البعث بعد الموت

ا	في الدنيا	ب	يوم القيامة
ج	عند الموت	د	عند استماعهم للقرآن

٨- اهتمت سورة النبأ بعرض

ا	قصص الأمم السابقة	ب	آراء المشركين ومعتقداتهم
ج	الآيات الدالة على قدرة الله	د	وقائع ما بعد الحشر

٩- المقصود بالمعصرات

أ	الكواكب	ب	السحاب
ج	الجبال	د	البحار

١٠- الملك الذي ينفخ في الصور هو

أ	جبريل	ب	هاروت
ج	اسرافيل	د	ميكائيل

١١- لن يتكلم أحد يوم القيامة بين يدي الله ﷻ

ا	لافتقاد القدرة على الكلام	ب	مطلقا
ج	الا الأنبياء	د	الا بإذن الله

١٢- ﴿يَا لَيْتَنِي﴾ أسلوب يفيد

أ	التمني	ب	العزم الصادق
ج	الندم	د	الرجاء

١٣- خلقنا الله ﷻ أزواجًا

ا	لتتمكن من قضاء شهوتنا	ب	لإعمار الكون وعبادته
ج	لنحيا في معاشرة ازواجنا	د	للسكن والمودة والرحمة

١٤- ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾

أ	بردًا = ماء باردًا	ب	بردا = شراب فارس المعروفة
ج	غساقًا = طعامًا مسمومًا	د	غساقا = قيحًا وصديدًا

ضع (أ) أمام العبارة الصحيحة و(ب) أمام العبارة الخاطئة

١٥	السوره المكية هي التي نزلت قبل الهجرة، ولو نزلت في المدينة	
١٦	الهدف الذي تسعى الأديان هو أمر البعث بعد الموت.	
١٧	الرطوبة الأساسية للحياة هي تثبيت الأرض وحمايتها من أن ترمح	
١٨	البيع الشديد يقصد به عجائب الدنيا البيع	
١٩	﴿وسقاهم أثاثاً﴾ تلك التي أعدها الله للطائعين يوم القيامة	
٢٠	﴿يوم الفصل﴾ هو يوم الجمعة لأنه يفصل ويميز المسلمين عن غيرهم	
٢١	الجنة والنار لم يُخلقا بعد، ويخلقهما الله قبل القيامة بأيام	
٢٢	المؤمنون في الجنة لا يسمعون إلا الكلام الطيب الجيد	

*****

أسئلة حول سورة النازعات

اختر الإجابة الصحيحة (من الممكن أن تكون أكثر من إجابة صحيحة)

٢٣- من وظائف الملائكة الواردة في السورة

أ	نزع الأرواح	ب	السباحة في البحار لإنقاذ الغرقى
ج	كتابة أعمال العباد	د	التسابق في الإيمان والطاعة

٢٤- علاقة فرعون بقومه كانت قائمة على

أ	الخداع المتبادل	ب	الدكتاتورية واحتراء الرأي الآخر
ج	الخداع من طرف فرعون فقط	د	الاستشارة بإدلائهم

٢٥- بلغ موسى عليه السلام رسالة الله ﷻ

أ	بالشدة والزجر	ب	بوضوح دون مداهنة
ج	بالرفق واللين	د	لكي يرحل ملك فرعون

٢٦- سبب طغيان فرعون

أ	بارق السحب عن عرشه وكرامته	ب	قوة جاهيته وجنوده
ج	الغنى والمال الوفير	د	سابق الأتباع

٢٧- ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾

أ	النازعات=ملائكة تنزع أرواح الكفار	ب	النازعات= مقدمو العارقين في الإثم
ج	غرقًا = العارقون في البحار	د	غرقًا = نزعًا شديدًا

٢٨- ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا * فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾

أ	السابقات = الخيل تسابق النار	ب	السابقات =ملائكة سباقة في الطاعة
ج	المدبرات = المأمورون والمأمورات	د	المدبرات= تدبر الكون بأمر الله

٢٩- ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾

أ	الراجفة = القلوب	ب	الراجفة = النفخة الأولى
ج	الرادفة = نوع من الملائكة	د	الرادفة = النفخة الثانية

٣٠- ﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ * أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾

أ	الحافرة = القبر	ب	الحافرة = الحياة الدنيا
ج	نخرة = حية	د	نخرة = هشة بعوده

٣١-﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى* إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾

أ	حديث موسى = التوراة	ب	حديث موسى = قصته مع فرعون
ج	طوى = اسم واد في سيناء	د	طوى = طواه الله اكرامًا لموسى

٣٢- ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾ ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾

أ	تزكى = تتطهر من الذنوب والمعاصي	ب	تزكى = تدفع ما عليك من زكاة
ج	الآية الكبرى = تحويل العصا الى حية	د	الآية الكبرى = البيواة

٣٣- ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾

أ	أشد خلقًا = أقوى	ب	أشد خلقًا = اصعب
ج	رفع سمكها = جعلها رفيعة عظيمة	د	رفع سمكها = جعل بناءها عاليًا

٣٤- ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾

أ	اغطش = أحمى	ب	اغطش = اظلم
ج	دحاها = رسها	د	دحاها = مهدها وبسطها

٣٥- ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾

أ	أرساها = انشاها وبنتها	ب	أرساها = رفعها وعلاها
ج	لكم = للمؤمنين	د	لكم = لكل الناس

٣٦-﴿غَشِيَةٌ أَوْ ضُحَاهَا﴾ تعبير يدل على

أ	طول عمر الإنسان في الدنيا	ب	قصر عمر الإنسان في الدنيا
ج	قرب مجيء يوم القيامة	د	طول الوقوف أمام الله للحساب

ضع (أ) أمام العبارة الصحيحة و (ب) أمام العبارة الخاطئة

٣٧	سورة النازعات سورة مدنية	
٣٨	النازعات، الناشطات، السابحات، السابقات، المدبرات أنواع من الملائكة	
٣٩	يتحمل فرعون وحده دون قومه المسئولية كاملة على طغيانه وكفره	
٤٠	أمر موسى عليه السلام بأن يخاطب فرعون مخاطبة سديدة حتى يرتدع	
٤١	لولا عصمة الجماهير وانقيادها للطاغية، ما استطاع أن يتجبر ويطغى	
٤٢	لم يطلع الله أحدًا من خلقه على موعد قيام الساعة إلا النبي ﷺ	
٤٣	حجم الدنيا بالنسبة للآخرة كساعة من ليل أو نهار	
٤٤	عالمة الهوى، سبيل إلى رضى الله ﷻ ودخول الجنة	

*****

أسئلة حول السيرة

اختر الإجابة الصحيحة (من الممكن أن تكون أكثر من إجابة صحيحة)

٤٥- سبب حب السيدة حليمة السعدية للرسول ﷺ:

أ	يتمه	ب	انتشار الخير على قدومه
ج	العطاء الجزيل الذي تأخذه من أبي طالب	د	جمال خلقته

٤٦- فتور الوحي يعني:

أ	موته	ب	انقطاعه
ج	استمراره	د	ضعفه

٤٧- ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾

أ	دليل على خصوصية الدعوة	ب	العهود هنا الأولويه للدعوه
ج	دليل على خصوصية الدعوة	د	للاستعانه بهم في نصره الدعوة

٤٨- عدم دعاء الرسول على قومه عامة يُعلّمنا:

أ	الرضا بالأمر الواقع	ب	الرعية الأكيدة في هدايتهم
ج	سيطره الحزن واليأس عليه	د	الأدب مع الله ﷻ

٤٩- هاجر الصحابة ﷺ إلى الحبشة

أ	فرارا من الإيذاء	ب	لدعوه النجاشي للإسلام
ج	حفاظا على الدعوه	د	استجابه لأمر الرسول ﷺ

٥٠- عام الحزن

أ	العام العاشر من البعثه	ب	العام الياس من البعثه
ج	توفي فيه ابو طالب والسيده خديجه	د	العام الياس للهجره

٥١- رحلة الإسراء والمعراج كانت

أ	في العام الرابع من الهجرة	ب	في العام الرابع من البعثة
ج	في العام العاشر من البعثة	د	بعد وفاة السيده خديجة

٥٢- بايع الأنصار رسول الله ﷺ بيعة العقبة الأولى على

أ	عدم الشرك بالله	ب	قتال قريش
ج	عدم السرقه والزنى	د	أن يحموه في المدينة

٥٣-انقطع الوحي عن النبي ﷺ بعد المرة الأولى

أ	تشويقا له وتربيه	ب	حتى يشفى من مرضه
ج	حتى يبلغ الآيات الأولى	د	حتى يذهب منه الخوف

٥٤- اهتم ﷺ أول ما اهتم في دعوته

أ	بالتدريب على الجهاد	ب	نشر العقيدة في النفوس
ج	بدعوة الكبراء والأغنياء	د	بدعوة الأقربين

٥٥- أول ما قام به ﷺ في المدينة

أ	المعاهدة مع اليهود	ب	المواخاة بين الأوس والخزرج
ج	بناء المسجد	د	تحرير جيش لحرب قريش

٥٦- جعل الله ﷻ نبيه ﷺ يشأ يتيمًا

أ	دليلاً على فضل اليتيم	ب	حتى لا تصرفه أنواء عن الدعوة
ج	ليرى فيه العطف والرحمة	د	ليعود على التعب والمشقة

٥٧- كان الابتلاء والتعذيب للمسلمين الأوائل

أ	لنشر الصادق من الكاذب	ب	لأنها سنة الله في الدعوات
ج	عقابًا لهم على تعجلهم النصر	د	لتدريبهم على الجهاد

٥٨- أول من استشهد من المسلمين في مكة

أ	السيدة خديجة	ب	السيدة سمية
ج	السيدة حليمة	د	السيدة ثويبة

ضع (أ) أمام العبارات الصحيحة و(ب) أمام العبارات الخاطئة فيما يلي.

٥٩	كانت بعثة محمد ﷺ مفاجأة لأهل الملل والأديان الأخرى حيث لم تذكرها كتبهم	
٦٠	بين بعثة عيسى عليه السلام وبعثة محمد ﷺ قرنان من الزمان	
٦١	يرجع نسب رسول الله ﷺ الى بني هاشم ، أشرف عائلات قريش	
٦٢	امضى الرسول ﷺ الخمس سنوات الأولى من عمره في مكة تحت رعاية جده عبد المطلب	
٦٣	تكررت حادثة شق الصدر للنبي ﷺ مرتين مرة وهو طفل بالبادية، والأخرى قبيل رحلة الإسراء والمعراج	
٦٤	حاول جد النبي ﷺ وعمه كسب مظاهر المحبة عند النبي ﷺ في صغره، خوفاً عليه من حسد الحاسدين	
٦٥	اعتمد النبي ﷺ في شبابه على تزود جده، فلم يرهق نفسه بالعمل وتصرع للتفكر	
٦٦	عمل النبي ﷺ في رعي الغنم لأهل مكة ثم اشتغل بالتجارة	
٦٧	كان النبي ﷺ يلجأ الى الخلوة في غار حراء هربًا من اغراء الحياة وسوء أخلاق الناس	
٦٨	أول ما نزل من القرآن قوله ﷻ ﴿يا ايها المدثر * قم فأنذر﴾	
٦٩	آمن ورقة بن نوفل بالإسلام ، وناصر النبي ﷺ حتى توفي قبيل الهجرة	
٧٠	كان المشركون يؤذون المسلمين دون النبي ﷺ خوفًا من دعائه عليهم	
٧١	لجأ المشركون الى أسلوب المقاطعة للضغط على المسلمين لتتخلوا عن دينهم	
٧٢	امر الرسول ﷺ المسلمون الاوائل بكسر الأصنام التي حول الكعبة بكناية لى المشركين	
٧٣	حقد الرؤساء والزعماء ، واعتراض العلماء المزيفين ، واثاره السفهاء حول الدعوة، واضطهاد حاملها من سُنن الله ﷻ في الدعوات	
٧٤	لم تكن الهجرة تضحية بالوطن، لكنها كانت ادراكًا ان الدين إذا فقد لم يعد من ورائه الوطن والمال	
٧٥	حمى الله ﷻ لأبي طالب - عم النبي ﷺ - حراء له عا ه للنبي	
٧٦	يعتمد أهل الباطل على السفهاء والحيله في اثناء دعاة الحق	
٧٧	ما من محنة الا ومعها منحة، لذا فمحن تفتش عن المنحة لى داخل المحنة	
٧٨	فرض الله ﷻ العفاء على المسلمين خمسا في العمل وخمسين في الأجر	
٧٩	لا يدخل النار الا من كانت حسناته أقل من عُشر سيئاته	
٨٠	كان ﷺ واضحا صريحًا في طلب المنعة من القبائل ليتمكن من تبليغ الدعوة	
٨١	وعد الرسول ﷺ الانصار الذين بايعوه بيعة العقبة الكبرى بأن يوليهم الإمارات في حاله انتصار الإسلام وسيادته	

٨٢	استباح رسول الله ﷺ مال صاحبه أبي بكر ، لأن الإسلام جعل أموال المجهود تحت تصرف القادة	
٨٣	تستطيع الدعوة الفردية أن تضاعف أنصار الحق في زمن وجيز	
٨٤	كان للمرأة دور هام في رحلة الهجرة الى المدينة ، تمثل في اسماء بنت ابي بكر	
٨٥	لم يدخر رسول الله ﷺ من أمر الهجرة شيئاً، وترك الأسباب اعتمادا ، وتوكلا على الله	
٨٦	ماء عامر بن فهيرة يدخر ، كالماء والاصطبار اثناء الهجرة	
٨٧	استعان رسول الله ﷺ بدليل من المشركين يرشده الى الطريق في رحلة الهجرة	
٨٨	النسب الكريم والمكانة الاجتماعية كانا سببا في احجام الناس الى دعوة الرسول ﷺ	
٨٩	كانت بيعة العقبة الأولى نصت على أمور محددة تتعلق بالمسئولية الشخصية	
٩٠	كانت بيعة العقبة الكبرى نواة لتكوين الدولة المسلمة في المدينة	
٩١	الحرص على سلامة الدعوة مرتبط بالحرص على سلامة أفرادها	
٩٢	كانت السيدة خديجة هي أول من أرضعت النبي ﷺ	
٩٣	عرضت السيدة خديجة على النبي ﷺ أن يتزوجها عن طريق صديقة لها	
٩٤	بعد رسول الله ﷺ في غار ثور قبل البيعة لعمر نفسه وتركي	
٩٥	قام أبو جهل بوضع سلى الجزور على ظهر النبي ﷺ وهو يصلي	
٩٦	لم يَدْعُ النبي ﷺ على أحد من المشركين رحمة ورأفة بهم	

*****

أسئلة حول الفقه

اختر الإجابة الصحيحة (من الممكن أن تكون أكثر من إجابة صحيحة)

٩٧- اذا تغير الماء بطول مكثه فيره دون استعمال يكون

أ	مطلقًا	ب	مستعملاً
ج	صالحًا للتطهير به	د	غير صالح للتطهير به

٩٨- الماء المطلق

أ	طاهر في نفسه غير مطهر لغيره	ب	غير طاهر في نفسه مطهر لغيره
ج	طاهر في نفسه مطهر لغيره	د	هو ماء البحر والنهر والبئر

٩٩- الماء المستعمل من أعضاء المتوضئ والمغتسل

أ	طهور غير مطهر	ب	نجس
ج	طهور مطهر	د	يصلح للشرب دون الطهارة

١٠٠- المشركون

	سؤرهم نجس يجب التحلص منه	ب	سؤرهم طاهر يجوز شربه
ج	نجاستهم معنوية	د	نجاستهم حسية

١٠١- اذا بقي ماء، وقعت فيه كمية من الدقيق، لم تغير صفاته

أ	يجوز الشرب منه دون الوضوء	ب	يجوز الشرب منه والوضوء
ج	لا يجوز الوضوء منه	د	تُفصل الدقيق ثم يستعمل الماء

١٠٢- اذا شرب منه حمار

أ	يجوز الشرب منه والوضوء	ب	لا يجوز الشرب منه ولا الوضوء
ج	يجوز الشرب منه دون الوضوء	د	يجوز الوضوء منه دون الشرب

١٠٣- من السؤر النجس

أ	سؤر الكلب	ب	سؤر المرأة الحائض
ج	سؤر الخنزير	د	سؤر شارب الخمر

١٠٤- الميتة من النجاسات، ما عدا ميتة

أ	الدباب والنمل والنحل	ب	المذبوح على الشريعة الإسلامية
ج	الإنسان	د	السمك والجراد

١٠٥- من الدماء النجسة

أ	نـــزف الأنف	ب	دم الحمص
ج	دماء الخروج الشديده	د	دم الدجاجه المسموح

١٠٦- وحل سقط على ثوبه ماء، لا يدري أطاهر أم نجس

أ	يجب عليه أن يتحقق من مصدر الماء	ب	يغسل ثوبه ثم يصلي فيه
ج	لا يجب عليه التحقق من طهارته	د	يصلي في ثوبه صلاة واحده

١٠٧- وقع فأر ميت في سمن متجمد

أ	ينتفع به لان النار تحاسته معفوه	ب	يزال الفأر وما حوله وينتفع بالباقي
ج	لا يجوز استعماله	د	يجوز استعماله في غير الطعام

١٠٨- من آداب قضاء الحاجة

أ	عدم الكلام مطلقاً	ب	عدم الكلام إلا بذكر الله
ج	استدبار القبلة	د	البعد عن الأماكن المظلمة

١٠٩- جلد الميتة وشعرها

أ	يطهر بالدباغ ويجوز استعماله	ب	نجس لا يجوز استعماله
ج	يجوز استعماله مع الكراهة	د	لا يجوز استعماله في الملابس

١١٠- من نجاسة على موضع النجاسة في ثوب

أ	لا يلبسه أبدًا	ب	يغسله كله
ج	مجتهد في معرفتها	د	يصلي فيه مرة واحدة

*****

أسئلة حول حصاد الفكر

اختر الإجابة الصحيحة (من الممكن أن تكون أكثر من إجابة صحيحة)

١١١- الدين هو

	ما جاء من عند الله بواسطة نبي	ب	أي عقائد عتيقها الدهر
ج	الإرشاد بالله معين	د	ليس له تعريف محدد

١١٢- الكافر هو

أ	من لا يؤمن بوجود الله	ب	من لا يؤمن بأي إله
ج	من ليس له دين	د	من لا يؤمن بالإسلام

١١٣- جاءت كلمة دين بمعان عديدة في القرآن، منها

ا	المحاسبة	ب	الجزاء
ج	نظام الحياة	د	الجهاد

١١٤- المتدين - بشكل مطلق - هو-

ا	الذي يلتزم بصحيح الله ﷻ	ب	الذي يؤدي الفرائض
ج	الذي يخضع نفسه لأي نظام مهما كان	د	الذي ينطق بالشهادتين ويعمل بهما

١١٥- دين الله أولى بالاتباع من أفكار البشر

أ	لأنه يمنح الناس كرامة مساوية	ب	لأنه شرًا من الهوى
ج	لأنه يتماشى مع نظام الكون	د	لأن البشر قال ذلك

١١٦- لكي يقام الدين يجب أن

أ	تتوافر القوة المادية أولا	ب	تكون له قوة تحميه
ج	يحافظ على دين الله ﷻ	د	يتنازل عن بعض من خطوطها

١١٧- إن قصّرت الفئة التي تحمل الدين

أ	أهلكها الله ﷻ	ب	استخلف الله ﷻ
ج	عرضت نفسها للخسارة	د	حكم عليها بالكفر

١١٨- المعنى الحقيقي للعلمانية

أ	فصل الدين عن الحياة	ب	الاعتماد على العلم فقط
ج	الدنيوية	د	اللادينية

ضع (أ) أمام العبارة الصحيحة و(ب) أمام العبارة الخاطئة

١١٩	الكافر هو الذي لا دين له	
١٢٠	القرآن يدل على ان الدين هو الاستعار على الإيمان بكتب سماوى محدد	
١٢١	﴿إن الدين لواقع﴾ تعني ان عقيدة الإسلام ستعم وتصير امرا واقعًا	
١٢٢	الدين في ﴿وإن الدين لواقع﴾ تعني أن الجزاء بالثواب والعقاب سكون وسقع	
١٢٣	الدين في ﴿مالك يوم الدين﴾ تعني المحاسبة	
١٢٤	الدين في ﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾ تعني عبده الملك وملّكه	
١٢٥	الدين في ﴿ما كان لأخذ أخاه في دين الملك﴾ تعني نظامه وقانونه	
١٢٦	الفئة التي حمل الدين من واجبها أن تُفرّغ نفوسها من خطوطها	
١٢٧	نسب العلمانية الى العلم وليس إلى العالم	
١٢٨	دعاة العلمانية في الشرق يعرفونها بأنها النظام اللادينى	

*****

ثانيًا: رصيد القلب

اختر الخانة التي توافقك

أ = دائمًا ب = عادةً ح = أحيانًا د = نادرًا هـ = لا (أبدًا)

في رحاب التفسير – من حصاد الفكر

		أ	ب	ح	د	هـ
١	تشتاق نفسي لنعيم الآخرة كلما ملأت في دنياي مشقات					
٢	استشعر هوان شأن الفرد من البشر في هذا الكون الفسيح					
٣	حضوري مشاعر من يُعرض عليه الجحيم إذا رأيت نارًا وقدة					
٤	لا أحزن من نسمة المناصب الدنيوية المنغصة للحياة (دنيا)					
٥	أشعر أن العادات والتقاليد غير الإسلامية تنافس الدين					
٦	أرعى مواريث الإسلام وأرفض الأخرى وأعتبرها في تنافس					
٧	أشعر أنه لا يوجد مخلوق يصلح لضياعة صحيح حياة لغيره					
٨	شعوري بالمساواة مع الآخرين يدفعني لرفض الانقياد لفكرهم					
٩	أكره منح إنسان حق ضياعة الحياة بفكره، فذلك من السيادة					
١٠	لا أطمع في أن أسود على الناس بضياعة الحياة بفكري					
١١	أحب أن تتساوى كرامتي وكرامة غيري تخضعنا معًا لله ﷻ					
١٢	أُحَمِّل نفسي والمسلمين مسئولية عدم سيادة الإسلام حالًا					
١٣	أشعر أن تقصيري وأمثالي سبب من أسباب تأخر سيادة الإسلام					
١٤	يؤلمني اضطهاد المسلمين العاملين لرفعة الإسلام					

رياض الحكمة – الحياء – المشارطة – الموت

		أ	ب	ح	د	هـ
١٥	أخاف من الحساب في الآخرة					
١٦	أتمنى أن تكون قبري روضة من رياض الجنة					
١٧	أُقبل على الالتحاق بحلقات الذكر والعلم					
١٨	احمل شعب وسط اصدقاء صبوني وزاد الروضة مرضي					
١٩	يطمئن قلبي ويرتاح كلما ارتدت روضة من رياض الجنة					
٢٠	أخاف من تسلب قلبي إذا تخلفتُ عن روضة من رياض الجنة					
٢١	احتسب عند الله ما يفسده أطفال مسؤولي في بيتي					
٢٢	أحب الحياء لفضله بالإيمان، أكثر من كونه خلقًا حسنًا					
٢٣	اشعر ان الفعل صواب إذا لم يخدش الحياء					
٢٤	أخاف أن تكون التفريط في الحياء بداية تردٍّ وهلاك					
٢٥	اتمنى الفردوس الأعلى، وليس الجنة فقط					
٢٦	اشعر بتسرب عمري وناقص ما ينفعني					
٢٧	أستشعر ان كل باب لجهنم ينتظر العاصي لخارجة من السبع					
٢٨	لا يصاحبني ذكر الموت ولا الذكرة به					
٢٩	أشعر بالشوق الى الجنة					

بداية رباية – كف الأذى – المراقبة – القيامة

		أ	ب	ح	د	هـ
٣٠	أستشعر أني أكلم الله ﷻ حين ادعوه					
٣١	أحشى إيذاء جيراني خوفا من أن ينقص ذلك من إيماني					
٣٢	أستشعر في خلوتي مع نفسي أن الله ﷻ يراني					
٣٣	أسرف في عملي ما هو لله مما هو لنفسي وهواي					
٣٤	أشعر أني مراقب في أعمالي وأستحيي ممن يراقبني من الملائكة					
٣٥	أشعر أنه لا شيء يُهمل، وكل ما يحدث له جزاء يوم القيامة					
٣٦	يطمئن أن كل ظالم سيحاسب يوم القيامة					
٣٧	أستشعر كأن الله ﷻ يكلمني حين أقرأ القرآن					

تقة وطيدة – إماطة الأذى – المحاسة – النار

		ا	ب	ح	د	هـ
٣٨	اشعر مرابطة مسة ترمطني برفاهي في رياض الحمه					
٣٩	انا لم لأم اي من رُواد الروضه					
٤٠	أرتاح لمصارحة حلساني في الروضة بمشاكلي الشخصة					
٤١	اسعد إذا استدتُ لحل مسكله احد، وان اسهلك ذلك وقتا					
٤٢	أسعر اني بتعريجي كرب احد أدحر بذلك لسبي فرحًا عند الله					
٤٣	طبعي في المعترة هو الذي يجعلي امط الأذى					
٤٤	أطلب ثواب الصدقة في إماطة الأذى					
٤٥	اشعر كلما اقبلت على اليوم ان نفسي قد لا تعود إلى الحياه					
٤٦	أسعر كلما اسيقظت أني أُمنحُ فرصة جديدة في الحياة					
٤٧	اسعر حساره كبيره ان فاتني فرصٌ فرصه الله عليّ					
٤٨	أحزن إذ وجدت نفسي لم ترد في عمل اليوم عن الأمس					
٤٩	يعتريني شعور أني موجود في هذه الدنيا بصدة مؤقتة					
٥٠	تعتريني خوف من دخول النار في الآخره					
٥١	أستشعر قوة تقتي في رفاهي رواد الروضة					

الأحر للعاملين – ترك الجدل– التوبة – الحمة

		أ	ب	ج	د	هـ
٥٢	يدفعني للعمل حوفي من الندم يوم البعث على تضييع الفرصة					
٥٣	كُرهي لان أوصف بأني كالأنعام يدفعني لربط العلم بالعمل					
٥٤	أمرض الصواب في رأي الآخرين، والخطأ في رأيي					
٥٥	أخشى الضلال اذا تماديت في الجدل مثلما حدث للأمم السابقة					
٥٦	لا اتعصب للفتوى الشرعية التي أعمل بها في الامر المختلف فيه					
٥٧	اطمع في يوم في الجنة ثوابًا لتركي الجدل والمراء					
٥٨	[illegible]					
٥٩	يلومني نفسي عندما افعل دنبا كانشغلي في صوره					
٦٠	اتمنى لو اني لم أرتكب الذنب					
٦١	تلومني نفسي عند العود للذنب، فأجدد العزم على تفاديه					
٦٢	لا أتعمد ارتكاب ذنب تستحي عنه قبل ذلك، ولا أضعف أمامه					
٦٣	اتمنى لو اني أستطيع الإقلاع عن الذنب المكرر					
٦٤	أطمع في الفردوس الأعلى					
٦٥	يلومني بطمس الى تحقيق العدل في النهاية					
٦٦	أحاسب اذا أعذب في النار اذا خالف فعلي علمي					

*****

حصيلة العقل

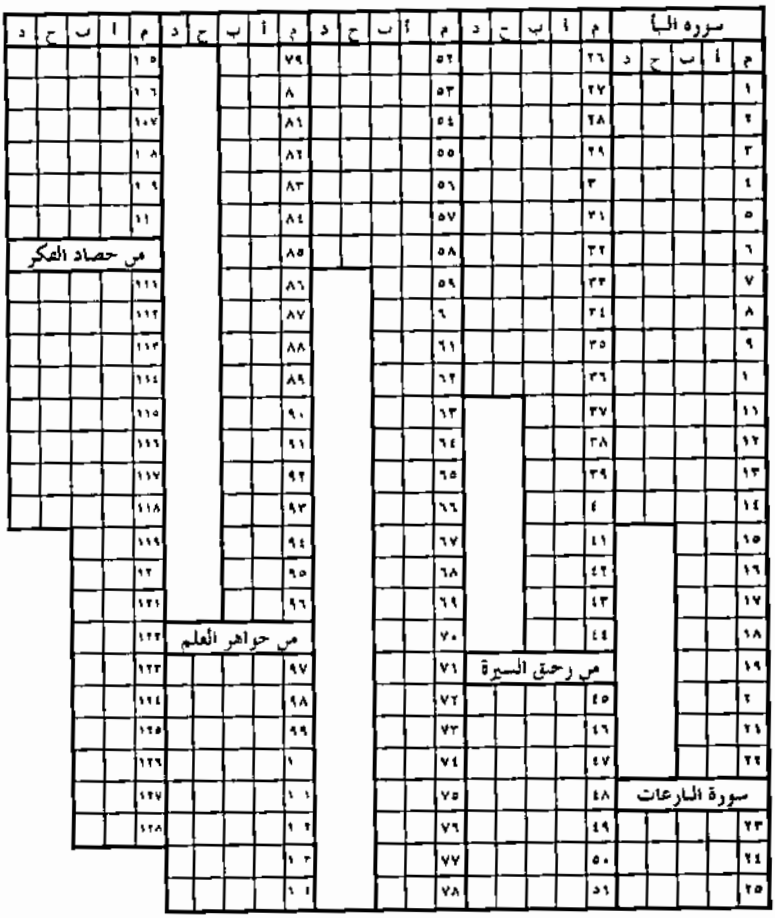

احسب درجة لكل إجابة صحيحة، وصفراً للاجابة الخاطئة، ثم اجمع درجاتك، فإذا حصلت على أكثر من ١٥٠ فحصيلة عقلك ممتاز، أما ان كانت درجاتك أقل من ٩٠ فحصيلة عقلك ضعيفة

رصيد القلب

م	ا	ب	ج	د	هـ
١					
٢					
٣					
٤					
٥					
٦					
٧					
٨					
٩					
١٠					
١١					
١٢					
١٣					
١٤					

لي رحاب التفسير حصاد الفكر

م	ا	ب	ج	د	هـ
١٥					
١٦					
١٧					
١٨					
١٩					
٢٠					
٢١					
٢٢					
٢٣					
٢٤					
٢٥					
٢٦					
٢٧					
٢٨					
٢٩					

رياض الجنة – احياء – المسارطة – الثروب

م	ا	ب	ج	د	هـ
٣٠					
٣١					
٣٢					
٣٣					
٣٤					
٣٥					
٣٦					
٣٧					

بداية ونهاية – كف الأذى – الراقبة – الكتابة

م	ا	ب	ج	د	هـ
٣٨					
٣٩					
٤٠					
٤١					
٤٢					
٤٣					
٤٤					
٤٥					
٤٦					
٤٧					
٤٨					
٤٩					
٥٠					
٥١					

التعة الوحيدة – إماطة الأذى – الحاسبة – النار

م	ا	ب	ج	د	هـ
٥٢					
٥٣					
٥٤					
٥٥					
٥٦					
٥٧					
٥٨					
٥٩					
٦٠					
٦١					
٦٢					
٦٣					
٦٤					
٦٥					
٦٦					

الأجر للعاملين – نزل الخذل – التوبة – الحمة

احسب لكل (أ) ٥ درجات، ولكل (ب) ٤ درجات ولكل (ح) ٣ درجات ولكل (د) درجتين، ولكل (هـ) صفرًا، فاذا حصلت على أكثر من ٢٨٠ فرصيد قلبك نمار، وإن حصلت على أقل من ١٦٥ فالرصيد منخفض

حصيلة العقل

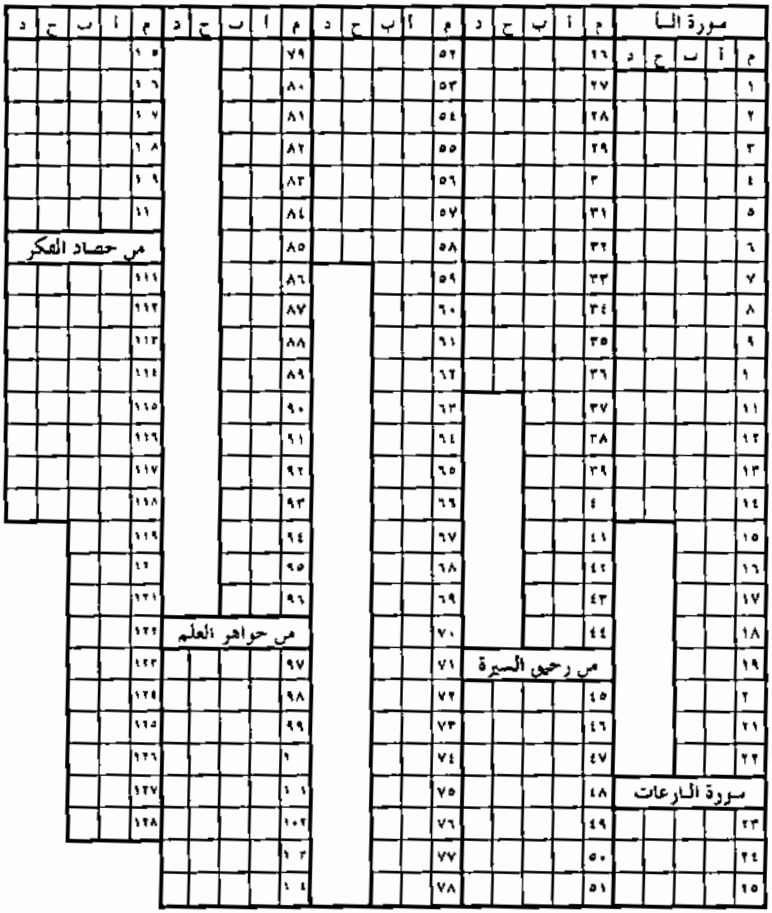

احسب درجة لكل إجابة صحيحة، وصفرا للإجابة الخاطئة، ثم اجمع درجاتك، فإذا حصلت على أكثر من ١٥٠ فحصيلة عقلك ممتازة، اما إن كانت درجاتك أقل من ٩٠ فحصيلة عقلك ضعيفة

رصيد القلب

ل وحاف الفضيلة حساد الفكر						رياض الجنة – احياء – المشاطرة – الموت						بداءة ريانة – كف الأذى – المواظبة – الصلاة						الشدة الرطبة – إماطة الأذى – المحاسبة – النار						الأجر للعاملين – ترك الجدل – الموت – الجنة					
م	أ	ب	ج	د	هـ	م	أ	ب	ج	د	هـ	م	أ	ب	ج	د	هـ	م	أ	ب	ج	د	هـ	م	أ	ب	ج	د	هـ
١						١٥						٣						٣٨						٥٢					
٢						١٦						٣١						٣٩						٥٣					
٣						١٧						٣٢						٤٠						٥٤					
٤						١٨						٣٣						٤١						٥٥					
٥						١٩						٣٤						٤٢						٥٦					
٦						٢						٣٥						٤٣						٥٧					
٧						٢١						٣٦						٤٤						٥٨					
٨						٢٢						٣٧						٤٥						٥٩					
٩						٢٣												٤٦						٦٠					
١٠						٢٤												٤٧						٦١					
١١						٢٥												٤٨						٦٢					
١٢						٢٦												٤٩						٦٣					
١٣						٢٧												٥٠						٦٤					
١٤						٢٨												٥١						٦٥					
						٢٩																		٦٦					

احسب لكل (أ) ٥ درجات، ولكل (ب) ٤ درجات، ولكل (ج) ٣ درجات، ولكل (د) درجتين، ولكل (هـ) صفرا، فإذا حصلت على أكثر من ٢٨٠ فرصيد قلبك ممتاز، وان حصلت على أقل من ١٦٥ فالرصيد سيحتض

إجابات حصيلة العقل

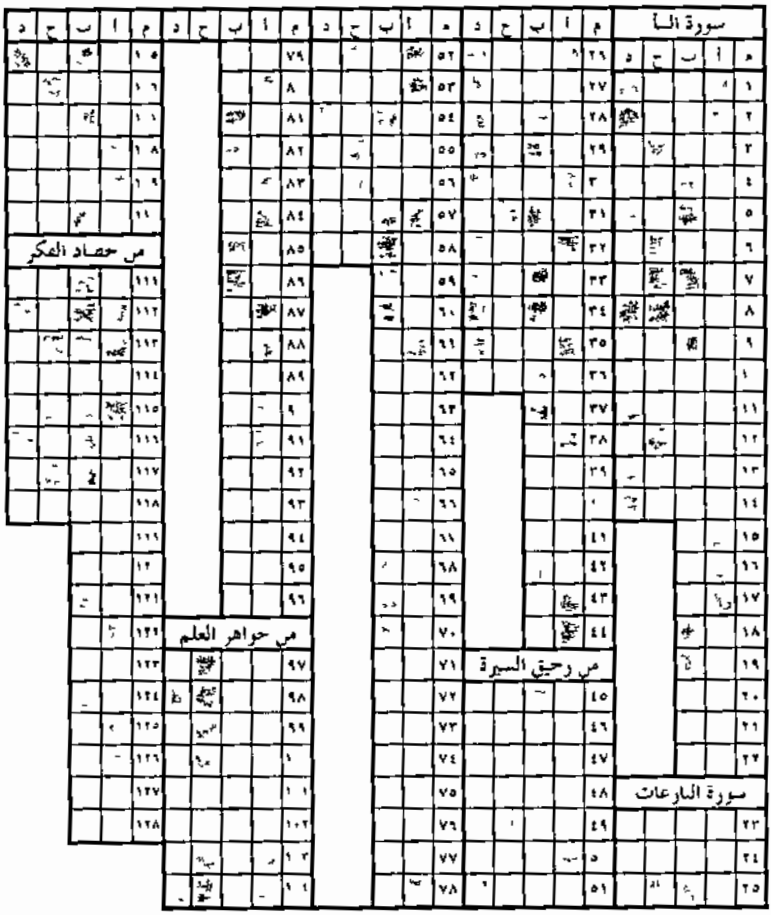

احسب درجةً لكل اجابة صحيحة، وصفراً للإجابة الخاطئة، ثم اجمع درجاتك، فإذا حصلت على أكثر من ١٥٠ فحصيلة عقلك ممارة، أما ان كانت درجاتك اقل من ٩٠ فحصيلة عقلك ضعيفة

ثالثًا: حساب الجوارح

اختر الخانة التي توافقك

أ = دائمًا ب = غالبًا ح = أحيانًا د = نادرًا هـ = لا (ابدًا)

في رحاب التفسير

		أ	ب	ح	د	هـ
١	أسرح كيف تتفق الإيمان بالآخرة مع التفكير السليم					
٢	أشعر معي أن الجزاء في الآخرة هو الذي جعل للدنيا قيمة					
٣	أتفكر يوميًا في نعمة من نعم الله ﷻ عليّ					
٤	أذكر من حولي بنعم الله ﷻ					
٥	أنصب بطرِ جلساتي إلى عظيم قدرة الله ﷻ					
٦	اعتبر كل فرصة لأذكر من معي بأن الحساب لا مفر منه					
٧	أتبين لمعارفي أن الخاسرين سيندمون سيتمنون ان يصيروا ترابًا					
٨	أنصت كل مستضعف مظلوم بأن الله ﷻ سيجازي كل ظالم					
٩	أتحدث برواية قصة أحد فرعون أن الله ﷻ يمهل ولا يهمل					

من حصاد الفكر

		أ	ب	ح	د	هـ
١	أعبّر عن معنى الدين بتغير القرآن وليس بتعريف الناس له					
١١	انقل تعريف كلمة (دين) لمعارفي					
١٢	أخبر من حولي حقيقة أن الكافر له دين فعلًا					
١٣	أحطئ من يقول إن الكافر لا دين له					
١٤	أبين لمعارفي مناقضة العادات والتقاليد للدين في احد جوانبه					
١٥	أبين للناس إزاحة القانون البشري لحكم الإسلام المناطر					
١٦	أرفض أي اتفاق على شرط يخالف القرآن الكريم والسنة					
١٧	أوصل لمن حولي فكرة أن دين الله ﷻ أولى بالاتباع					
١٨	اعلم من اعترف ان وضع منهج حياة للبشر أمر يخص الله وحده					
١٩	أظهر لمعارفي عدم تجرد الذين يُشرّعون من دون الله					
٢	اقارن بوافق الشريعة مع نواميس الكون تتصادم معها معها					
٢١	أصارح الناس بأن جهدنا ضروري لإقامة الإسلام في الأرض					
٢٢	اعاتب وأحطئ من ينتظر أن يعزّ الله دينه بدون جهد أهله					
٢٣	أستغفر الله لأن تقصيري ساهم في تعطيل قيام دوله الإسلام					
٢٤	أدعو الله أن يحفظ ويرفق من يعمل لرفع شان الإسلام					
٢٥	اشرح للناس حقيقة العلمانية والخدعة في تسميتها					
٢٦	أحذر من المشاركة في تكفير العصاة					

رياض الجنة – الحياء – المشارطة – الموت

		أ	ب	ح	د	هـ
٢٧	أدعو الله أن يدخلني الجنة بغير حساب					
٢٨	أرغب الناس في الجنة وأعيسها					
٢٩	أحبر معاوني أن القبر إما روضة من الجنة وإما حفرة من النار					
٣٠	ادعو الله ان ينجيني من عذاب القبر وأسأله نعيمه					
٣١	أشرح لمعيري أنواع رياض الجنة الأربع					
٣٢	أسعى لاستضافة روضة من رياض الجنة					
٣٣	ادعو غيري لارتياد روضة من رياض الجنة					
٣٤	أعرّف غيري بمعنى الحياء					
٣٥	ألتزم بأن يكون ضحكي تبسمًا دون صوت					
٣٦	أغض بصري تديّنًا وحياء					
٣٧	أدعو غيري لتصرّف بحرس الحياء					
٣٨	ادعو معاوني من النساء لتحري شراء الزينة الخاصة من نساء مثلهن					
٣٩	أحرص معاوني على طلب الفردوس الأعلى من الجنة					
٤٠	اشترط على نفسي كل صباح الحرام طاعته أو طاعات محددة					
٤١	أذكر نفسي بأن أبواب جهنم سبعة وجوارح الإنسان ستة					
٤٢	أذكر في نفسي الموت الذي لا مفر منه					
٤٣	اذكر لغيري فوائد ذكر الموت وأحرضه على ذكره					

بداية رمانية – كف الأذى – المراقبة – القيامة

		أ	ب	ح	د	هـ
٤٤	أبدأ أعمالي بذكر الله ﷻ					
٤٥	أدعو معاوني لبدء أي عمل بذكر الله					
٤٦	أدعو الله في أعمالي كلها أن يتقبلها وان يجعلها خالصة له					
٤٧	أدعو لمن أحب بطهير العيب					
٤٨	أستحضر صور اقراني ورفاقي وأدعو لهم بطهير العيب					
٤٩	ادعو للإسلام دعوة خير في نفسي					
٥٠	أدعو للمخلصين لهذا الدين دعوة خير في نفسي					
٥١	أحرص معاوني على الدعاء للإسلام ودعاته					
٥٢	أبين للناس معاني الإيذاء المادية والمعنوية					
٥٣	أتصدق بكف أذاي عن المسلمين					
٥٤	أحذر غيري من إيذاء الحيوان لعلمي أن ذلك يحرم من دخول الجنة					
٥٥	أضبط لساني في كل كلامي					
٥٦	أحسن عملي عندما أتنبه إلى ان الله مُطّلع عليه					
٥٧	أبين لغيري معنى المراقبة في (الطاعات – المباحات – المعاصي)					
٥٨	أذكر لغيري تساوي الناس في الموت وتمايزهم يوم البعث					

ثقة وطيدة – إماطة الأذى – المحاسبة – النار

		أ	ب	ج	د	هـ
٥٩	أذكّر نفسي ورواد الروضة باستعاذتنا القلبية قبل العلمية					
٦٠	أصارح جلسائي في الروضة بمشكلتي الشخصية					
٦١	أعاون من يقع في مشكلة من رفاق الروضة في حل مشكلته					
٦٢	أدعو لمن يقع في مشكلة إن لم أستطع معاونته فيها حتى يتم حلها					
٦٣	أشجع غيري على تعريف كرب المكروب الدعاء بالرسول ﷺ					
٦٤	أحفظ سر المكروب أو صاحب المشكلة ولا أذيعه					
٦٥	أحرص غيري على حفظ سر من ائتمنه على سره					
٦٦	أحب من أعرف تفعيل إماطة الأذى وتوابه عند الله					
٦٧	أتصدق عن نفسي بإماطة الأذى					
٦٨	أحرص على تطهير شعري وشعر أولادي دوريا					
٦٩	لا أغادر دورة المياه حتى أزيل ما يؤذي غيري					
٧٠	أشجع معارفي على تطهير سراويلهم وأماكن أعمالهم					
٧١	أذكّر غيري بأن الموت والحياة يعاقبان يوميًا على الإهمال					
٧٢	أراجع عملي بعد كل صلاة وأستغفر للتقصير					
٧٣	أتذكر نار الآخرة كلما تعرضت للهب من نار الدنيا					
٧٤	أستعيذ من خبث الأيام الخبيثة					
٧٥	أخوّف معارفي وصحبي من دخول النار					

الأحر للعاملين – ترك الجدل – التوبة – الحكمة

		أ	ب	ج	د	هـ
٧٦	أطلق عملك ما أعلمه					
٧٧	أقدم على تعلم الجديد بعد أن أعمل بما تعلمته سابقًا					
٧٨	أهيم عيوني أنا لا نحو تعلم دون عمل، ولا تؤخر إلا بالعمل					
٧٩	أتكلف لكل معلومة أتعلمها عملاً يناسبها لأتربى على العمل					
٨٠	أشرح للغير معنى الجدل والمراء وضررهما					
٨١	أعرض بالمخاصة وجهه نظري ثم لا أعرف للجدل حولها					
٨٢	أعرض الصوى المخالفة مقرونة بعرضي لما أعتقد به					
٨٣	أتدرب على ترك الجدل بالانقياد والليونة فيما ليس معصية					
٨٤	أتمسك لغيري اعتماده التوبة الخالصة					
٨٥	أعرف عيوني نظرات النواحي الأربع					
٨٦	أحرص على تكرار التوبة والاستغفار مرات كثيرة كل يوم					
٨٧	اتعمد أن يكون لي توبة بالنهار وأخرى بالليل					
٨٨	اتوقف عن فعل الذنب عند التذكر					
٨٩	أصمم على ترك الذنب إلى آخر العمر					
٩٠	أصلح أثر الذنب الماضي بالتعويض أو بقضاء ما فات					
٩١	أشعر النفس بأن مآلها إلى الله					
٩٢	أشجع الناس على طلب الفردوس الأعلى وليس فقط الجنة					

حساب الجوارح

م	أ	ب	ح	د	هـ
١					
٢					
٣					
٤					
٥					
٦					
٧					
٨					
٩					

في رحاب التنعم

م	أ	ب	ح	د	هـ
١٠					
١١					
١٢					
١٣					
١٤					
١٥					
١٦					
١٧					
١٨					
١٩					
٢٠					
٢١					
٢٢					
٢٣					
٢٤					
٢٥					
٢٦					

من حصاد الفكر

م	أ	ب	ح	د	هـ
٢٧					
٢٨					
٢٩					
٣٠					
٣١					
٣٢					
٣٣					
٣٤					
٣٥					
٣٦					
٣٧					
٣٨					
٣٩					
٤٠					
٤١					
٤٢					
٤٣					

رياض الجنة – الحياء – المشاركة – الثواب

م	أ	ب	ح	د	هـ
٤٤					
٤٥					
٤٦					
٤٧					
٤٨					
٤٩					
٥٠					
٥١					
٥٢					
٥٣					
٥٤					
٥٥					
٥٦					
٥٧					
٥٨					

بداية رعاية – كف الأذى
المراقبة – القيامة

م	أ	ب	ح	د	هـ
٥٩					
٦٠					
٦١					
٦٢					
٦٣					
٦٤					
٦٥					
٦٦					
٦٧					
٦٨					
٦٩					
٧٠					
٧١					
٧٢					
٧٣					
٧٤					
٧٥					

الثقة الوطيده – إماطة الأذى
المحاسبه – النار

م	أ	ب	ح	د	هـ
٧٦					
٧٧					
٧٨					
٧٩					
٨٠					
٨١					
٨٢					
٨٣					
٨٤					
٨٥					
٨٦					
٨٧					
٨٨					
٨٩					
٩٠					
٩١					
٩٢					

الأجر للعاملين – ترك الجدل
التوبة – الجنة

احسب لكل (أ) ٥ درجات ولكل (ب) ٤ درجات ولكل (ج) ٣ درجات ولكل (د) درجتين ولكل (هـ) صفرًا، فإذا حصلت على أكثر من ٣٩٠ فحسابك لجوارحك ممتاز، وإن كانت درجاتك أقل من ٢٣٠ فحسابك لها ضعيف

مراجع الكتاب

- القرآن الكريم
- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي
- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير
- تفسير الجلالين
- في ظلال القرآن، لسيد قطب
- صفوة التفاسير، للصابوني
- فتح الرحمن في تفسير القرآن، لعبد المنعم تعلب
- صحيح البخاري
- صحيح مسلم
- سنن أبي داود
- سنن الترمذي
- سنن ابن ماجة
- سنن النسائي
- مسند أحمد
- موطأ مالك
- سنن الدارمي
- موسوعة الحديث الشريف، اصدار شركة صخر لبرامج الحاسب
- فقه السنة، لسيد سابق
- الفقه الواضح، لمحمد بكر اسماعيل
- المفصل في أحكام المرأة، لعبد الكريم زيدان
- فقه السيرة، للبوطي
- فقه السيرة، للغزالي
- الرحيق المختوم، للمباركفوري
- السيرة النبوية دروس وعبر، لمصطفى السباعي
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية
- مدارج السالكين، لابن القيم

الفهرس

الإهداء ٥
هذه السلسلة ٧
الباب الأول (مع النص) ١١
تمهيد الباب الأول ١٣
الفصل الأول (في رحاب التفسير) ١٧
١- سورة النبأ ١٩
٢- سورة النازعات ٢٦
الفصل الثاني (من رحيق السيرة) ٣٥
تمهيد الفصل الثاني ٣٧
١- حياة النبي ﷺ قبل البعثة ٣٩
٢- مدة البعثة وحتى الهجرة ٤٩
٣- الهجرة ومرحلة التأسيس ٨٥
الفصل الثالث (من جواهر العلم) ٩٧
تمهيد الفصل الثالث ٩٩
١- أقسام المياه ١٠٠
٢- السؤر ١٠٣
٣- النجاسات ١٠٦
٤- كيفية تطهير الأشياء ١١٥
٥- آداب قضاء الحاجة ١١٩
الفصل الرابع (من حصاد الفكر) ١٢٥
الباب الثاني (مع الناس) ١٣٥
تمهيد الباب الثاني ١٣٧
الفصل الأول ١٤٣
١- رياض الجنة ١٤٥
٢- الحياء ١٥٠
٣- المشارطة ١٥٥
٤- الموت ١٥٨
الفصل الثاني ١٦١
١- بداية رباية ١٦٣
٢- كف الأذى ١٦٦

٣- المراقبة ١٧٠
٤- القيامة ١٧٤
الفصل الثالث ١٧٧
١- ثقة وطيدة ١٧٩
٢- إماطة الأذى ١٨٢
٣- المحاسبة ١٨٥
٤- الستار ١٨٩
الفصل الرابع ١٩٣
١- الأجر للعاملين ١٩٥
٢- ترك الجدل ١٩٩
٣- التوبة ٢٠٤
٤- الحمة ٢٠٧
الباب الثالث (مع الله) ٢١١
تمهيد الباب الثالث ٢١٣
الفصل الأول ٢١٧
١- ولو كنت وحدك ٢١٩
٢- مقامات السائرين ٢٢١
٣- ورد المعرفة ٢٢٤
٤- المودة ٢٢٧
الفصل الثاني ٢٢٩
١- الرفق ٢٣١
٢- مسرلة اليقطة ٢٣٣
٣- ورد الوفاء ٢٣٧
٤- الطاعة ٢٣٩
الخاتمة ٢٤١
حاسبوا أنفسكم ٢٤٣
المراجع ٢٧٦
الفهرس ٢٧٧